حَقَائِقُ القُرآن

الجزء الأول

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر - العراق
2026

حقائق القرآن

الجزء الاول

أنور غني الموسوي

حقائق القرآن

الجزء الاول

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

العراق 2026

المحتويات

المحتويات 1

المقدمة 2

سورة الفاتحة 5

(الفاتحة: 1) 5

(الفاتحة: 2) 26

(الفاتحة: 3) 46

(الفاتحة: 4) 67

(الفاتحة: 5) 88

(الفاتحة: 6) 112

(الفاتحة: 7) 132

سورة البقرة 159

(البقرة: 1) 159

(البقرة: 2) 181

(البقرة: 3) 203

(البقرة: 4) 225

(البقرة: 5) 248

(البقرة: 6) 270

(البقرة: 7) 293

(البقرة: 8) 316

(البقرة: 9) 339

(البقرة: 10) 361

(البقرة: 11) 384

(البقرة: 12) 407

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعله نوراً مبيناً وفرقاناً يهدي للتي هي أقوم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن كتاب «حقائق القرآن» يمثل مشروعاً معرفياً تأسيسياً يهدف إلى تجريد النص القرآني من ركام التوهمات التاريخية والمرويات المصادمة لصريح التنزيل، والعودة بالبحث التفسيري والفقهي والاعتقادي إلى منبعه الصافي المحكم. وقد قام هذا السفر العلمي على قانون معرفي وبنائي صارم يضبط آليات الاستنباط، ويفكك مناطات الاشتباك الكبرى التي طال حولها الجدل عبر القرون، ليضع بين يدي الباحث والقارئ «القول الفصل» المستند إلى محكمات أم الكتاب وسنن اللسان العربي المبين.

أولاً: غايات الكتاب ومقاصده الكبرى

ينطلق كتاب «حقائق القرآن» من غايات قطعية واضحة المعالم، تتمثل في الآتي:

1. الفصل المعرفي في مسائل الخلاف الكبرى: الانتقال بالبحث القرآني من دائرة السجال المذهبي والتاريخي إلى دائرة البيان المحكم، لبيان المراد الحقيقي والتفسير الواقعي والحكم الفقهي والاعتقاد السليم للنص، وإبطال المدعى الزائف في كل جهة.
2. صيانة التواتر العياني للمصحف الشريف: ترسيخ القاعدة الحتمية بأن للقرآن الكريم قراءة واحدة قطعية لا غير، هي ما في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة جيلاً بعد جيل، وإبطال كافة القراءات والروايات الشاذة أو المخالفة للرسم والضبط المصحفي بوصفها موجبة للاختلاف المنفي والمنهي عنه.
3. التطهير الروائي وميزان العرض على القرآن: إخضاع المرويات والمأثورات والحكايات المشهورة لميزان القرآن المحكم، وإبطال كل رواية أو أثر يصادم صريح الآيات أو يعطل

سنن التكليف والعدل الإلهي، مع تخصيص المباحث الختامية في كل آية لتفكيك هذه المرويات وسحق دلالاتها المحدثة بالحق المنزل.

4. ضبط المصطلحات الاعتقادية الكبرى: تحرير مفاهيم التوحيد والشرك والكفر والإيمان وفق الميزان القرآني الدقيق؛ حيث ينحصر الشرك في تأليه غير الله، وينحصر الكفر المطلق في إنكار الله وعدم الإيمان به، بينما يدخل كل موحد مؤمن بالله وحده في دائرة الإسلام منعا لتكفير المؤمنين.

ثانياً: المنهج الاستدلالي والمنظومة السباعية للدلالات

يعتمد الكتاب في معالجة كل آية على استخراج مسائل كبرى تتنوع بين علوم التفسير والفقه والعقائد الكلامية والدلالة، وتُعالج كل مسألة عبر هندسة استدلالية ثلاثية تضم سبع دلالات متكاملة، تُعرض بتجريد علمي رصين بعيداً عن ذكر أسماء الأشخاص أو الانحياز للموروثات السجالية:

1. الاستدلال الخطابي: ويفكك البنية اللغوية والشرعية للنص عبر الدلالة الوضعية للجذر في لسان العرب، والدلالة المنطوقية المستقرة في حيز النظم، والدلالة المفهومية المستنبطة بالموافقة والمخالفة والأولوية، والدلالة التضمنية المستوعبة للوازم العقلية والشرعية.

2. الاستدلال التعبيري: ويستنطق القيمة البيانية للنص عبر الدلالة السياقية التي تضبط موقع اللفظ بين سباقه ولحاقه، والدلالة البلاغية التي تكشف عن القصد الكلامي وأثره النفسي والتداولي والسلوكي في وعي المخاطب.

3. الاستدلال التفسيري: ويمثل قمة التحليل المنظومي عبر الدلالة التشابهية التي تجمع الآيات المتداخلة لفظاً وموضوعاً لبيان كيفية تخصيصها وتقييدها لبعضها، ثم تطبيق منهج «تفسير القرآن بالقرآن» عبر الشواهد النصية القاطعة من أجزاء التنزيل.
فالمتشابهات هن الآيات التي تتداخل في الموضوعات والاحكام بسبب التفصيل اما المحكمات فهن ام الكتاب الأصول العليا المتميزة الحاكمة.

ثالثاً: البناء الهيكلي والنسق العرضي للمسائل

تُصاغ أبحاث هذا الكتاب بلغة أصولية، لسانية، وعلمية محايدة ومطابقة لنمط المخطوطات والطباعة الأكاديمية الرصينة، حيث تُعالج كل آية وفق هيكل ثابت يبدأ بتحديد عنوان المسألة وخانتها المعرفية، ثم بيان المراد الحقيقي بإيجاز مكثف، يليه كشف الفهم الخاطئ المتوهم، ثم حشد الآيات المحكمات الحاكمة والآيات المتشابهة المتداخلة، وصولاً إلى تفكيك المحصلة الدلالية الواقعية عبر الاستدلالات الثلاثة، وانتهاءً بصياغة المراد الحقيقي النهائي الذي يجزم بالقول الفصل فوق مستوى النزاع البشري.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ومفتاحاً لفهم كتابه العزيز على الوجه الذي يرضيه، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين عن الحق اليقين.

سورة الفاتحة

(الفاتحة: 1)

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

المسألة الأولى: حقيقة جزئية البسملة من سورة الفاتحة ومن أوائل السور (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن البسملة آية تامة مستقلة من سورة الفاتحة ومن كل سورة افتتحت بها في المصحف الشريف المتواتر عياناً، ووجوب قراءتها في الصلاة بوصفها الآية الأولى منها.

الفهم الخاطئ: إنكار آيتها في الفاتحة أو عدها مجرد فاصل قرآني أو تبرك غير قرآني اعتماداً على روايات آحاد أو قياسات فقهية تخالف الرسم المصحفي القطعي، أو حصر دلالة السبع المثاني في عدد آيات الفاتحة دون شمولها لكمال القرآن المتشابه المثنى.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]. وقوله تعالى [اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ].

ب. قوله تعالى [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ].

ج. قوله تعالى [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الآية في اللسان العربي هي العلامة الفاصلة والطائفة المتميزة من الكلام المرقوم في المصحف برأس آية مستقل، والسبع في لسان العرب تطلق على الكثرة والتمام والكمال، والمثاني جمع مثنى وهو المتشابه المكرر في المعاني والمواعظ والأقسام.

- الدلالة المنطوقية: إثبات البسملة في المصحف الشريف المتداول بين الناس برقم (1) في مطلع الفاتحة يقطع بقرآنيتها وجزئيتها من السورة، كما ينطق بإثباتها آية تامة مستقلة في افتتاح جميع السور التي صدرت بها.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التواتر العياني يقتضي أن إسقاط البسملة من الفاتحة ينقصها آية كاملة ويخرجها عن تمام نظمها المثبت في المصحف، وأن وصف القرآن بالسبع المثاني يثبت كمال الكتاب وتثنيته بالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه.

- الدلالة التضمنية: يتضمن وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة وجوب قراءة البسملة في كل ركعة بوصفها الآية الأولى منها.

- الخلاصة: البسملة هي الآية الأولى من الفاتحة قطعاً ويقيناً تبطل الصلاة بتركها، والقرآن كله كتاب تام مثاني متشابه مكرر محفوظ في المصحف المتواتر.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تصدير السورة بالبسملة يفتتح الخطاب القرآني بالاستعانة بالله قبل الثناء عليه وطلب الهداية منه.

- الدلالة البلاغية: البدء باسم الله قبل كل فعل قولي أو عملي يصبغ حركة الإنسان بصبغة التوحيد الخالص ويجعل التلاوة متناسقة مع كمال الكتاب المثاني.

- الخلاصة: النظم المصحفي يجعل البسملة مفتاح السورة وركنها الأول.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الحجر وآية الزمر متشابهتان متداخلتان تفسر إحداهما الأخرى؛ فآية الزمر بينت أن المثاني صفة للكتاب كله لكونه كتاباً متشابهاً مثاني يتكرر فيه البيان والهدى، مما يرفع توهم حصر السبع المثاني في مجرد العدد الحسابي لآيات الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم في حفظ الذكر ونفي الباطل عنه تقطع بحجية الترقيم المصحفي المتواتر الذي يثبت البسملة آية أولى في الفاتحة وآية مستقلة في أوائل السور.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] في إثبات ورود البسملة نصاً قرآنياً محكماً بتمام لفظها.

ثانياً: قوله تعالى [وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا] في وجوب قراءة النص المثبت في المصحف كما رسم وضبط.

- الخلاصة: التواتر العياني للمصحف يحسم الخلاف الفقهي ويوجب قراءة البسملة آية أولى من الفاتحة بوصفها مفتتح الكتاب التام المثاني.

- رابعاً: المراد الحقيقي: البسملة آية أولى قطعية من سورة الفاتحة وآية تامة في أوائل السور المفتتحة بها بمقتضى المصحف الشريف المتواتر، وتجب قراءتها في كل صلاة بوصفها مفتتح الكتاب التام المثاني المتشابه المكرر.

المسألة الثانية: قاعدة التوسط الصوتي في قراءة البسملة والفاتحة في الصلاة (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب التوسط في صوت القراءة بالبسملة والفاتحة في الصلاة، وتحريم الجهر المفرط الصاخب أو الإسرار المطلق الخفي الذي يبطل حقيقة القراءة، عملاً بقاعدة التوسط المحكمة.

الفهم الخاطئ: تقسيم الصلوات الى جهرية واخفاتية والغلو في الجهر المزعج أو المبالغة في الإسرار بحيث لا يسمع المصلي نفسه، أو بناء الخلاف بين الجهر والإخفات على روايات متعارضة تهمل النص القرآني الصريح.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا] وقوله تعالى [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ].

ب. قوله تعالى [وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: القراءة في أصل اللسان العربي هي النطق المسموع بالحروف من مخارجها، والتوسط هو العدل بين طرفي الإفراط في رفع الصوت والتفريط في إخفائه.

- الدلالة المنطوقية: النهي الصريح في قوله [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا] يوجب التزام مرتبة الوسط بين الجهر والإخفات.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الأمر بابتغاء السبيل الوسط يبطل الإخفات القلبي المجرد عن تحريك اللسان وإسماع النفس، كما يبطل الصياح المفرط.

- الدلالة التضمنية: يتضمن التوسط الصوتي تحقيق التدبر والخشوع للمصلي وعدم التشويش على من حوله.

- الخلاصة: القراءة الشرعية في الصلاة محكومة بقاعدة التوسط الصوتي بين الجهر والاخفات القرآنية القطعية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: افتتاح القرآن بالبسملة يقتضي نطقاً متزناً يليق بجلال المخاطب سبحانه وهيبة المقام.

- الدلالة البلاغية: الجمع بين النهيين المتقابلين ثم الأمر بالسبيل الوسط يرسخ منهج الاعتدال في الأداء التعبدي.
- الخلاصة: البيان القرآني يضبط الأداء الصوتي للصلاة بمعيار الوسطية.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأعراف قيدت الذكر والقول بكونه دون الجهر المفرط، مما يفسر حد التوسط المأمور به في آية الإسراء.

ثانياً: قرائن النظم في سورة لقمان تذم رفع الصوت المفرط وتجعله منكراً، مما يعزز قاعدة التوسط.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] في ذم الاعتداء الصوتي في الدعاء والذكر.

ثانياً: قوله تعالى [وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا] في بيان صفة الأداء المتأني المتوسط.

- الخلاصة: المحكمات القرآنية تفرض التوسط الصوتي وتنفي الجهر والإخفات المطلقين المحدثين.
- رابعاً: المراد الحقيقي: يجب التوسط في الصوت عند قراءة البسملة والفاتحة في الصلاة، فلا يجهر بها جهراً صاخباً ولا يخافت بها خفتاً يذهب بحقيقة النطق المسموع.

المسألة الثالثة: تقدير المتعلَّق النحوي في البسملة وأثره في توجيه العبودية (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: تعلق الباء في البسملة بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره (أبدأ أو أقرأ أو أستعين)، لإفادة الحصر والتبرك والاستعانة بالله وحده في كل عمل.

الفهم الخاطئ: تقدير المتعلَّق اسماً مبتدأً مقدماً يفيد الإخبار المجرد دون الدلالة على فعل العبد وتلبسه بالاستعانة، أو زعم زيادة الباء وعدم تعلقها بعامل.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] وقوله تعالى [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا].

ب. قوله تعالى [فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الجار والمجرور في اللسان العربي لا بد له من عامل يتعلق به ليتم به الإسناد المفيد، والباء هنا للمصاحبة والاستعانة.

- الدلالة المنطوقية: تقديم الجار والمجرور [بِسْمِ اللَّهِ] على الفعل المقدر ينص على تقديم ذكر الله على كل فعل بشري.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التقديم يقتضي قصر الاستعانة والتبرك على اسم الله وحده ونفي التبرك بأسماء المخلوقين.

- الدلالة التضمنية: يتضمن حذف الفعل وتقديره بحسب حال القارئ شمول البسملة لكل أعمال الإنسان المباحة والتعبدية.

- الخلاصة: تقدير الفعل المؤخر يحقق القصر التوحيدي والشمول العملي لكل شؤون الحياة.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء البسملة في مطلع المصحف يجعل التقدير المناسب للتلاوة (بسم الله أقرأ) أو (بسم الله أستعين).

- الدلالة البلاغية: الحذف مع التقديم أسلوب بلاغي رفيع يجمع بين الإيجاز المعجز وإفادة الاختصاص.

- الخلاصة: النظم العربي يوجه الإعراب لخدمة التوحيد الخالص.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية هود أظهرت الفعل المتعلق بالبسملة في قوله [ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ] مما يدل على أن المتعلق فعل حركي يلابسه العبد.

ثانياً: قرائن النظم في قوله [إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] تفسر معنى الباء في البسملة بأنها باء الاستعانة المحضة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ] في تصريح القراءة مقرونة بالاسم الإلهي.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] في بيان أثر التسمية في حل الأفعال.

- الخلاصة: القرآن يفسر تقدير البسملة بربط جميع أفعال المكلف بالاستعانة بالله.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الباء في البسملة متعلقة بفعل محذوف مؤخر يناسب حال الفاعل، ليفيد قصر الاستعانة والتبرك على الله وحده في جميع الأعمال.

المسألة الرابعة: دلالة لفظ الاسم وحقيقة التسمية في ضوء التوحيد (في الدلالة)

المراد الحقيقي: بيان أن لفظ الاسم مشتق من السمو والعلو أو الوسم والعلامة، وأنه عين المسمى في الدلالة الذهنية والخارجية عند الإطلاق والتعظيم، لا أنه شيء منفصل مخلوق.

الفهم الخاطئ: القول بأن الاسم غير المسمى إطلاقاً بما يفضي إلى القول بخلق أسماء الله تعالى، أو الخلط بين اللفظ الصوتي الحادث وبين مدلوله القديم.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى] وقوله تعالى [تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا].

ب. قوله تعالى [إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاسم في اللسان العربي يدل على المسمى ويعرفه ويميزه، وإذا أضيف إلى الله كان المقصود ذاته المقدسة الموصوفة بصفات الكمال.

- الدلالة المنطوقية: النطق بقوله [بِسْمِ اللَّهِ] يثبت أن الاستعانة والتبرك واقعان بالذات الإلهية المسماة بهذا الاسم الأعظم.

- الدلالة المفهومية: مفهوم إضافة الاسم إلى الله يبطل زعم من يقول إن الاسم مخلوق منفصل؛ إذ يستحيل شرعاً الاستعانة بمخلوق.

- الدلالة التضمنية: يتضمن تعظيم اسم الله تنزيهه عن اللغو والحلف الكاذب والابتذال.

- الخلاصة: الاسم في سياق التعبد والتسبيح يراد به الذات الموصوفة بالكمال.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: إقحام لفظ [اسْمِ] بين الباء ولفظ الجلالة يضيف معنى التعظيم والإجلال والتشريف لذكر الله.

- الدلالة البلاغية: ذكر الاسم لإرادة المسمى أسلوب قرآني مطرد لتعظيم شأن المذكور في قلوب المخاطبين.

- الخلاصة: البيان القرآني يرفع منزلة الأسماء الإلهية ويجعلها باباً لمعرفة الخالق.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأعلى أمرت بتسبيح الاسم، والتسبيح لا يكون إلا للذات الإلهية المنزهة، مما يثبت أن الاسم هنا هو المسمى.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الرحمن تصف الاسم بالبركة والجلال والإكرام وهي صفات الخالق سبحانه.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] في تسوية ذكر الاسم بذكر الرب.

ثانياً: قوله تعالى [مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا] في التمييز بين الأسماء الإلهية الحقة والأسماء الباطلة المبتدعة.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تحسم الجدل الكلامي وتثبت قدسية أسماء الله وتعلقها بذاته.

- رابعاً: المراد الحقيقي: المراد بقوله [بِسْمِ اللَّهِ] الاستعانة بذات الله تعالى المتصف بأسمائه الحسنى، وتنزيه أسمائه عن دعوى الخلق والانفصال.

المسألة الخامسة: خصائص اسم الجلالة (الله) وتفرده بالألوهية المطلقة (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الجامع لجميع صفات الكمال، المشتق من الألوهية والعبودية، المختص بالخالق وحده دون شريك أو مثيل.

الفهم الخاطئ: ادعاء جمود اسم الجلالة وعدم اشتقاقه بما يعطل دلالته على صفة الألوهية المستلزمة لاستحقاق العبادة، أو تأويله بمعانٍ فلسفية مجردة تفرغه من صفات الفعل.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] وقوله تعالى [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ].

ب. قوله تعالى [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: لفظ (الله) أصله الإله من أله يأله ألوهية، وهو المعبود بحق الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وخضوعاً، فحذفت الهمزة وعوض عنها بأل التعريف للتفخيم والاختصاص.

- الدلالة المنطوقية: النطق باسم الجلالة في البسملة يعلن تفرد هذا المسمى بالاستحقاق المطلق للعبادة والاستعانة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم العلمية والاختصاص يقتضي استحالة تسمية غير الله بهذا الاسم أو إطلاق صفة الألوهية على سواه.

- الدلالة التضمنية: يتضمن اسم الجلالة سائر الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ ولذلك تضاف إليه جميع الأسماء فيقال الرحمن الرحيم من أسماء الله.

- الخلاصة: لفظ الجلالة هو العلم الأعظم الدال على ذات الواجب الوجود المستحق للعبادة وحده.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تصدير أسماء الله في البسملة باسم الجلالة ثم إتباعه بالرحمن الرحيم يرتب المعرفة الإلهية من الأعم الأشمل إلى الأخص.

- الدلالة البلاغية: التفخيم الصوتي للام في لفظ الجلالة عند التلاوة يورث في النفس هيبة وجلالاً لا يضاهيه لفظ آخر.

- الخلاصة: السياق يرسخ مركزية اسم الجلالة في بناء العقيدة التوحيدية.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإخلاص تعرف اسم الجلالة بالأحدية والصمدية ونفي الكفء والند.

ثانياً: قرائن النظم في آية الكرسي تربط اسم الجلالة بالحياة الكاملة والقيومية المطلقة على الكون.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] في بيان حقيقة الألوهية المنفية عن غيره.

ثانياً: قوله تعالى [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] في نفي المماثل في الاسم والصفة.

- الخلاصة: القرآن يعرف اسم الجلالة بكمال الصفات وتفرد الألوهية.

- رابعاً: المراد الحقيقي: اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم الدال على الذات الإلهية المنفردة بالألوهية والربوبية والأسماء الحسنى.

المسألة السادسة: التغاير الدلالي بين صيغتي الرحمن والرحيم في مفتتح الكتاب (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إفادة صيغة الرحمن لسعة الرحمة وشمولها لجميع المخلوقات في الدنيا، وإفادة صيغة الرحيم لثبوت الرحمة ولزومها الدائم للمؤمنين في الآخرة، مما يجمع بين عموم الإمداد وخصوص الإنعام.

الفهم الخاطئ: عدّ الصيغتين مترادفتين بمعنى واحد لمجرد التوكيد اللفظي، أو إنكار التفاوت الدلالي بين صيغتي فعلان وفعيل في اللسان العربي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ] وقوله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: مادة (رحم) موضوعة في اللسان العربي للإحسان والتعطف، وصيغة (فعلان) تدل على الامتلاء والسعة والشمول، وصيغة (فعيل) تدل على الثبوت والاستمرار واللزوم.

- الدلالة المنطوقية: اجتماع الوصفين في البسملة يثبت اتصاف الله بالرحمة الواسعة الشاملة والرحمة الدائمة اللازمة معاً.

- الدلالة المفهومية: مفهوم المخالفة بين الصيغتين يقتضي أن شمول الرزق والإمداد لجميع الخلق في الدنيا لا يستلزم دخول غير المتقين في رحمة الآخرة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن وصف الرحمن إيجاد الكائنات وإمدادها بأسباب البقاء، ويتضمن وصف الرحيم هداية المؤمنين ومغفرتهم وإدخالهم الجنة.

- الخلاصة: التباين الصرفي بين الرحمن والرحيم يؤسس لتباين معنوي بين الرحمة العامة والرحمة الخاصة.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: ختم البسملة بهذين الوصفين يطمئن القارئ في مطلع المصحف أن وحي الله وتشريعه صادران عن رحمة شاملة وخاصة.

- الدلالة البلاغية: التتابع الوصفي من غير حرف عطف يجمع بين الامتلاء والثبوت في نسق صوتي متناغم.

- الخلاصة: البيان القرآني يفتتح الرسالة الخاتمة ببيان سعة رحمة المرسل ولزومها.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأعراف قيدت كتابة الرحمة الأخروية بالمتقين بعد أن أثبتت سعتها لكل شيء في الدنيا.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الأحزاب حصرت وصف الرحيم بالمؤمنين، بينما أطلق الرحمن على الكون كله.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ] في اقتران الرحمن بالهيمنة الكونية الشاملة.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] في اقتران الرحيم بالمؤمنين التائبين.

- الخلاصة: تضافر الآيات يقطع بأن الرحمن رحمة عامة للخلق والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الرحمن ذو الرحمة الواسعة لجميع الخلق في الدنيا، والرحيم ذو الرحمة الدائمة الثابتة للمؤمنين في الآخرة.

المسألة السابعة: حجية المصحف المتواتر عياناً وإبطال القراءات الشاذة والمخالفة للرسم (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن للقرآن الكريم قراءة واحدة قطعية هي ما في المصحف الشريف الموجود بين أيدي الناس بالتواتر العياني، وإبطال كل قراءة تخالف هذا النص المصحفي في لفظه أو ضبطه أو عدّ آياته بوصفها موجبة للاختلاف المنهي عنه.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بروايات أو قراءات تخالف نص المصحف الموجود بين الناس أو الزعم بأن الاختلاف في نصوص القرآن وتعدد القراءات المخالفة للمصحف من التيسير المشروع.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا] وقوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل الجمعي المحسوس للنص الواحد المحفوظ في الصدور والسطور بلا تفاوت ولا اضطراب.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القرآنية تنفي الاختلاف عن كلام الله نفياً قاطعاً وتجعله علامة على المصدر البشري غير المعصوم.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الحفظ الإلهي للذكر يقتضي بقاء نص قرآني واحد محفوظ بين الناس لا يعتريه تعدد النصوص أو تضارب الروايات.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الالتزام بالمصحف الواحد توحيد الأمة على نص قطعي وإسقاط كل رواية شاذة أو قراءة مخالفة له.

- الخلاصة: القرآن نص واحد محفوظ في المصحف المتداول، وما خالفه باطل لا حجية له.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: افتتاح المصحف بالبسملة آية أولى مرقمة يرسخ وحدة البناء النصي للكتاب من أول حرف إلى آخر حرف.

- الدلالة البلاغية: نفي العوج والاختلاف عن القرآن يثبت استقامة نصه ووحدة قراءته عبر الأجيال.

- الخلاصة: النظم القرآني يصون قدسية النص الواحد من عبث الروايات المتضاربة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النساء جعلت انتفاء الاختلاف دليلاً على ربانية القرآن، مما يبطل نسب القراءات المتعارضة إلى الوحي.

ثانياً: قرائن النظم في سورة آل عمران تحذر من التفرق والاختلاف بعد مجيء البينات.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ] في تولي الله جمع النص القرآني وتوحيده.

ثانياً: قوله تعالى [وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] في منع تبديل الكلمات أو تعددها.

- الخلاصة: المحكمات القرآنية تبطل القراءات المخالفة للمصحف وتثبت حجية النص الواحد المحفوظ.
- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي المثبتة في المصحف الموجود بين الناس بالتواتر العياني، وكل قراءة تخالفه باطلة لا قيمة لها ولا حجية.

المسألة الثامنة: مشروعية البسملة في ابتداء الأفعال والعقود والذبائح والطعام (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: استحباب التسمية بالبسملة في ابتداء سائر الأفعال المباحة والعبادات كالأكل والشرب والركوب وكتابة العقود، ووجوبها الشرعي عند الذبح والصيد لحل الذبيحة.

الفهم الخاطئ: قصر التسمية على التلاوة فحسب وإهمالها في المعاملات والعادات اليومية، أو التساهل في أكل ما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ] وقوله تعالى [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ].

ب. قوله تعالى [وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: ذكر اسم الله على الفعل هو إعلان الإذن الإلهي والتبرك بسلطان الخالق قبل التصرف في مخلوقاته.

- الدلالة المنطوقية: النهي الصريح عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه يوجب التسمية عند الذبح والصيد.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الشرط في قوله [إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ] يربط الالتزام بالتسمية بتحقيق مقتضى الإيمان.

- الدلالة التضمنية: يتضمن تعميم البسملة في سائر الأعمال تحويل العادات المباحة إلى طاعات مأجورة بالنية والاستعانة.

- الخلاصة: البسملة شعار عملي يضبط تصرفات المسلم في العبادات والمعاملات.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: جعل البسملة فاتحة الكتاب كله يسن للمسلم أن يجعلها فاتحة لكل أمر ذي بال في حياته.

- الدلالة البلاغية: اقتران الأكل والركوب بذكر الاسم الإلهي يرفع الفعل البشري من الغفلة الحيوانية إلى الوعي التعبدي.

- الخلاصة: البيان القرآني يربط حركة الإنسان اليومية بذكر الله.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية المائدة أوجبت ذكر اسم الله عند إرسال الجوارح للصيد، مما يقيس عليه سائر وجوه التذكية.

ثانياً: قرائن النظم في آية الأنعام تصف ترك التسمية عمداً عند الذبح بالفسق، مما يقطع بوجوبها.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ] في مشروعية التسمية عند نحر الهدي والأضاحي.

ثانياً: قوله تعالى [وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] في ربط السعي الدنيوي بالذكر الدائم.

- الخلاصة: الفقه القرآني يجعل البسملة شرطاً في الذبائح وسنة مؤكدة في سائر الأفعال.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تجب التسمية بالله عند الذبح والصيد وتستحب في ابتداء سائر الأفعال والعقود والمباحات طلباً للبركة والإعانة.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في تسويغ إسقاط البسملة من الصلاة أو جواز قراءتها بغير نص المصحف (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال كافة الروايات المنسوبة زوراً التي تجيز ترك البسملة في الفاتحة في الصلاة أو تزعم أنها ليست آية من السورة، وردّها لمصادمتها الصريحة للمصحف المتواتر عياناً ولآية السبع المثاني.

الفهم الخاطئ: الاعتماد على مرويات آحادية مضطربة تدعي أن الصلاة تفتتح بالحمد مباشرة دون البسملة، وتقديم الظن الروائي على اليقين المصحفي القطعي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] وقوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ].

ب. قوله تعالى [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: القطعي العياني في أصول الاستدلال هو ما ثبت بالمشاهدة والتواتر العملي للأمة، وهو حاكم على الرواية الظنية ومقدم عليها بالإجماع العقلي.

- الدلالة المنطوقية: إثبات البسملة في أول سورة الفاتحة في المصحف الشريف ينطق بكونها جزءاً لا يتجزأ من السورة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الحفظ الإلهي للقرآن يبطل أي رواية تزعم زيادة البسملة في المصحف أو إسقاطها من الفاتحة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن رد هذه الروايات صيانة ركن القراءة في الصلاة من النقص والبطلان.

- الخلاصة: كل رواية تسقط البسملة من الفاتحة باطلة لمصادمتها للمصحف المحفوظ.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تناسب البسملة مع بقية آيات الفاتحة في الفاصلة والمعنى يقطع بأنها من صلب السورة.

- الدلالة البلاغية: افتقار قوله [الْحَمْدُ لِلَّهِ] إلى استفتاح باسم الله يناسب مقام المناجاة يؤكد أصالة البسملة في مطلعها.

- الخلاصة: النظم البياني للسورة يرفض بتر آيتها الأولى.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الحجر تصف الفاتحة بالسبع المثاني، وإسقاط البسملة يجعلها ست آيات وهو تكذيب لصريح العدد القرآني.

ثانياً: قرائن النظم في آية النحل تثبت أن بيان النبي صلى الله عليه وسلم موافق للكتاب لا مخالف له.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ] في نفي دخول غير القرآن في المصحف.

ثانياً: قوله تعالى [فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ] في تقديم آيات الله المحكمة على كل حديث يخالفها.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات ويسقط كل خبر يقدح في تمام آيات الفاتحة السبع.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة الروايات التي تزعم عدم قرآنية البسملة في الفاتحة أو تجيز تركها في الصلاة، لمخالفتها القطعية للمصحف الشريف المتواتر.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات والطقوس السحرية والعددية المحدثة في استخدام البسملة (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات المكذوبة والرسوم البدعية التي توظف البسملة في الطلاسم والحسابات الرقمية المحدثة لجلب المنافع أو تسخير الجن، وتأكيد أن البسملة ذكر توحيدي للاستعانة بالله وحده.

الفهم الخاطئ: التصديق بالروايات الموضوعة وكتب الخواص السحرية التي تزعم أن كتابة البسملة بأعداد فلكية أو أشكال هندسية يورث قدرات خارقة أو يغني عن الأسباب الشرعية والعمل الصالح.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ] وقوله تعالى [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ].

ب. قوله تعالى [قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الذكر الشرعي هو التوجه القلبي واللفظي إلى الله بالمعنى المفهوم، أما الطلاسم والأوفاق فهي رموز مجهولة المعنى لا أصل لها في اللسان ولا في الشرع.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القرآنية تحرم السحر والشعوذة وتجعل النفع والضر بيد الله وحده وفق سننه الكونية.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التوكل على الله يقتضي أن استخدام البسملة في الأوفاق والرموز السحرية خروج عن التوحيد إلى الدجل.

- الدلالة التضمنية: يتضمن إبطال هذه المرويات حماية عقيدة المسلم وعقله من الخرافات واستغلال الدجالين.

- الخلاصة: البسملة آية توحيد وهداية وليست أداة سحر أو تعويذة رقمية مبتدعة.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: ورود البسملة في مستهل القرآن بوصفها مفتاح الفهم والتدبر يناقض تحويلها إلى حروف مقطعة وأرقام مبهمة.

- الدلالة البلاغية: وضوح البيان العربي في [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] يفضح غموض الطلاسم التي يتكئ عليها المشعوذون.

- الخلاصة: النظم القرآني يحرر المؤمن من الخرافات العددية ويربطه بالمعنى العقلي والقلبي للذكر.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النمل تبين أن سليمان عليه السلام افتتح كتابه بالبسملة للدعوة إلى الإسلام والتوحيد، لا للسحر والتعازيم.

ثانياً: قرائن النظم في سورة البقرة تبرئ الأنبياء من السحر وتنسبه إلى الشياطين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ] في قصر كشف الضر على مشيئة الله لا على الأوفاق.

ثانياً: قوله تعالى [وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا] في بيان أن الاستشفاء بالقرآن يكون بالإيمان والعمل لا بالشعوذة.

- الخلاصة: القرآن يهدم كافة الروايات والطقوس السحرية التي تتاجر بآيات الله.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات المحدثة التي توظف البسملة في أغراض سحرية؛ إذ البسملة ذكر توحيدي خالص للاستعانة بالله في طاعته.

(الفاتحة: 2)

[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]

المسألة الأولى: حقيقة التغاير الدلالي بين الحمد والشكر والمدح في أصل الوضع والشرع (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن الحمد هو الثناء باللسان والقلب على الجميل الاختياري سواء كان في مقابلة نعمة أم لإثبات صفات الكمال الذاتي، فهو أعم من الشكر من جهة المتعلَّق وأخص من المدح من جهة الاختيار.

الفهم الخاطئ: تسوية الحمد بالشكر المحض وقصره على مقابلة النعم المنفصلة، أو إلحاقه بالمدح المطلق الذي يقع على الصفات الاضطرارية والجمادات.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ] وقوله تعالى [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ].

ب. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الجذر اللغوي (حمد) موضوع في لسان العرب للثناء الاختياري المعظم للمحمود؛ بينما (الشكر) يرتبط بمقابلة النعمة بالقلب واللسان والجوارح، و(المدح) أعم منهما لوقوعه على الجمال الطبيعي والصفات غير الاختيارية.

- الدلالة المنطوقية: النطق بلفظ [الْحَمْدُ] معرفاً بأل الاستغراقية يثبت استحقاق الله لجميع أنواع الثناء على كماله الذاتي وأفعاله الإحسانية معاً.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التغاير يقتضي أن الله يُحمد على صفات جلاله وتنزيهه وإن لم تتصل بنعمة حادثة للعبد، بينما الشكر لا ينفك عن سبق الإنعام.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الحمد الاعتراف بفضل المنعم مع المحبة والتعظيم، بخلاف المدح المجرد الذي قد يصدر عن غير محبة.
- الخلاصة: الحمد أعم من الشكر باعتبار السبب وأخص من المدح باعتبار القصد والاختيار.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: افتتاح الثناء في الفاتحة بالحمد دون الشكر يرفع مقام العبودية من مجرد مكافأة النعم إلى تعظيم الخالق لذاته وصفاته.
- الدلالة البلاغية: العدول إلى الجملة الاسمية المثبتة [الْحَمْدُ لِلَّهِ] يفيد دوام الثناء واستقراره وتنزهه عن التجدد الحادث المرتبط بالأفعال.
- الخلاصة: النظم القرآني يختار اللفظ الجامع لكل معاني التعظيم والشكر.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإسراء علقت الحمد على تنزيه الله عن الولد والشريك، وهو كمال ذاتي محض لا يصح فيه لفظ الشكر.

ثانياً: قرائن النظم في آية سبأ جعلت الشكر عملاً بالجوارح، بينما استقر الحمد في القرآن ثناءً قولياً واعتقادياً.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] في ارتباط الحمد ببدائع الخلق.

ثانياً: قوله تعالى [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ] في استمرار الحمد في دار الجزاء بعد انقطاع التكليف.

- الخلاصة: الاستعمال القرآني يفصل بدقة بين شمول الحمد للكمال الذاتي والفعلي وبين اختصاص الشكر بالنعم.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الحمد هو الثناء بالمحبة والتعظيم على صفات الكمال الذاتي وأفعال الإحسان، وهو أعم من الشكر سبباً وأخص من المدح قصداً.

المسألة الثانية: دلالة التعريف بأل في لفظ الحمد والاختصاص في لام الجر (في الدلالة)
المراد الحقيقي: إفادة الألف واللام في [الْحَمْدُ] للاستغراق الحقيقي لجميع المحامد، وإفادة اللام في [لِلَّهِ] للاختصاص والاستحقاق الذاتي المطلق، بحيث لا يستحق الحمد الكامل سواه.
الفهم الخاطئ: حمل الألف واللام على العهد الذهني المحدود بحمد معين، أو توهم مشاركة المخلوقين لله في استحقاق الحمد الأصلي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ] وقوله تعالى [فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ].
ب. قوله تعالى [وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: (أل) الاستغراقية الداخلة على اسم الجنس في اللسان العربي تشمل كل أفراد الحقيقة؛ ولام الاختصاص تثبت الملكية والاستحقاق الخالص للمجرور.

- الدلالة المنطوقية: تركيب [الْحَمْدُ لِلَّهِ] ينص على أن كل حمد صدر من حامد أو وقع على محمود فإن مآله وحقيقته مختصان بالله وحده.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الحصر والتقديم يقتضي أن حمد المخلوقين لبعضهم إنما هو فرع عن إقدار الله لهم وإجرائه النعم على أيديهم.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحصر نفي استحقاق الأصنام والأرباب المزعومة لأي ثناء أو تعظيم.
- الخلاصة: المحامد كلها ملك لله واستحقاق ذاتي له أزلاً وأبداً.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: وقوع الجملة خبرية في ظاهرها إنشائية في معناها يجمع بين تقرير الحقيقة الكونية وتلقين العبد صيغة الثناء.
- الدلالة البلاغية: القصر الإضافي والحقيقي في بناء الجملة يقطع التفات القلب إلى غير الله عند حصول النعم.
- الخلاصة: البيان القرآني يرد الفضل كله إلى مصدره الأول.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية القصص وسعت استحقاق الله للحمد في الدنيا والآخرة، مما يؤكد استغراق (أل) لكل زمان ومكان.

ثانياً: قرائن النظم في آية آل عمران تذم من يطلب الحمد بغير استحقاق، لتؤكد تفرد الخالق بالاستحقاق المطلق.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ] في تعليل اختصاص الله بالحمد لكونه مصدر كل نعمة.

ثانياً: قوله تعالى [وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] في إثبات استغراق الحمد لبدايات الخلق ونهاياته.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقرر استغراق المحامد واختصاصها بالذات الإلهية.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الألف واللام في الحمد للاستغراق الشامل واللام في لله للاختصاص والاستحقاق المطلق، فكل حمد في الوجود راجع إلى الله وحده.

المسألة الثالثة: حقيقة الربوبية الإلهية وتلازمها مع الألوهية في نفي الشريك (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الرب هو المالك المتصرف المصلح لشؤون خلقه بالإنشاء والرزق والتدبير، وأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة دون شريك.

الفهم الخاطئ: الاكتفاء بالإقرار النظري بربوبية الله للكون مع صرف أنواع العبادة والدعاء لغيره، أو تفسير الربوبية بمجرد الإيجاد الأولي دون التدبير المستمر.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] وقوله تعالى [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ].
- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الرب في أصل اللسان العربي مصدر بمعنى التربية والتنمية والتبليغ إلى الكمال شيئاً فشيئاً، ويطلق على السيد المالك المطاع المصلح.

- الدلالة المنطوقية: وصف الله بـ [رَبِّ الْعَالَمِينَ] يثبت قيامه الدائم بتدبير جميع المخلوقات وإمدادها بأسباب الحياة والبقاء.
- الدلالة المفهومية: مفهوم التلازم العقلي والشرعي يقتضي أن من تفرد بالخلق والرزق والتدبير هو وحده المستحق للعبادة والطاعة.
- الدلالة التضمنية: يتضمن وصف الربوبية نفي العبثية والعشوائية عن الكون، وإثبات القيومية الإلهية في كل لحظة.
- الخلاصة: توحيد الربوبية برهان قطعي على وجوب توحيد الألوهية.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: تعقيب اسم الجلالة [لِلَّهِ] الدال على الألوهية بوصف [رَبِّ الْعَالَمِينَ] الدال على الربوبية يجمع بين حق الخالق في العبادة وفضله في التدبير.
- الدلالة البلاغية: الإضافة المعرفية في [رَبِّ الْعَالَمِينَ] ترفع شأن الخالق وتبين افتقار المخلوقات بأسرها إليه.
- الخلاصة: السياق القرآني يربط العقيدة بالبرهان الكوني المحسوس.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة استدلت بربوبية الله وخلقه للناس على وجوب إفراده بالعبادة ونفي الأنداد.

ثانياً: قرائن النظم في سورة المؤمنون تحتج على المشركين بإقرارهم بربوبية الله لإلزامهم بتوحيد الألوهية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] في إبطال اتخاذ أرباب من دون الله.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] في بيان شمول الربوبية للخلق والتدبير.

- الخلاصة: القرآن يجعل الربوبية أساساً برهانياً لإبطال الشرك في العبادة.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الرب هو الخالق المالك المدبر لشؤون خلقه، وتوحيده في ربوبيته يوجب إفراده بالألوهية والعبادة دون وسائط أو شركاء.

المسألة الرابعة: مدلول لفظ العالمين وإثبات حدوث ما سوى الله (في الاعتقادات)
المراد الحقيقي: بيان أن العالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى من الملائكة والإنس والجن وسائر الأجناس، وإثبات أن الكون بأسره مخلوق حادث مربوب يفتقر في وجوده وبقائه إلى الخالق القديم.
الفهم الخاطئ: القول الفلسفي بقدم العالم أزلاً مع الله، أو قصر لفظ العالمين على البشر وحدهم دون بقية العوالم الغيبية والمادية.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] وقوله تعالى [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ].
ب. قوله تعالى [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: العالم في أصل اللسان العربي مشتق من العلامة والعلم؛ لأن كل صنف من المخلوقات علامة دالة على خالقه وصانعه، وجُمع بالواو والنون تغليباً للعقلاء على غيرهم.

- الدلالة المنطوقية: إضافة [رَبِّ] إلى [الْعَالَمِينَ] بصيغة الجمع المعرف تفيد استيعاب كل جنس ونوع في الوجود تحت قهر الربوبية.
- الدلالة المفهومية: مفهوم المربوبية يقتضي الحدوث والافتقار؛ إذ يستحيل عقلاً أن يكون المربوب أزلياً قديماً غير مفتقر إلى من يربيه ويدبره.
- الدلالة التضمنية: يتضمن تعدد العوالم اتساع ملكوت الله ليشمل عوالم الغيب والشهادة وما لا يعلمه إلا هو.
- الخلاصة: كل ما سوى الله عالم مربوب حادث يدل بوجوده ونظامه على وحدانية خالقه.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: إطلاق لفظ [الْعَالَمِينَ] في مطلع الكتاب يوسع أفق المؤمن من المحلية والقبلية إلى العالمية والكونية الشاملة.
- الدلالة البلاغية: الجمع بالياء والنون في موضع الجر [الْعَالَمِينَ] يكسب الفاصلة القرآنية امتداداً صوتياً يوحي باتساع الكون وتنوع عوالمه.
- الخلاصة: البيان القرآني يحرر الفكر الإنساني من الانغلاق ويبرهن على حدوث العالم.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الشعراء فسرت [رَبُّ الْعَالَمِينَ] تفسيراً مباشراً بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، فشمل كل موجود مخلوق.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الفرقان تبرز شمول الرسالة للثقلين الإنس والجن تحت عنوان العالمين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ] في بيان كثرة العوالم المخلوقة وتنوعها.

ثانياً: قوله تعالى [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] في إثبات فناء العوالم وبقاء الخالق.

- الخلاصة: المنظومة القرآنية تبطل دعوى قدم العالم وتثبت شمول الربوبية لجميع الأجناس.

- رابعاً: المراد الحقيقي: العالمون هم كل ما سوى الله من العوالم العلوية والسفلية، وجميعها مخلوقة حادثة مفتقرة إلى ربها في وجودها وتدبيرها.

المسألة الخامسة: مذاهب أهل التفسير والكلام في الحكمة من استحقاق الله للحمد لذاته ولإنعامه (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: تقرير أن الله تعالى محمود لنفسه قبل أن يخلق الخلق وقبل أن يحمده الحامدون؛ لثبوت صفات الكمال والجلال له أزلاً، وأن حمد العباد له هو امتثال لأمره واعتراف بفضله لا تفضل منهم عليه.

الفهم الخاطئ: توهم أن الله إنما صار محموداً بعد خلق الخلق وثنائهم عليه، أو ظن أن حمد العبد يزيد في ملك الله وعظمته شيئاً.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ] وقوله تعالى [إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

ب. قوله تعالى [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاستحقاق في لسان العرب وصف ثابت للشيء باعتبار ذاته وصفاته الذاتية وإن لم يباشره المادحون بالقول.

- الدلالة المنطوقية: الجملة الاسمية [الْحَمْدُ لِلَّهِ] تدل على الثبوت والدوام الأزلي والأبدي دون تقييد بزمن حدوث الحامدين.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الغنى المطلق يقتضي أن ثناء الكائنات على الله يعود نفعه وثوابه على الحامدين أنفسهم لا على المحمود سبحانه.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المعنى حث العبد على المسارعة في الانخراط في سلك الكون المسبح الحامد لربه.
- الخلاصة: الله محمود أزلاً وأبداً بكماله الذاتي، وحمد العباد له شرف لهم وعبادة.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: تصدير الفاتحة بالحمد المطلق يعلم العبد أدب الدخول على الله بالثناء عليه بما هو أهله قبل طلب الحاجات.
- الدلالة البلاغية: الإطلاق في الجملة الاسمية يرفع الحمد الإلهي عن حدود الزمان والمكان والأشخاص.
- الخلاصة: البيان القرآني يرسخ عقيدة غنى الخالق عن طاعة خلقه وحمدهم.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النمل تقرر أن نفع الشكر والحمد عائد على العبد نفسه وأن الله غني كريم عن العالمين.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الإسراء تثبت أن الوجود كله يسبح بحمد الله فطرةً وطوعاً.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] في الجمع بين غنى الله المطلق وكونه حميداً في ذاته.

ثانياً: قوله تعالى [وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ] في بيان أن الحمد هو لسان أهل الجنة في دار النعيم.

- الخلاصة: النصوص القرآنية توازن بين استغناء الخالق عن خلقه وبين استحقاقه الذاتي للحمد.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الله تعالى محمود في ذاته وصفاته أزلاً وأبداً، وحمد العباد له طاعة يعود نفعها وثوابها عليهم مع غناه المطلق عنهم.

المسألة السادسة: أحكام الحمد والتسمية في افتتاح الخطبة والعقود والصلاة (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب قراءة آية [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] بوصفها الركن الثاني من سورة الفاتحة في كل صلاة، واستحباب افتتاح الخطب والرسائل والعقود بحمد الله تعالى تأسياً بمطلع الكتاب العزيز.

الفهم الخاطئ: الاقتصار في افتتاح الخطب والكتب على مدح المخلوقين وإغفال حمد الله تعالى، أو التساهل في تصحيح مخارج حروف هذه الآية في الصلاة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا] وقوله تعالى [فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].

ب. قوله تعالى [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الافتتاح في لسان العرب هو جعل الشيء في صدارة الكلام ليكون عنواناً له ومستجلباً للبركة والتوفيق.

- الدلالة المنطوقية: جعل الله هذه الآية في صدارة السورة بعد البسملة يشرع للمكلفين تصدير خطاباتهم ومجالسهم بالحمد.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الركنية في الصلاة يوجب نطق الحروف بحركاتها الصحيحة؛ فإسقاط همزة الوصل أو كسر الدال من [الْحَمْدُ] يخل بالنظم.

- الدلالة التضمنية: يتضمن مشروعية الحمد في النعمة والمصيبة التسليم لقضاء الله وحكمته في كل حال.

- الخلاصة: الحمد شعيرة قولية واجبة في الصلاة ومستحبة في افتتاح سائر الشؤون.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء الحمد مباشرة بعد البسملة يرتب وظائف اللسان؛ استعانة في البداية ثم حمداً في الاستمرار.

- الدلالة البلاغية: الأمر الإلهي المتكرر في القرآن بقوله [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] يجعل هذه الصيغة شعاراً دائماً للمؤمن.

- الخلاصة: النظم القرآني يغرس ثقافة الحمد في حياة الفرد والجماعة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية المؤمنون تلقن المؤمنين قول [الْحَمْدُ لِلَّهِ] عند تحقق النجاة وتيسير الأسباب.
ثانياً: قرائن النظم في آية الإسراء تأمر بالجهر بالحمد في معرض تقرير العقيدة ونفي الشرك.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ] في قرن التسبيح بالحمد في ختام الأعمال.

ثانياً: قوله تعالى [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] في جعل الآية ختاماً للمطالب والرسالات.

- الخلاصة: الفقه القرآني يجعل الحمد مفتاحاً للأقوال وخاتمة للأعمال.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تجب قراءة آية الحمد في الفاتحة في كل صلاة بلفظها وضبطها الصحيح، ويستحب افتتاح الخطب والعقود والرسائل بحمد الله تأسياً بالقرآن.

المسألة السابعة: حقيقة القراءة المتواترة في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وإبطال الشواذ (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن القراءة القطعية الوحيدة لهذه الآية هي رفع الدال في [الْحَمْدُ] وخفض الهاء في [لِلَّهِ] وخفض الباء في [رَبِّ] كما هو مثبت ومضبوط في المصحف الشريف المتواتر عياناً، وإبطال كل رواية شاذة تنسب نصب الدال أو ضم الهاء أو اتباع الحركة للحركة.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بروايات شاذة منسوبة لبعض القدماء تخالف الضبط الإعرابي للمصحف الموجود بين الناس بدعوى التوسع اللغوي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ].
- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الضبط الإعرابي المتواتر هو العلامة الصوتية الحافظة للمعنى الأصلي من التحريف والتصحيف في اللسان العربي.

- الدلالة المنطوقية: النطق برفع [الْحَمْدُ] على الابتداء يثبت المعنى الاسمي المستقر، وإتباع حركة الهاء لحركة الدال شذوذ يخرج عن فصاحة التنزيل.
- الدلالة المفهومية: مفهوم التواتر العياني يبطل كل قراءة آحادية تخالف رسم المصحف وضبطه المتفق عليه بين الأمة.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الالتزام بالضبط المصحفي صيانة الصلاة من اللحن المغير للمعنى أو المبطل للقراءة.
- الخلاصة: القراءة المثبتة في المصحف هي الحق القطعي وما خالفها من الشواذ باطل لا يجوز التعبد به.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: انتظام الحركات الإعرابية في الآية يحقق التوازن الصوتي والبياني في مطلع السورة.
- الدلالة البلاغية: الجملة الاسمية المرفوعة [الْحَمْدُ لِلَّهِ] أبلغ وأثبت من الجملة الفعلية المقدرة بالنصب.
- الخلاصة: الضبط المصحفي يجمع بين فصاحة اللسان وقطعية الثبوت.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الزمر تصف القرآن بالاستقامة ونفي العوج، والتمسك بالقراءة الواحدة المحفوظة يحقق هذه الاستقامة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الحجر تضمن حفظ الذكر لفظاً وإعراباً من كل تغيير.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] في منع تبديل

الحركات والكلمات.

ثانياً: قوله تعالى [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] في وجوب اتباع القراءة الموحى بها المحفوظة.

- الخلاصة: القانون الحاكم يرد كافة الروايات الشاذة في إعراب الآية ويثبت حجية المصحف الواحد.

- رابعاً: المراد الحقيقي: القراءة الوحيدة الصحيحة والملزمة هي قراءة الرفع في [الْحَمْدُ] والجر في [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] وفق المصحف الشريف، وكل رواية تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها.

المسألة الثامنة: مشروعية قول آمين بعد الفاتحة وحكمها الفقهي في الصلاة (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: بيان أن لفظ (آمين) اسم فعل أمر بمعنى اللهم استجب، وهو سنة مشروعة عقب الفراغ من قراءة سورة الفاتحة في الصلاة وخارجها، وليس آية من القرآن الكريم بإجماع المصاحف.

الفهم الخاطئ: توهم أن لفظ (آمين) آية من سورة الفاتحة أو وجوب كتابتها في المصاحف، أو الغلو في النزاع الفقهي حول الجهر بها وإسرارها بما يورث الشقاق في المساجد.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] وقوله تعالى [قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ].

ب. قوله تعالى [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: (آمين) اسم فعل أمر مبني على الفتح بمعنى استجب يا الله، وهو دعاء يختم به القارئ سؤاله في سورة الفاتحة.
- الدلالة المنطوقية: خلو المصحف الشريف المتواتر من لفظ (آمين) يقطع بعدم قرآنيتها وأنها دعاء مستقل يعقب التلاوة.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الدعاء في ختام الفاتحة يقتضي مشروعية التأمين لتأكيد طلب الهداية والثبات على الصراط.
- الدلالة التضمنية: يتضمن التأمين في صلاة الجماعة اشتراك المأمومين مع الإمام في طلب الهداية والرحمة.
- الخلاصة: التأمين دعاء مسنون عقب الفاتحة وليس جزءاً من النص القرآني.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: اشتمال الفاتحة على الثناء في أولها والدعاء في آخرها يجعل ختمها بطلب الاستجابة متسقاً مع مقصد السورة.
- الدلالة البلاغية: إجمال مقاصد السورة في كلمة واحدة جامعة بعد الفراغ منها يجمع شتات القلب على الرجاء.
- الخلاصة: التأمين يربط تلاوة العبد بانتظار الإجابة من ربه.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية يونس تحكي إجابة دعوة موسى وهارون عليهما السلام حيث كان أحدهما يدعو والآخر يؤمن، فدل على مشروعية التأمين.

ثانياً: قرائن النظم في قاعدة التوسط الصوتي تضبط صوت التأمين بالاعتدال دون صياح مزعج أو إخفات مفرط.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] في بيان أدب الدعاء والتأمين.

ثانياً: قوله تعالى [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] في ترسيخ اليقين بالإجابة.

- الخلاصة: الفقه القرآني يضبط أحكام التأمين بالتمييز بين القرآن والدعاء وباعتماد التوسط الصوتي.

- رابعاً: المراد الحقيقي: قول (آمين) عقب الفاتحة دعاء مسنون بمعنى اللهم استجب، وليس آية من القرآن، ويؤدى بتوسط صوتي يحقق الخشوع ويمنع النزاع.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في اشتراط نطق الحمد بصيغ مخترعة أو تعليق القبول على وسائط بشرية (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والرسوم البدعية التي تزعم أن حمد الله لا يقبل إلا إذا اقترن بذكر مخلوق أو بصيغ رقمية مخترعة، وتأكيد أن الحمد عبادة خالصة لله وحده تقبل بالإخلاص وموافقة الكتاب.

الفهم الخاطئ: التصديق بالحكايات الموضوعة التي تجعل الثناء على الله ناقصاً ما لم يقرن بمدح الأشخاص أو يُردد بأعداد محددة في أوراد مبتدعة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ] وقوله تعالى [أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ].

ب. قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الإخلاص في اللسان العربي هو تصفية الشيء وتخليصه من كل شائبة تخالطه؛ والعبادة الخالصة هي المتجردة عن الإشراك والابتداع.
- الدلالة المنطوقية: النصوص القرآنية تحصر الدين الخالص في الله وحده وتأمر بإفراده بالعبادة والثناء.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الحصر في قوله [الْحَمْدُ لِلَّهِ] يبطل كل رواية تشرك غير الله في استحقاق الحمد التعبدي أو تجعل للقبول شروطاً لم ينزل بها سلطان.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الإخلاص في الحمد التحرر من وساطة الأحبار والرهبان والأشخاص في التقرب إلى الله.
- الخلاصة: الحمد عبادة توحيدية خالصة لا تقبل الإشراك اللفظي ولا القيود المحدثة.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: وضع [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] في مطلع الكتاب يعلن استقلالية العلاقة المباشرة بين العبد وربه في الثناء والعبادة.
- الدلالة البلاغية: قصر الحمد على لفظ الجلالة باللام يقطع دابر التعلق بالمخلوقين في مقام التعظيم.
- الخلاصة: البيان القرآني يصون مقام التوحيد من شوائب الغلو في الأشخاص.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الزمر تقرر أن الدين الخالص لله وحده، مما يسقط كل رواية تخلط الثناء على الله بالثناء على المخلوقين في صلب العبادة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة البينة تحصر الأمر الإلهي في إخلاص الدين والحنيفية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] في منع إشراك أحد مع الله

في الذكر والدعاء.
ثانياً: قوله تعالى [فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ] في توجيه الحمد والشكر لله وحده.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات بميزان التوحيد الخالص ويرفض كل ما يخدش كمال الإخلاص.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات التي تشترط لقبول حمد الله إشراك ذكر مخلوق أو الالتزام بأوراد عددية مبتدعة؛ إذ الحمد لله خالصاً لا شريك له.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات والأساطير المزعومة في تحريف ترتيب آيات الفاتحة أو إنقاص عددها (في الروايات المخالفة للقرآن)
المراد الحقيقي: إبطال كافة الروايات المضطربة التي تزعم أن آية [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] هي الآية الأولى من الفاتحة دون البسملة، أو تروي ترتيباً مخالفاً لما هو مثبت في المصحف الشريف المتواتر عياناً.
الفهم الخاطئ: الاعتماد على مرويات آحادية تخالف التواتر العياني للمصحف الشريف وتجعل البسملة خارج السورة، مما يفضي إلى الاختلاف في عدّ آيات أم الكتاب.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] وقوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ].
ب. قوله تعالى [وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الترتيب والتوقيف في النص الإلهي هما وضع كل آية في موضعها المرسوم بالوحي بلا تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان.
- الدلالة المنطوقية: ترقيم المصحف الشريف يجعل البسملة الآية الأولى ويجعل [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] الآية الثانية، وهو التواتر القطعي العياني.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الحفظ الإلهي يبطل كل رواية آحادية تعارض ترتيب المصحف أو تغير في ترقيم آياته السبع.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الالتزام بترتيب المصحف وحدة الأمة في الصلاة والتلاوة وإغلاق باب التشكيك في حفظ النص.
- الخلاصة: ترتيب المصحف وترقيمه حجة قطعية تنسخ كل رواية تخالفه.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: مجيء الحمد في المرتبة الثانية بعد الاستعانة بالبسملة يمثل التدرج الطبيعي والمنطقي لخطاب العبد لربه.
- الدلالة البلاغية: التناسب الإيقاعي والفواصل الميمية والنونية في الآيات السبع يؤكد استحالة إسقاط البسملة أو تغيير موضع آية الحمد.
- الخلاصة: الإعجاز النظمي يصدق التواتر العياني للمصحف.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية هود تصف آيات الكتاب بالإحكام والتفصيل من لدن حكيم خبير، مما يمنع تطرق الاضطراب الروائي إلى ترتيبها.

ثانياً: قرائن النظم في آية الحجر تقطع بكون السورة سبع آيات متكاملة تبدأ بالبسملة وتنتهي بالضالين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ] في تولي الله جمع السور والآيات وترتيبها.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] في التحذير من اتباع الروايات الموجبة للاختلاف.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات ويبطل كل خبر يقدح في ترتيب آيات الفاتحة المثبت في المصحف.

رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة الروايات التي تجعل آية الحمد هي الأولى وتخرج البسملة من الفاتحة؛ إذ النص المثبت في المصحف المتواتر عياناً هو الحجة القطعية الوحيدة.

(الفاتحة: 3)

[الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

المسألة الأولى: التأسيس الدلالي للتغاير بين صيغتي الرحمن والرحيم في اللسان والتنزيل (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إفادة صيغة الرحمن لسعة الرحمة وشمولها المطلق لجميع المخلوقات في دار التكليف والابتلاء، وإفادة صيغة الرحيم لثبوت الرحمة ولزومها الدائم للمؤمنين في دار الجزاء والاختصاص، مع نفي الترادف المحض بين البنيتين.

الفهم الخاطئ: ادعاء ترادف اللفظين وتكرارهما لمجرد التوكيد اللفظي المجرد دون تأسيس معنى جديد أو تخصيص دلالي مستقل لكل صيغة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ] وقوله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: مادة (رحم) موضوعة في أصل اللسان العربي للرقة والتعطف والإحسان، وصيغة (فعلان) تفيد الامتلاء والكثرة والسعة الطارئة على الموصوف، بينما تفيد صيغة (فعيل) الثبوت والاستقرار واللزوم الذاتي المستمر.
- الدلالة المنطوقية: النطق بالوصفين متواليين من غير حرف عطف يثبت اتصاف الذات العلية بالرحمة من جهتين متغايرتين؛ جهة الإحاطة الشاملة وجهة الديمومة اللازمة.
- الدلالة المفهومية: مفهوم المخالفة بين البنيتين الصرفيتين يقتضي أن شمول الإمداد الدنيوي للكائنات كافة لا يستلزم النجاة الأخروية الخاصة، كما أن اختصاص المؤمنين برحمة الآخرة لا ينفي عموم الرزق والإنعام في الدنيا.
- الدلالة التضمنية: يتضمن وصف الرحمن استيعاب كل كائن في الوجود بالإيجاد والإمداد والهداية العامة، ويتضمن وصف الرحيم استدامة النعيم الأبدي والصفح للمستحقين.
- الخلاصة: التأسيس الدلالي قائم على التباين المعنوي الدقيق بين سعة الشمول الكوني ولزوم الاختصاص الأخروي.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: وقوع الآية بعد تقرير الربوبية للعالمين وقبل إثبات الملك ليوم الدين يجعلها واسطة العقد بين تدبير الخلق في الدنيا ومجازاتهم في الآخرة.
- الدلالة البلاغية: العدول عن حرف العطف إلى التتابع الوصفي المباشر يورث في وجدان القارئ طمأنينة مزدوجة تجمع بين الرجاء العام في كرم الخالق والرجاء الخاص في فضله.

- الخلاصة: النظم القرآني يوازن ببراعة بين إطباق الرحمة على الكون وتخصيصها لأهل الإيمان.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأعراف قيدت كتابة الرحمة المطلقة في الآخرة بالمتقين بعد أن أثبتت سعتها لكل شيء في الدنيا.

ثانياً: قرائن النظم ترفع توهم الترادف؛ إذ لم يرد في التنزيل وصف المؤمنين بالرحمن قط، بل ورد وصفهم بالرحيم مما يقطع باختصاص الصيغة الثانية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ] حيث اقترن اسم الرحمن بالهيمنة الكونية الشاملة.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] حيث اقترن اسم الرحيم بالمؤمنين التائبين في سياق المغفرة الخاصة.

- الخلاصة: تضافر الآيات يقطع بأن الله رحمن بجميع خلقه في الدنيا، رحيم بالمؤمنين خاصة في الآخرة.

- رابعاً: المراد الحقيقي: التغاير بين الصيغتين حقيقة قرآنية راسخة تفصل بين رحمة الإيجاد والإمداد العامة ورحمة الهداية والجزاء الخاصة.

المسألة الثانية: اختصاص اسم الرحمن بالله تعالى ومنع إطلاقه على المخلوقين (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: حصر التسمية بلفظ الرحمن في الذات الإلهية وحدها وتحريم إطلاقه على البشر لا علماً ولا وصفاً مطلقاً، بخلاف اسم الرحيم الذي يجوز إطلاقه مقيداً على المخلوقين.

الفهم الخاطئ: تسوية الاسمين في جواز التسمية أو التوهم بإمكانية إطلاق صفة الرحمن على المخلوقين من باب المبالغة في الكرم والجود.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] وقوله تعالى [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ].

ب. قوله تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: لفظ الرحمن وإن كان مشتقاً من الرحمة إلا أنه غلب بالاستعمال الشرعي والعرفي حتى صار علماً بالغلبة على الخالق لا يشاركه فيه سواه.

- الدلالة المنطوقية: تعريف اللفظ بأل الاستغراقية للكمال يقتضي استجماع كافة معاني الرحمة المطلقة التي يستحيل تحققها في مخلوق محدود القدرة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الأولوية يوجب تنزيه الاسم المختص بالربوبية عن الابتذال في المخلوقين، بينما يجيز إطلاق الوصف النسبي المقيد.

- الدلالة التضمنية: يتضمن التفرد باسم الرحمن التفرد بأفعال الخلق والرزق والإحياء التي هي من لوازم الرحمة الشاملة.

- الخلاصة: اسم الرحمن يقع في رتبة التوحيد العلمي الخاص بالله تعالى كاسم الجلالة.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تصدير وصف الله بالرحمن قبل الرحيم يرسخ هيبة الإطلاق الإلهي قبل بيان اللطف بالمخلوقين.

- الدلالة البلاغية: التعريف بالألف واللام في الموضعين يفيد القصر الحقيقي لكمال الصفة في الموصوف سبحانه.

- الخلاصة: السياق يعظم مقام الألوهية بتفريدها بالوصف المطلق الذي لا يطيق المخلوق تحمله.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية التوبة وصفت النبي صلى الله عليه وسلم بأنه رحيم بالمؤمنين، مما قيد إطلاق الرحيم على المخلوقين وجعله أمراً واقعاً.

ثانياً: قرائن النظم تمنع تعدية اسم الرحمن لغير الله؛ إذ جاء في سورة الرحمن مسنداً إليه خلق الإنسان وتعليم القرآن وتدبير الكون.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ] حيث استعمل الاسم علماً مستقلاً يقابل اسم الله.

ثانياً: قوله تعالى [إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا] مما يثبت أن كل من سواه عبد له مربوب برحمته.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقيم حداً فاصلاً بين الاسم المختص بالخالق والوصف المشترك في أصل المعنى.

- رابعاً: المراد الحقيقي: اسم الرحمن مختص بالله تعالى اختصاصاً ذاتياً لا يشاركه فيه مخلوق، أما الرحيم فصفة مشتركة في أصل المعنى تختص بالله في كمالها وإطلاقها.

المسألة الثالثة: مذهب أهل الكلام والسنة في حقيقة صفة الرحمة الإلهية وتنزيهها عن الانفعال (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات صفة الرحمة لله تعالى إثباتاً حقيقياً يليق بجلاله وكماله، مع تنزيهها عن رقة الطبع والانفعال التأثري الذي يعتري المخلوقين، والرد على من أولها بمجرد إرادة الإنعام أو نفع الخلق.

الفهم الخاطئ: تعطيل حقيقة الصفة وتأويلها بإرادة الإحسان أو بالنعم المنفصلة بدعوى الفرار من التشبيه، أو تشبيه رحمة الله برقة قلب المخلوق وتأثره.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] وقوله تعالى [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ].

ب. قوله تعالى [رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الرحمة في أصل الوضع اللغوي تستلزم الإحسان والإنعام، ولها في حق المخلوق مبدأ هو رقة القلب وغاية هي الإحسان، فإذا أضيفت إلى الله تجردت عن النقص المخلوق وبقي كمالها اللائق به.

- الدلالة المنطوقية: إسناد الوصفين إلى الله تعالى بصيغة الثبوت ينفي كونهما مجرد مجاز عن النعم المنفصلة، بل هما صفتان قائمتان بالذات العلية.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التلازم العقلي يقتضي أن وجود النعم المشاهدة فرع عن ثبوت صفة الرحمة الفاعلة في الذات الإلهية، إذ يستحيل صدور الفعل عن غير متصف بمصدره.

- الدلالة التضمنية: يتضمن إثبات الصفة نفي التعطيل الكلامي ونفي التمثيل الحسي معاً، إذ القول بالصفة فرع عن القول بالذات.

- الخلاصة: الرحمة صفة ذاتية وفعلية ثابتة لله على الوجه اللائق بكماله المطلق دون تأويل معطل أو تكييف ممثل.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: مجيء الوصفين في سياق الثناء المحض في فاتحة الكتاب يثبت كونهما من صفات الكمال الذاتي التي يستحق الله بها الحمد المطلق.
- الدلالة البلاغية: الإطلاق المطلق للوصفين دون تقييد بمفعول يرفع الصفة عن حيز الحوادث والانفعالات الجزئية.
- الخلاصة: البيان القرآني يثبت حقيقة الصفة ويقطع أوهام التشبيه بالتجريد والإطلاق.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنعام تثبت أن الله كتب الرحمة على نفسه، مما يدل على أنها صفة حقيقية التزم بها سبحانه وليست مجرد اسم للنعم المخلوقة.

ثانياً: قرائن النظم في آية الشورى تمنع قياس صفات الخالق على انفعالات المخلوقين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا] حيث قرنت الرحمة بالعلم في السعة والإحاطة، والعلم صفة حقيقية قائمة بالذات فكذلك الرحمة.

ثانياً: قوله تعالى [فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] حيث أثبت له أصل الوصف مع التفضيل المطلق المنزه عن النقص.

- الخلاصة: التوازن القرآني يجمع بين إثبات حقيقة الرحمة وتنزيهها عن سمات الحدوث والانفعال.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الرحمة صفة حقيقية ثابتة لله تعالى تليق بجلاله، منزهة عن الانفعال النفساني، ومثمرة لجميع أنواع الإحسان والإنعام دون تعطيل أو تمثيل.

المسألة الرابعة: التوجيه النحوي والإعرابي للآية وأثره في بناء المعنى (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: جواز إعراب الوصفين نعتين لاسم الجلالة أو بدلين أو خبرين لمبتدأ محذوف، مع ترجيح النعتية البيانية لإفادة المدح والثناء المتصل بالحمد والربوبية وفق الضبط المصحفي المجرور.

الفهم الخاطئ: حصر الإعراب في وجه واحد وتخطئة بقية الأوجه النحوية المحتملة في لسان العرب، أو جعل الوصفين للتوضيح المخصص لاسم الجلالة بعد اتضاحه التام.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] وقوله تعالى [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ].

ب. قوله تعالى [هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التابع في النحو العربي يشارك متبوعه في الإعراب لبيان غرض معنوي؛ وإذا كان المتبوع أعرف المعارف امتنع كون التابع للتخصيص وتعين كونه للمدح والثناء.

- الدلالة المنطوقية: الجر في لفظي الرحمن والرحيم نطقاً وضبطاً يربطهما تبعاً بلفظ الجلالة المجرور باللام في قوله [لِلَّهِ].

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا الربط النحوي أن استحقاق الله للحمد المطلق معلل باتصافه بالربوبية والرحمة الشاملة والخاصة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن تتابع الأوصاف المجرورة وحدة السياق الثنائي وتكامل أركان الألوهية المستحقة للعبادة.

- الخلاصة: الإعراب بالجر على النعتية الثنائية يحقق الترابط السببي بين الحمد والرحمة.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: مجيء الآية فاصلاً بين وصف الربوبية ووصف الملك ليوم الدين يجعل التبعية الإعرابية جسراً معنوياً متصلاً في التلاوة.
- الدلالة البلاغية: تعدد النعوت المتتابعة لاسم واحد في مقام الثناء أسلوب عربي رفيع لتعظيم شأن الموصوف واستيفاء محامده.
- الخلاصة: التركيب النحوي يخدم المقصد التعظيمي ويحافظ على وحدة الجملة الثنائية.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: في سورة الحشر جاء التركيب بصيغة الخبر المستقل [هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ] لتقرير العقيدة، بينما جاء في الفاتحة تابعاً مجروراً لتقرير استحقاق الحمد.

ثانياً: قرائن النظم ترفع توهم الاحتياج للتوضيح؛ إذ اسم الله أعرف المعارف فلا يفتقر إلى نعت يميزه عن غيره.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ] في تتابع الأوصاف الثنائية للمعبود.

ثانياً: قوله تعالى [تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] في إتباع الصيغتين بغير فاصل لتأكيد كمال المصدر.

- الخلاصة: تعدد الأوجه النحوية الجائزة في تقدير الجر يثري المعنى تحت مظلة الثناء المطلق على الله.
- رابعاً: المراد الحقيقي: إعراب الرحمن الرحيم نعتين مجرورين للمدح والثناء هو الوجه الأبلغ والأقرب لنظم السورة، إذ يربط استحقاق الحمد بكمال الرحمة.

المسألة الخامسة: ركنية الآية في الصلاة وأحكام أدائها بالضبط المصحفي الواحد (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب قراءة الآية بوصفها ركناً قطعياً من أركان الفاتحة في الصلاة بلفظها وضبطها المثبت في المصحف الشريف المتواتر عياناً، وإبطال أي قراءة تخالف هذا الضبط في الصلاة وخارجها.

الفهم الخاطئ: التساهل في تغيير حركات الإعراب في الصلاة بناء على روايات قرائية شاذة تخالف المصحف المعروف بين الناس، أو الغفلة عن تدبر معاني الرحمة أثناء التلاوة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] وقوله تعالى [وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ].

ب. قوله تعالى [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الترتيل في اللسان العربي هو التمهل في القراءة وتبيين الحروف وإعطاء كل آية حقها من النطق الصحيح والوقف والابتداء.

- الدلالة المنطوقية: النطق بالآية ضمن السبع المثاني بجر النون والميم كما في المصحف يثبت جزئيتها القطعية من السورة التي لا تصح الصلاة إلا باستيفاء آياتها كاملة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الشرط في إقامة الصلاة للذكر يقتضي أن اللحن المغير للحركات المصحفية المتواترة يخل بصحة القراءة.

- الدلالة التضمنية: تتضمن قراءة هذه الآية بتأنٍ ووقف إقرار العبد بافتقاره الدائم لرحمة ربه في معاشه ومعاده.

- الخلاصة: الآية ركن قولي قطعي في الصلاة تؤدى على الوجه المصحفي الواحد المتواتر.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: توسط الآية بين الحمد ومناجاة العبد لربه [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] يهيئ نفس المصلي للوقوف بين يدي الله بقلب راجٍ مطمئن.
- الدلالة البلاغية: الفاصلة القرآنية في ختام الآية بالميم المكسورة الموقوف عليها بالسكون تمنح التلاوة إيقاعاً جليلاً يبعث على السكينة.
- الخلاصة: موقع الآية في الصلاة ينقل المصلي من مقام الإخبار والثناء إلى مقام الخطاب والمناجاة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الحجر تصف الفاتحة بالسبع المثاني، وهو ما يوجب استيفاء آياتها السبع ومنها هذه الآية بالاتفاق في كونها آية مستقلة.

ثانياً: قرائن النظم في آية المؤمنون تربط الفلاح بالخشوع، والوقف على رؤوس الآي يعين المصلي على تفهم معاني كل آية على حدة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ] في بيان أصل فرضية القراءة.

ثانياً: قوله تعالى [وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] في ربط صحة الأداء القولي بحضور القلب.

- الخلاصة: الأحكام الفقهية المتعلقة بأداء الآية تجمع بين صحة المبنى المصحفي وخشوع المعنى القلبي.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الآية ركن أصيل في قراءة الفاتحة بالإجماع تبطل الصلاة بتركها أو تغيير حركاتها المصحفية، ويسن الوقف عليها عند التلاوة لتحقيق الترتيل والتدبر.

المسألة السادسة: فقه التوسل والدعاء باسمي الرحمن الرحيم وضوابطه الشرعية (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: مشروعية واستحباب التوسل إلى الله تعالى باسميه الرحمن الرحيم في الدعاء والذكر، بوصفه من أعظم أسباب الإجابة وتفريج الكربات، مع الالتزام بالصيغ المشروعة دون تقييد بأعداد مخترعة.

الفهم الخاطئ: الاقتصار في الدعاء على الصيغ المجردة دون استحضار مناسبة الاسم المطلوب للمسألة المدعو بها، أو الابتداع في صيغ الذكر بأعداد وهيئات لم يأذن بها الشرع.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ] وقوله تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ].

ب. قوله تعالى [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الدعاء بالاسم الحسنى لغة هو النداء به والتوسل بمقتضاه والالتجاء إلى الصفة التي يتضمنها لتحصيل المقصود.

- الدلالة المنطوقية: الأمر الإلهي في قوله [فَادْعُوهُ بِهَا] يقتضي مشروعية النداء المباشر بالوصفين في الدعاء.

- الدلالة المفهومية: مفهوم المناسبة يقتضي أن سؤال المغفرة والرزق وكشف الضر يناسبه التوسل باسمي الرحمن الرحيم أكثر من التوسل بأسماء البطش والانتقام.

- الدلالة التضمنية: يتضمن التوسل بالرحمن الرحيم إقرار العبد بعجزه وفقره واعترافه بكمال غنى الله وإحسانه.

- الخلاصة: الدعاء بالوصفين عبادة مشروعة تجمع بين الثناء والمسألة.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: ورود الوصفين في فاتحة الكتاب التي هي سورة الدعاء والمناجاة تعليم رباني لآداب افتتاح الدعاء بالثناء.
- الدلالة البلاغية: تقديم الثناء بالرحمة على طلب الهداية [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] أسلوب بلاغي في استعطاف المنعم قبل عرض الحاجة.
- الخلاصة: السورة ترسم المنهج العملي للدعاء المستجاب عبر التقديم بالثناء.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإسراء سوت بين الدعاء باسم الله والدعاء باسم الرحمن في الفضل والمشروعية.

ثانياً: قرائن النظم في دعاء الأنبياء كأيوب عليه السلام تثبت أن التوسل بصفة الرحمة هو سنة المرسلين في الشدائد.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا] في طلب الرحمة مباشرة.

ثانياً: قوله تعالى [فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ] في تعليق الرجاء بسعة الرحمة عند التقصير.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تؤسس لفقه التوسل بالأسماء الحسنى وفق ضوابط الشرع.
- رابعاً: المراد الحقيقي: يشرع للمسلم افتتاح دعائه ومناجاته بالتوسل باسمي الرحمن الرحيم طلباً للفضل والمغفرة، مع اجتناب التحديدات العددية المحدثة.

المسألة السابعة: تلازم الرحمة مع الربوبية والملك في التدبير الكوني والجزائي (في الدلالة)
المراد الحقيقي: بيان أن رحمة الله تعالى تحيط بربوبيته للخلق في الدنيا وبملكه ليوم الدين في الآخرة، فلا ينفك تدبيره ولا جزاؤه عن الرحمة والعدل المحض.
الفهم الخاطئ: الفصل بين صفات الرحمة وصفات الملك والحساب، وتوهم أن يوم الدين يوم عدل مجرد عن الرحمة والفضل في حق المؤمنين.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ] وقوله تعالى [وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ].
ب. قوله تعالى [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التوسط الترتيبي بين لفظين في التركيب يقتضي في اللسان ارتباط المعنى الأوسط بالطرفين معاً وتأثيره فيهما.

- الدلالة المنطوقية: وقوع [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] بين [رَبِّ الْعَالَمِينَ] و[مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] يربط التربية الدنيوية والحساب الأخروي بوصف الرحمة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا الترتيب يرفع وحشة الخوف من الحساب المطلق عند المؤمنين، ويمنع الاغترار بالرحمة دون عمل عند الغافلين.

- الدلالة التضمنية: يتضمن ملك الرحمن ليوم الدين مضاعفة الحسنات وتجاوز السيئات وشفاعة الشافعين بإذنه.

- الخلاصة: الرحمة الإلهية حاكمة على نظام الخلق في البداية ونظام الجزاء في النهاية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: الانتقال من الربوبية إلى الرحمة ثم إلى الملك يرسم تدرجاً نفسياً متوازناً يجمع بين المحبة والرجاء والهيبة.

- الدلالة البلاغية: التوازن الإيقاعي والمعنوي بين الآيات الثلاث يبني تصور المسلم المتكامل عن ربه دون إفراط في الخوف أو تفريط في الرجاء.

- الخلاصة: النظم القرآني يعالج اختلال التوازن النفسي في علاقة العبد بربه.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الفرقان نصت صراحة على أن الملك الحق في يوم القيامة هو للرحمن، مما يصدق توسط الرحمة قبل ذكر الملك في الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم ترفع توهم تعارض العدل والرحمة؛ فالعذاب في الآخرة عدل محض، والنعيم رحمة وفضل محض.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى] في بيان عدل الجزاء وفضل الإحسان.

ثانياً: قوله تعالى [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا] في بيان سريان الرحمة في ميزان الحساب.

- الخلاصة: تلاحم الآيات يثبت أن يوم الدين هو يوم تجلي الرحمة الخاصة بالمؤمنين والعدل في الجاحدين.

- رابعاً: المراد الحقيقي: توسط صفة الرحمة بين الربوبية والملك يقرر أن تدبير الله لخلقه في الدنيا وحكمه فيهم يوم القيامة مبنيان على الرحمة والعدل المحض.

المسألة الثامنة: أسرار تكرار الوصفين في الفاتحة بعد البسملة (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: إفادة التكرار تأسيس معنى جديد في كل موضع؛ ففي البسملة لطلب البركة والاستعانة بالرحمة في ابتداء الفعل، وفي الحمد لتعليل استحقاق الثناء المطلق لله

بكمال رحمته.

الفهم الخاطئ: عدّ التكرار مجرد إطناب لفظي لا يضيف فائدة معنوية، أو الجزم بعدم وجود رابط وظيفي بين الموضعين في سياق السورة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا] وقوله تعالى [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ].

ب. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: إعادة اللفظ في موضعين متقاربين مع اختلاف المتعلَّق النحوي يوجب في قواعد البيان العربي تجدد المعنى بتجدد المتعلَّق.

- الدلالة المنطوقية: ورود الوصفين في الآية الأولى متعلقين بفعل الاستعانة المقدر، وورودهما في الآية الثالثة تابعين لجملة الحمد يثبت اختلاف الوظيفة النظمية.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا التعدد أن العبد مفتقر إلى رحمة الله في بداية عمله استعانة، ومفتقر إليها في نهاية عمله حمداً وشكراً.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التكرار إحاطة الرحمة الإلهية بحركة الإنسان كلها من المبدأ إلى المنتهى.

- الخلاصة: لا يوجد في القرآن تكرار خالٍ من التأسيس المعنوي الدقيق.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: افتتحت السورة بالرحمة وانتظمت في وسطها بالرحمة ليكون جو السورة العام مطبوعاً باللطف والإنعام الإلهي.

- الدلالة البلاغية: الإطناب بالتكرار هنا مقصود لترسيخ صفة الرحمة في وعي القارئ بوصفها الصفة الغالبة في علاقة الخالق بعباده.

- الخلاصة: التناغم اللفظي يخدم الترسخ العقائدي والنفسي لمعاني الرحمة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: في سورة النمل تكرر ذكر الرحمن الرحيم في كتاب سليمان عليه السلام بصيغة البسملة لإظهار هيبة الرسالة ورحمتها في آن واحد.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الرحمن تكرر فيها [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] لتجدد النعم، وهنا تكرر الوصف لتجدد مقامات العبودية بين الاستعانة والحمد.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا] في بيان تجدد الآلاء الموجب لتجدد الذكر.

ثانياً: قوله تعالى [وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ] في بيان تكرر الاسم لتجدد المظاهر.

- الخلاصة: القرائن النصية تثبت أن كل موضع يؤدي وظيفة مستقلة في بناء المعنى الكلي للسورة.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تكرار الرحمن الرحيم في الفاتحة تأسيس بياني محكم؛ فالأول للاستعانة بالرحمة في ابتداء الفعل، والثاني لتعليل الحمد باستمرار النعم.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات والقراءات الشاذة المنسوبة في تغيير إعراب الآية (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال كافة الروايات والقراءات المنسوبة زوراً لرفع أو نصب لفظي الرحمن الرحيم في الفاتحة، وإثبات أن القراءة الواحدة الحقة هي ما في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة بالجر المتواتر عياناً، وأنه لا حجية ولا شرعية لما

خالفه ولو نُسب إلى القراءات السبع أو العشر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بروايات تنصب أو ترفع الرحمن الرحيم في سورة الفاتحة بدعوى التوسع اللغوي أو الانتساب لكتب القراءات المتعددة، وتقديم الروايات الآحادية على النقل الجمعي المتواتر للمصحف.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التواتر العياني المنقول الكافة عن الكافة جيلاً بعد جيل هو القطع اليقيني الذي لا يقبل التعدد ولا التضارب، بخلاف الروايات الآحادية المنسوبة للقراء.

- الدلالة المنطوقية: النطق بالجر في [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] كما هو مضبوط في المصحف المتداول بين الناس هو النص القرآني الوحيد المقطوع به.

- الدلالة المفهومية: مفهوم حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه يبطل كل قراءة تخالف المصحف الموجود بين الناس ويحرم التعبد بها في الصلاة وخارجها.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الاقتصار على القراءة المصحفية الواحدة صيانة القرآن من التحريف اللغوي وإغلاق باب الاختلاف المذموم.

- الخلاصة: للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف المنقول الكافة عن الكافة، وكل ما خالفها باطل لا شرعية له.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: اتصال الجر في الآيات الثلاث الأولى من الفاتحة يحافظ على وحدة النغم والإعراب في مطلع السورة.
- الدلالة البلاغية: الانسجام التام بين الرسم المصحفي وضبطه الإعرابي يعكس إحكام النظم الإلهي وتنزهه عن الاضطراب.
- الخلاصة: البيان القرآني يأبى تعدد الوجوه الإعرابية المخالفة للمصحف المحفوظ.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النساء جعلت انتفاء الاختلاف علامة على ربانية الكتاب، مما يسقط شرعية القراءات المتعددة المخالفة للمصحف.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الحجر تضمن بقاء الذكر محفوظاً في نص واحد متواتر عياناً عبر الأجيال.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] في منع تبديل الألفاظ والحركات عن صورتها المصحفية المحفوظة.

ثانياً: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ] في وجوب لزوم النص الواحد المحفوظ.

- الخلاصة: القانون الحاكم يبطل كافة القراءات المخالفة للمصحف المعروف ويثبت حجية النص المنقول جيلاً عن جيل.
- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي ما في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة بجر [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]، وتبطل كل قراءة تخالفه ولو نُسبت إلى السبع أو العشر.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات الداعية إلى التواكل والاتكال على سعة الرحمة دون عمل (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إثبات أن رحمة الله الخاصة في الآخرة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح والتقوى، وإبطال المرويات والقصص المحدثة التي تزعم شمول رحمة النجاة للعصاة المصرين والمكذبين دون توبة أو عمل.

الفهم الخاطئ: الاغترار بالروايات والحكايات الموضوعة التي تروج لنجاة تاركي الفرائض والمقيمين على الكبائر بمجرد التمني والاتكال على اسم الرحمن الرحيم.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ] وقوله تعالى [وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ].

ب. قوله تعالى [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التمني والغرور في اللسان العربي هما تعلق النفس بالمطلوب مع ترك أسبابه المشروعة، وهو نقيض الرجاء الصادق المقترن بالعمل.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القطعية تحصر كتابة الرحمة الأخروية في المتقين والمحسنين والمؤمنين بالآيات.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الحصر في قوله [قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] يقتضي بعدها عن المسيئين المصرين على المعاصي بلا توبة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن اقتران الرحمة بالعمل الصالح بطلان كل رواية تفتح باب التواكل وتعطل سنن التكليف والجزاء.

- الخلاصة: الرحمة القرآنية دافع للعمل والإحسان وليست ذريعة للتفريط والعصيان.

- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: مجيء [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] قبل إثبات الملك ليوم الدين ثم طلب الهداية للعمل الصالح يقطع الطريق على التواكل السلبي.
- الدلالة البلاغية: التحذير القرآني من الاغترار بالله [وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ] يكشف زيف الخطابات القصصية التي تخدر الوعي الديني بالأماني الكاذبة.
- الخلاصة: السياق القرآني يربط الرجاء بالخوف والرحمة بالتكليف.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأعراف قيدت الرحمة المطلقة بالتقوى وإيتاء الزكاة والإيمان، فأسقطت دعوى النجاة المجانية للغافلين.

ثانياً: قرائن النظم في سورة النساء تبطل الأماني المجردة عن العمل وتجعل الجزاء رهين السعي.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا] في اشتراط العمل لصحة الرجاء.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ] في حصر الرجاء الحق في العاملين.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات بميزان العدل والتكليف ويرد كل ما يصادم محكماته.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل بالقرآن كل رواية أو حكاية تروج للتواكل وتعد العصاة المصرين بالنجاة دون توبة أو عمل صالح؛ إذ رحمة الآخرة مكتوبة للمتقين المحسنين حصراً.

(الفاتحة: 4)

[مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ]

المسألة الأولى: حصر الشرعية في القراءة المصحفية المتواترة (مَالِكِ) وإبطال قراءة (مَلِكِ) وما شابهها (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن اللفظ القرآني الوحيد الصحيح والحجة الشرعية هو [مَالِكِ] بألف بعد الميم كما هو مرسوم ومضبوط في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وإبطال قراءة (ملك) وأي رواية تخالف النص المصحفي المتواتر جيلاً عن جيل ولو نسبت إلى السبع أو العشر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بغير لفظ المصحف بدعوى تعدد القراءات وتكافئها، أو التساهل في إدخال الروايات الفردية في نص التلاوة المحفوظ بالتواتر العياني.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ].

ب. قوله تعالى [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التواتر العياني المنقول الكافة عن الكافة هو اليقين القطعي الذي استقرت عليه الأمة في مصاحفها، وصيغة (مالك) اسم فاعل يدل على تمام الملك والتصرف والاحتواء الفعلي.

- الدلالة المنطوقية: النطق بالمد بالألف بعد الميم [مَالِكِ] ينص على ثبوت هذا الرسم واللفظ وحده في التنزيل المحفوظ دون سواه.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التواتر الجمعي يبطل حجية كل قراءة تخالف المصحف الموجود بين أيدي الناس ويخرجها عن دائرة القرآن المتعبد بتلاوته.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الاقتصار على لفظ [مَالِكِ] صيانة النص الإلهي من التضارب اللفظي وإغلاق باب التنازع في التلاوة.
- الخلاصة: اللفظ المصحفي المتواتر [مَالِكِ] هو القراءة الشرعية الوحيدة وما سواه باطل لا يحتج به.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: المد الصوتي في [مَالِكِ] يمتد في السمع ليملأ وجدان القارئ بهيبة السيادة الإلهية المطلقة على يوم الجزاء.
- الدلالة البلاغية: صيغة اسم الفاعل المتعدي [مَالِكِ] تبرز فاعلية الإرادة الإلهية ونفاذ التصرف في شؤون الخلائق يوم الحساب.
- الخلاصة: النظم المصحفي يجمع بين قطعية النقل الجمعي وكمال الأداء البياني.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية آل عمران جاءت بصيغة [مَالِكَ الْمُلْكِ] بالألف لتؤكد اطراد الاستعمال القرآني لصيغة اسم الفاعل في مقام السيادة الشاملة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة النساء تنفي وقوع الاختلاف في كلام الله، مما يسقط شرعية القراءات المتعددة المخالفة للمصحف.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] في وجوب اتباع النص الواحد المجموع.

ثانياً: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] في لزوم الجادة المحفوظة ونبذ الشواذ.

- الخلاصة: القانون الحاكم يثبت انفراد القراءة المصحفية بالشرعية ويبطل ما عداها.

- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] بالألف كما في المصحف المنقول جيلاً عن جيل، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

المسألة الثانية: دلالة إضافة اسم الفاعل (مَالِكِ) إلى الظرف (يَوْمِ الدِّينِ) عند النحاة والمفسرين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن إضافة اسم الفاعل [مَالِكِ] إلى [يَوْمِ الدِّينِ] إضافة حقيقية على الاتساع الظرفي؛ لإفادة ملكية الله للزمان وما يقع فيه من الحساب والجزاء، ولتعيين وقت انقطاع الملكيات المجازية للمخلوقين.

الفهم الخاطئ: قصر ملكية الله على اليوم الآخر وحده وإخراج الدنيا من سلطانه، أو توهم أن الإضافة لفظية محضة لا تفيد التعريف والتخصيص الكامل.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ] وقوله تعالى [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا].

ب. قوله تعالى [لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: إضافة اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام إلى الظرف في لسان العرب تفيد إحاطة الفاعل بالزمان وتصرفه المطلق في جميع أحداثه.

- الدلالة المنطوقية: التركيب الإضافي [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] يثبت اختصاص الله بالتصرف المنفرد في ذلك اليوم دون منازع.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التخصيص يقتضي زوال الملكيات الاعتبارية التي خولها الله للعباد في الدنيا؛ إذ يظهر في ذلك اليوم أن الملك الحقيقي لله وحده.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب انكشاف الحقائق وسقوط الأنساب والأموال والسلطات البشرية أمام سلطان الخالق.

- الخلاصة: الإضافة تفيد كمال ظهور الملك الإلهي وانقطاع الدعاوى الباطلة في دار الجزاء.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء الآية بعد [رَبِّ الْعَالَمِينَ] يوازن بين ربوبية الدنيا المطبوعة بالإمهال وبين ملك الآخرة المطبوع بالمحاسبة.

- الدلالة البلاغية: التخصيص بالذكر بعد العموم يثير في النفس رهبة الموقف وعظمة ذلك اليوم الذي ينفرد فيه الخالق بالقضاء.

- الخلاصة: البيان القرآني يربط الزمان الأخروي بسلطان المالك المطلق.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الفرقان وصفت الملك يوم القيامة بأنه الملك الحق للرحمن، مما يفسر اختصاص يوم الدين بالذكر في الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة غافر تبرز حقيقة التفرد الإلهي بالسؤال والجواب عند فناء الخلائق.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا] في بيان تجرد الإنسان من ملكه الدنيوي

يوم البعث.

ثانياً: قوله تعالى [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ] في تقرير انفراد الله بالأمر يوم الدين.

- الخلاصة: تكامل الآيات يوضح أن الإضافة لبيان زوال الملكيات العارية وانفراد الخالق بالحكم.

- رابعاً: المراد الحقيقي: إضافة [مَالِكِ] إلى [يَوْمِ الدِّينِ] تفيد ملكية الله للزمان وما فيه من قضاء، وإظهار انفراده بالسلطان بعد زوال ملكيات المخلوقين المجازية.

المسألة الثالثة: التحقيق اللغوي والقرآني لمعنى لفظ الدين وحصره في الجزاء والحساب (في الدلالة)

المراد الحقيقي: تحديد مدلول لفظ [الدِّينِ] في الآية بالمجازاة والمحاسبة على الأعمال وفق موازين العدل والفضل، والتمييز الدقيق بينه وبين الدين بمعنى الملة والشريعة والانقياد.

الفهم الخاطئ: حمل لفظ الدين في هذا السياق على الشريعة والتكاليف الدنيوية، أو تأويل يوم الدين بأحوال نفسية رمزية تنفي حقيقة الحساب والميزان.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] وقوله تعالى [وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ].

ب. قوله تعالى [أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: مادة (دين) في أصل اللسان العربي تدور على القهر والسلطان والمجازاة والمكافأة؛ يقال دانه يدينه ديناً أي جازاه بعمله، ومنه القول السائر كما تدين تدان.

- الدلالة المنطوقية: النطق بلفظ [يَوْمِ الدِّينِ] يعين اليوم الذي تقع فيه المجازاة العادلة لكل عامل بفعله.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التلازم يقتضي أن الدنيا دار عمل بلا جزاء كامل، وأن الآخرة دار جزاء وحساب بلا عمل.

- الدلالة التضمنية: يتضمن إثبات يوم الدين إثبات البعث والحشر ونشر الصحف والموازين القسط.

- الخلاصة: لفظ الدين هنا مصدر بمعنى الجزاء المستحق على الأعمال الاختيارية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: ورود ذكر يوم الدين عقب وصف الله بالرحمن الرحيم يقرر أن الجزاء مبني على الرحمة بالمؤمنين والعدل في المكذبين.

- الدلالة البلاغية: تسمية اليوم باسم الحدث الأعظم الذي يقع فيه وهو الجزاء أسلوب بلاغي يختزل مقاصد القيامة في لفظة واحدة.

- الخلاصة: النظم القرآني يربط التكليف الدنيوي بالمسؤولية الأخروية ربطاً محكماً.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النور فسرت الدين صراحة بالجزاء الحق الذي يوفيه الله للعباد يوم القيامة.
ثانياً: قرائن النظم في آية الصافات [أَإِنَّا لَمَدِينُونَ] تثبت أن المقصود هو المحاسبة والمجازاة بعد الموت والبعث.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ] في سياق القسم على حتمية وقوع الجزاء الأخروي.

ثانياً: قوله تعالى [أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ] في بيان أن إنكار الجزاء هو أصل الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

- الخلاصة: الاستعمال القرآني متطابق في تفسير يوم الدين بيوم الجزاء والحساب.

- رابعاً: المراد الحقيقي: المراد بيوم الدين يوم الجزاء والمحاسبة العادلة التي يوفي الله فيها كل نفس ما كسبت من خير أو شر دون أدنى ظلم.

المسألة الرابعة: البرهان العقلي والنقلي على إثبات المعاد الجسماني والجزاء الأخروي عند الكلاميين (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: وجوب الاعتقاد الجازم بوقوع البعث الجسماني والروحي والحساب الأخروي بوصفه مقتضى الحكمة والعدل الإلهي، وإبطال شبهات المنكرين الذين يقيسون قدرة الخالق على عجز المخلوق.

الفهم الخاطئ: تأويل البعث بمعانٍ روحية مجردة تنكر حشر الأجساد، أو استبعاد إعادة الأبدان بعد تحولها إلى تراب وعظام.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] وقوله تعالى [وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ].

ب. قوله تعالى [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: اليوم في لسان العرب هو المدة الزمنية المحسوسة التي تقع فيها الأحداث، وإضافته للجزاء تقتضي تحقق الوجود الفعلي للمكلفين بأرواحهم وأجسادهم.

- الدلالة المنطوقية: الجزم بكون الله مالكاً ليوم الدين يثبت تحقق وجود هذا اليوم قطعاً؛ إذ يستحيل في كلام الحكيم أن يصف نفسه بملكية أمر معدوم لا وجود له.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الحكمة والعدل يقتضي وجود دار للجزاء ينتصف فيها المظلوم من الظالم؛ وإلا استوى المحسن والمسيء في العاقبة وذلك باطل عقلاً وشرعاً.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الإيمان بيوم الدين الإقرار بكمال علم الله المحيط بأجزاء الأجساد المتفرقة وكمال قدرته على إعادتها.

- الخلاصة: إثبات يوم الدين أصل اعتقادي يقوم على البرهان العقلي والنقلي القاطع.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وضع الإيمان بيوم الدين في صدارة السورة التي يرددها المسلم في كل ركعة يرسخ اليقين بالآخرة كمحرك أساس للسلوك.

- الدلالة البلاغية: الإخبار بصيغة الاسم الثابت [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] يفيد ثبوت هذا الأمر وتحققه كأنه واقع مشاهد لا ريب فيه.

- الخلاصة: البيان القرآني يحول الإيمان بالغيب الأخروي إلى يقين حاضر في وجدان المؤمن.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية يس تقيم البرهان العقلي القطعي على إمكان الإعادة بالقياس الأولوي على الابتداء.

ثانياً: قرائن النظم في سورة المؤمنون تنزه الخالق عن العبثية التي تلزم من إنكار البعث والحساب.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ] في بيان استحالة التسوية بين المتقين والفجار.

ثانياً: قوله تعالى [بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ] في بيان دقة الإعادة الجسمانية إلى أدق التفاصيل.

- الخلاصة: المنظومة القرآنية تبرهن على المعاد بالقدرة الإلهية والحكمة التشريعية والعدل المطلق.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الإيمان بيوم الدين والبعث الجسماني والجزاء الحق ركن ركين من أركان العقيدة، تقتضيه حكمة الخالق وعدله وتبرهن عليه قدرته في الخلق الأول.

المسألة الخامسة: أصل العدل الإلهي وتعلق الجزاء بأفعال العباد الاختيارية (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ولهم مشيئة واختيار معتبر بهما يناط التكليف ويستحق الثواب والعقاب يوم الدين، تحت مشيئة الله وقدرته الشاملة دون جبر يسلب الاختيار أو تفويض ينفي الخلق.

الفهم الخاطئ: الغلو الجبري الذي يسلب العبد قدرته واختياره ويجعل الحساب ظلماً، أو الغلو القدري الذي يزعم خروج أفعال العباد عن خلق الله ومشيئته.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ] وقوله تعالى [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ].

ب. قوله تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الدين بمعنى الجزاء لا يصدق في لسان العرب إلا على فعل صادر من فاعل مختار قاصد؛ أما الفعل القسري فلا يسمى جزاؤه ديناً ولا عدلاً.
- الدلالة المنطوقية: إثبات يوم الدين يقتضي بالضرورة وجود أفعال مكتسبة للعباد يصح أن يجازوا عليها بالثواب أو العقاب.
- الدلالة المفهومية: مفهوم العدل الإلهي المنزه عن الظلم يبطل مذهب الجبرية؛ إذ لا يصح عقلاً أن يعذب الحكيم عبده على فعل لم يختاره ولم يقدر على تركه.
- الدلالة التضمنية: يتضمن كمال ملك الله ليوم الدين أن أفعال العباد واقعة بخلقه وتقديره ومشيئته، مع كونها كسباً واختياراً حقيقياً للعبد.
- الخلاصة: الجزاء الأخروي قائم على التوازن الدقيق بين الخلق الإلهي والكسب الإنساني.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: تعقيب [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] بقول العبد [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] يجمع بين إثبات فعل العبد في العبادة وافتقاره إلى إعانة الرب.
- الدلالة البلاغية: نسبة العبادة والاستعانة إلى ضمير المتكلم بصيغة الفعل المضارع تثبت فاعلية الإنسان وقدرته الكسبية.
- الخلاصة: نظم الفاتحة يحسم الجدل الكلامي بالجمع المحكم بين الإرادة الإنسانية والمشيئة الربانية.
- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة تسند الكسب والاكتساب إلى النفس الإنسانية لترتيب الجزاء عليه يوم القيامة.

ثانياً: قرائن النظم في آية التكوير ترد مشيئة العبد إلى مشيئة الله الشاملة لتمنع دعوى الاستقلال والانفصال.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا] في بيان منح الإنسان حرية الاختيار بعد البيان.

ثانياً: قوله تعالى [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] في ربط الجزاء بالفعل الاختياري ونفي الظلم.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقيم العدل الأخروي على أساس الاختيار الإنساني المحكوم بالمشيئة الإلهية.

- رابعاً: المراد الحقيقي: يثبت يوم الدين مسؤولية الإنسان الكاملة عن أفعاله الاختيارية التي يكسبها بمشيئته تحت قدرة الله وخلقه، مما يحقق تمام العدل الإلهي في الجزاء.

المسألة السادسة: تقييد الملكية الفردية في الفقه الإسلامي بمقتضى الملكية الحقيقية لله (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: تقرير أن ملكية الإنسان للمال والأعيان في الدنيا هي ملكية استخلاف وانتفاع مقيدة بأحكام الشرع، وليست ملكية مطلقة، مما يوجب أداء الحقوق المالية ويحرم الإسراف والاحتكار والإضرار.

الفهم الخاطئ: التوهم بأن ملكية الإنسان لماله تخوله التصرف المطلق فيه بالفساد أو المنع من حقوق الله والعباد بدعوى الحرية الفردية المطلقة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ] وقوله تعالى [وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ].

ب. قوله تعالى [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الاستخلاف في اللسان العربي هو نيابة الغير في التصرف ضمن حدود إذن المستخلف وشروطه، وهو مغاير للملكية الأصلية المطلقة.
- الدلالة المنطوقية: حصر الملكية الحقيقية المطلقة في الله تعالى يوم الدين يكشف حقيقة الملكيات الدنيوية وأنها عارية مستردة.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الاستخلاف يقتضي وجوب تقيد المالك الدنيوي بأوامر المالك الحقيقي في وجوه الكسب والإنفاق والوصية والميراث.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المبدأ الفقهي مشروعية الحجر على السفيه والمبذر ومنع التعاقدات المحرمة كالربا والغرر.
- الخلاصة: الملكية الفردية في الفقه الإسلامي وظيفة اجتماعية وأمانة تكليفية.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: استحضار المصلي في كل صلاة أن الله هو مالك يوم الدين يزهد النفس في التسلط المالي ويهذب سلوك التعاملات الاقتصادية.
- الدلالة البلاغية: نسبته سبحانه المال لنفسه في قوله [مِنْ مَالِ اللَّهِ] أسلوب بلاغي يكسر غرور التملك عند الإنسان.
- الخلاصة: البيان القرآني يربط المعاملات المالية بالرقابة الأخروية.
- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الحديد تصف الإنسان بالمستخلف في المال، مما يوجب عليه الإنفاق في سبيل المالك الأصلي.

ثانياً: قرائن النظم في آية النساء تجعل المال قياماً للمجتمع، فتمنع السفيه من إتلافه ولو كان منسوباً إليه في الظاهر.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] في إثبات الحقوق الواجبة في الملكية الخاصة.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا] في تقييد حرية الاستهلاك الشخصي.

- الخلاصة: الأحكام الفقهية للملكية منبثقة من عقيدة تفرد الله بالملك المطلق.

- رابعاً: المراد الحقيقي: ملكية البشر في الدنيا ملكية استخلاف مقيدة بضوابط الشرع، تترتب عليها فروض الزكاة والنفقات ويحرم معها التبذير والربا وأكل أموال الناس بالباطل.

المسألة السابعة: أحكام انعقاد اليمين والالتزام الشرعي بصفة مالك يوم الدين (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: انعقاد اليمين الشرعية وترتب أحكام النذر والإقرار القضائي إذا حلف المكلف أو التزم بصفة من صفات الله المختصة به كقوله (ومالك يوم الدين)، لكونه اسماً ووصفاً خاصاً بالذات الإلهية لا يطلق على غيره.

الفهم الخاطئ: التوهم بأن اليمين لا تنعقد إلا بلفظ الجلالة (الله) دون غيره من الأسماء والصفات الخاصة، أو التهاون في الحلف بصفات الله المختصة بدعوى عدم صراحتها.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ] وقوله تعالى [وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ].

ب. قوله تعالى [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: اليمين في الفقه واللسان هي توكيد المحلوف عليه بذكر معظم على وجه مخصوص؛ وكل وصف يختص بالله تعالى دال على ذاته العلية.

- الدلالة المنطوقية: إضافة الملك إلى يوم الدين تعيّن الموصوف بالله وحده قطعاً؛ إذ لا يشاركه في هذا الوصف ملك مقرب ولا نبي مرسل.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الاختصاص يقتضي أن الحلف بـ (مالك يوم الدين) يأخذ حكم الحلف بلفظ الجلالة في وجوب البر ولزوم الكفارة عند الحنث.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم تعظيم أسماء الله وصفاته ومنع الاستهانة بها في المعاملات والخصومات.

- الخلاصة: الصفات المختصة بالله تنعقد بها الأيمان وتترتب عليها الكفارات الفقهية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: اقتران هذا الوصف بالحمد والربوبية والرحمة في مطلع الكتاب يثبت جلالته وعظمته في قلوب المكلفين.

- الدلالة البلاغية: الإضافة المعرفية هنا تفيد التعريف الكامل بالذات الإلهية بما يغني عن التصريح بالاسم العلم.

- الخلاصة: البيان القرآني يرسخ قدسية الأوصاف الإلهية الخاصة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإسراء تقرر تساوي الأسماء الحسنى في الدلالة على الذات الإلهية وتعظيمها.

ثانياً: قرائن النظم في آية الانفطار تمنع اشتراك أي مخلوق في ملكية يوم الدين فترفع احتمال اللبس في اليمين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ] في وجوب صيانة أسماء الله وصفاته عن الابتذال.

ثانياً: قوله تعالى [وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ] في إلزام المكلف بالوفاء بما عقده بأسماء الله وصفاته.

- الخلاصة: الفقه القرآني يربط قدسية اليمين باختصاص الوصف بالخالق.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تنعقد اليمين الشرعية وتلزم الكفارة بالحنث إذا حلف المكلف بقوله (ومالك يوم الدين)، لكونه وصفاً مختصاً بالله تعالى دالاً على ذاته العلية.

المسألة الثامنة: وظيفة الآية في تأسيس الرقابة الذاتية وتحقيق التوازن النفسي بين الخوف والرجاء (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: تأسيس الرقابة الذاتية المستمرة في ضمير المسلم عبر تكرار تلاوة هذه الآية في الصلوات الخمس، مما يحقق التوازن النفسي بين الخوف من العدل والرجاء في الرحمة ويمنع الظلم والفساد في الأرض.

الفهم الخاطئ: الاقتصار في فهم الآية على الجانب المعلوماتي المجرد عن الآخرة دون ربطها بإصلاح السلوك الواقعي وتقويم المعاملات اليومية.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ] وقوله تعالى [وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ].

ب. قوله تعالى [الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاستحضار والذكر في اللسان العربي هما إبقاء المعنى حياً في الوعي ليكون حاكماً على الإرادة والتصرف.

- الدلالة المنطوقية: تكرير القارئ لصفة [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] في كل ركعة يجدد عهد المساءلة في ذهنه باستمرار.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التلازم التربوي يقتضي أن من أيقن بوقوفه بين يدي مالك يوم الدين امتنع عن ظلم العباد وأكل الحقوق في الخفاء.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاستحضار تحرير الإنسان من الخوف من المخلوقين والاعتماد على عدل الخالق عند العجز عن استيفاء الحق في الدنيا.

- الخلاصة: الإيمان بيوم الدين هو الضمانة الأخلاقية والاجتماعية الكبرى لاستقامة الإنسان.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وقوع الآية قبل إعلان العبودية المطلقة [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] يجعل الباعث على الطاعة هو اليقين باللقاء والجزاء.

- الدلالة البلاغية: الجمع بين صفات الترغيب في الرحمة وصفة الترهيب في ملك يوم الدين يحدث توازناً عاطفياً وعقلياً يمنع اليأس والأمن من مكر الله.

- الخلاصة: البناء البلاغي للسورة يصنع شخصية متوازنة تجمع بين الخشية والرجاء.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة تجعل اليقين بملاقاة الله والرجوع إليه هو السر في الخشوع واستسهال الطاعات.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الكهف تصور دقة الإحصاء في كتاب الأعمال لتعزيز الرقابة الذاتية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ] في تعليل التطفيف والغش بالغفلة عن يوم الحساب.

ثانياً: قوله تعالى [يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ] في التحذير من عواقب الأعمال.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تربط الإصلاح السلوكي والاجتماعي بمدى حضور يوم الدين في الوعي.

- رابعاً: المراد الحقيقي: استحضار ملك الله ليوم الدين في كل صلاة يبني ضميراً حياً ورقابة ذاتية تردع عن الظلم وتبعث على الإحسان والعدل.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في تفويض ملك يوم الدين أو الشفاعة المطلقة للمخلوقين بغير إذن الله (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إثبات أن الشفاعة والسلطان يوم الدين ملك لله وحده لا يملكها نبي ولا ملك ولا ولي إلا بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له، وإبطال المرويات والاعتقادات التي تمنح المخلوقين حق الشفاعة المستقلة أو تشمل المشركين والظالمين المصرين.

الفهم الخاطئ: الاعتماد على مرويات وحكايات شعبية تزعم أن الانتساب للأشخاص أو التعلق بالوسطاء يوجب النجاة يوم الدين ولو مات الإنسان على الشرك أو المظالم دون توبة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] وقوله تعالى [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ].

ب. قوله تعالى [فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الشفاعة لغة هي الانضمام إلى الغير نصرةً له وسؤالاً في حاجته؛ وهي في يوم الدين مقيدة بسلطان المالك المطلق لذلك اليوم.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القطعية تحصر ملكية الشفاعة كلها في الله تعالى وتنفي وقوعها إلا بإذنه.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الاستفهام الإنكاري في آية الكرسي يبطل أي دعوى لشفاعة تفرض على الله أو تجبره على تغيير حكمه العادل.

- الدلالة التضمنية: يتضمن تفرد الله بملك يوم الدين سقوط كافة الوسائط البشرية التي تتوهم القدرة على تخليص أتباعها من العذاب.

- الخلاصة: الشفاعة يوم الدين مظهر من مظاهر رحمة المالك وإكرامه للشافع بإذنه وليست حقاً ذاتياً لمخلوق.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: حصر الملك في الله يوم الدين ثم إفراده بالعبادة والاستعانة [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] يقطع الطريق على اتخاذ الوسطاء والشفعاء من دون الله.

- الدلالة البلاغية: الحصر الصريح في قوله [لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا] أسلوب قصر قاطع يمحو أوهام التعلق بغير الله.

- الخلاصة: السياق القرآني يصون التوحيد من شوائب الوساطة الأخروية الموهومة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنبياء قيدت الشفاعة برضا الله عن المشفوع له، فلا تشمل كافراً ولا مشركاً ولا ظالماً لم يرتضه الله.

ثانياً: قرائن النظم في سورة المدثر تنفي نفع الشفاعة عن المجرمين المفرطين في الفرائض والمكذبين بيوم الدين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا] في جمع شرطي الإذن والرضا.

ثانياً: قوله تعالى [مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ] في نفي الشفاعة عن الظالمين.

- الخلاصة: القرآن يرد كل رواية تجعل الشفاعة وسيلة لإسقاط التكاليف أو مساواة الظالم بالمظلوم.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الشفاعة يوم الدين ملك لله وحده لا تقع إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع له، وتبطل كافة المرويات التي تجعل المخلوقين شركاء في الملك أو شفعاء للمشركين والظالمين.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات والأساطير المحدثة في صكوك النجاة وإسقاط الحساب على مثاقيل الذر (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات الموضوعة والحكايات المخترعة التي تدعي نجاة العبد من الحساب يوم الدين بمجرد حمل أوراق مكتوبة أو زيارة مشاهد معينة أو ترديد عبارات مع ترك أركان الدين وإضاعة حقوق العباد.

الفهم الخاطئ: التصديق بالمرويات المكذوبة التي تمنح صكوك براءة من عذاب الآخرة بأعمال شكلية تافهة وتهدم مبدأ الحساب الدقيق على مثاقيل الذر.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ] وقوله تعالى [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا].

ب. قوله تعالى [فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: القسط والميزان في لسان العرب هما العدل التام الذي لا يقبل المحاباة ولا التزوير ولا إسقاط الحقوق بغير عوض.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القرآنية تقرر شمول السؤال والحساب للخلق أجمعين وإحضار مثاقيل الذر وحبات الخردل.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الشمول في قوله [لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ] يبطل كل رواية تزعم استثناء طائفة من الحساب بمجرد الانتماء الشكلي أو الطقوس البدعية.

- الدلالة التضمنية: يتضمن قيام الموازين القسط رد المظالم لأهلها واقتصاص المظلوم من الظالم بالعدل المحض.

- الخلاصة: ميزان يوم الدين قائم على العمل الصالح وتطهير الذمة من الحقوق لا على الخرافات والمنامات.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وضع وصف [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] في أم الكتاب التي هي أساس الدين يقطع الطريق على أي تأويل يفرغ يوم الحساب من جديته وصرامته.

- الدلالة البلاغية: القسم الإلهي المؤكد باللام والنون في قوله [فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ] يهدم كل أوهام الإفلات من المساءلة.

- الخلاصة: البيان القرآني يواجه خرافات النجاة المجانية بحتمية العرض والحساب.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنبياء تثبت دقة الموازين الأخروية إلى حد مثقال حبة من خردل، مما يسقط مرويات التهاون بالمعاصي والمظالم.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الإسراء تجعل عمل كل إنسان ملازماً له في عنقه لا ينفك عنه حتى يحاسب عليه.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَنْ تَنَفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ] في إبطال الانتفاع بالأنساب مع فساد العمل.

ثانياً: قوله تعالى [يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ] في بيان فردية المسؤولية والجزاء.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات بميزان القسط الإلهي ويرفض كل ما يعطل سنن الجزاء.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات والأساطير المحدثة التي تعد بالنجاة من الحساب دون عمل صالح أو رد للمظالم؛ إذ يوم الدين قائم على الموازين القسط التي تحاسب على مثاقيل الذر.

(الفاتحة: 5)

[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]

المسألة الأولى: حصر الشرعية في القراءة المصحفية المتواترة (إِيَّاكَ) وإبطال القراءات الشاذة المنسوبة في لفظها (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن القراءة القرآنية الوحيدة الصحيحة والحجة الشرعية هي [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] بكسر الهمزة وتشديد الياء المفتوحة مع فتح الكاف، كما هو مرسوم ومضبوط في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وإبطال الروايات القرائية التي تروي تخفيف الياء أو فتح الهمزة أو إبدالها هاءً ولو نُسبت إلى السبع أو العشر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بروايات آحادية تخفف الياء المشددة أو تبدل الهمزة بدعوى اللهجات العربية القديمة، أو التسوية بين النص المصحفي المتواتر جيلاً عن جيل وبين الروايات القرائية المتعددة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى [وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الضمير المنفصل [إِيَّاكَ] في لسان العرب مبني على تشديد الياء للمخاطب المذكر، وتخفيف الياء يخرجه عن دلالته إلى معنى ضوء الشمس مما يحيل المعنى ويفسد المقصد.

- الدلالة المنطوقية: النطق بالضمير المشدد في الموضعين كما هو مضبوط في المصحف المتداول بين الناس ينص على ثبوت هذا الرسم الصوتي وحده دون سواه.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التواتر العياني المنقول الكافة عن الكافة يبطل شرعية كل رواية تخالف هذا الضبط ويحرم التلاوة بها في الصلاة وخارجها.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الاقتصار على القراءة المصحفية الواحدة صيانة ركن الفاتحة من اللحن المحيل للمعنى وإغلاق باب الاختلاف المذموم.

- الخلاصة: القراءة المصحفية المتواترة هي الحجة القطعية الوحيدة، وكل ما خالفها من قراءات باطل لا شرعية له.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تكرير الضمير المشدد في مقام الخطاب المباشر يمنح المناجاة قوة صوتية تجسد صدق التوجه القلبي نحو المعبود سبحانه.

- الدلالة البلاغية: النبر الصوتي على الياء المشددة في [إِيَّاكَ] يركز انتباه المصلي على ذات المخاطب المنفرد بالعبادة.

- الخلاصة: الضبط المصحفي يحفظ كمال الفصاحة وقطعية التلقي الجمعي.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الحجر تضمن بقاء الذكر محفوظاً في نص واحد متواتر عبر الأجيال دون تحريف في الحروف أو الحركات.

ثانياً: قرائن النظم في سورة النساء تنفي الاختلاف عن التنزيل، فتسقط حجية الروايات القرائية المتعارضة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] في وجوب التزام القراءة الواحدة المحفوظة.

ثانياً: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] في نبذ الشواذ والروايات المخالفة للمصحف.

- الخلاصة: القانون الحاكم يرد كافة القراءات المخالفة للمصحف المعروف ويثبت حجية النص المنقول جيلاً عن جيل.

- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] بتشديد الياء كما في المصحف المنقول الكافة عن الكافة، وتبطل كل قراءة تخالف ذلك ولو نسبت إلى السبع أو العشر.

المسألة الثانية: بلاغة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في سياق الفاتحة (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الانتقال البلاغي من صيغة الغيبة في الآيات السابقة إلى صيغة الخطاب المباشر في قوله [إِيَّاكَ] يحقق ذروة القرب والمناجاة بين العبد وربه بعد أن استحضرت النفس صفات كماله واستحقاقه للحمد.

الفهم الخاطئ: عدّ هذا التحول في الضمائر مجرد تنويع أسلوبي خالٍ من الغرض التربوي والاعتقادي، أو توهم اضطراب سياق الضمائر في النظم العربي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] وقوله تعالى [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ].

ب. قوله تعالى [حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الالتفات في علم المعاني العربي هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر لتنشيط السامع وإيقاظ الوعي وإحداث أثر نفسي يتناسب مع المقام.
- الدلالة المنطوقية: الانتقال من الحديث عن الغائب الموصوف بالربوبية والرحمة والملك إلى مخاطبته بكاف الخطاب [إِيَّاكَ] يثبت انتقال العبد من مقام الإخبار إلى مقام الحضور.
- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا التدرج يقتضي أن العبادة الحقة لا تصح من قلب غافل، بل هي ثمرة المعرفة المسبقة بصفات المعبود واستشعار قربه.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الخطاب المباشر إسقاط كافة الوسائط البشرية والمادية بين العبد وخالقه في لحظة المناجاة.
- الخلاصة: الالتفات في الآية ينقل العبد من دائرة التعرف النظري إلى دائرة الحضور التعبدي.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: توسط الآية بين الثناء في النصف الأول من السورة والدعاء بالهداية في النصف الثاني يجعلها محور الارتكاز في الفاتحة.
- الدلالة البلاغية: مخاطبة الخالق بـ [إِيَّاكَ] بعد استحضار صفات الجلال والجمال تشعر العبد أنه واقف بين يدي ملك قريب مجيب.
- الخلاصة: النظم المعجز يحرك وجدان المصلي ويخرجه من فتور العادة إلى يقظة المناجاة.
- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة تقرر قرب الله المباشر من عباده الداعين دون حاجة إلى ترجمان أو وسيط، وهو ما يجسده خطاب [إِيَّاكَ].

ثانياً: قرائن النظم في سورة يونس تؤكد اطراد أسلوب الالتفات في القرآن لتعميق التأثير الشعوري في المخاطب.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ] في ربط العبادة بتحقيق القرب المعنوي من الله.

ثانياً: قوله تعالى [فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ] في تمييز الخطاب التوحيدي الصادق عن خطاب المشركين.

- الخلاصة: البلاغة القرآنية توظف الالتفات لبناء علاقة مباشرة حية بين الخالق والمخلوق.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في [إِيَّاكَ] ينقل العبد من مقام الثناء والخبر إلى مقام الحضور والمناجاة المباشرة بلا وسيط.

المسألة الثالثة: إفادة تقديم المفعول به (إِيَّاكَ) على الفعل (نَعْبُدُ) للحصر والقصر التوحيدي (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن تقديم الضمير المنفصل [إِيَّاكَ] على عامله [نَعْبُدُ] و[نَسْتَعِينُ] يفيد القصر الحقيقي والاختصاص المطلق؛ أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، مما يهدم الشرك في القصد والعمل.

الفهم الخاطئ: عدّ التقديم مجرد زينة لفظية لا تفيد الاختصاص والحصر، أو تجويز صرف شيء من أنواع العبادة والاستعانة الغيبية لغير الله مع إثباتها لله.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ] وقوله تعالى [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ].

ب. قوله تعالى [بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: تقديم المعمول الذي حقه التأخير في لسان العرب موضوع للاهتمام والاختصاص وقصر الحكم على المقدم ونفيه عما عداه.

- الدلالة المنطوقية: النطق بـ [إِيَّاكَ] قبل [نَعْبُدُ] وقبل [نَسْتَعِينُ] يثبت قصر العبادة والاستعانة على الله وحده نطقاً وقصداً.

- الدلالة المفهومية: مفهوم القصر يبطل أي عبادة أو استعانة غيبية بتأليه توجه لملك مقرب أو نبي مرسل أو ولي أو صنم، ويجعلها شركاً محبطاً للعمل.

- الدلالة التضمنية: يتضمن تكرار الضمير المقدم [إِيَّاكَ] مع كل فعل تأكيد استقلال كل من العبادة والاستعانة بالاختصاص الإلهي وعدم الاكتفاء بالعطف المجرد.

- الخلاصة: التركيب النحوي يجسد كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) نفياً وإثباتاً.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تصدير جملة العهد والميثاق باسم المعبود قبل ذكر فعل العابد يعلي من شأن المعبود ويجعل وجود العبد تابعاً لربه.

- الدلالة البلاغية: القصر بالتقديم أبلغ من القصر بـ (إنما) أو (إلا) في مقام المناجاة؛ لأنه يبدأ بذكر المحبوب المعظم قبل ذكر الفعل.

- الخلاصة: البيان القرآني يطهر القلب من الالتفات إلى الأغيار قبل النطق بالعبادة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإسراء صرحت بالنفي والاستثناء [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ]، ففسرت معنى التقديم في الفاتحة بأنه قصر حقيقي مانع من الشرك.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الزمر [بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ] تؤكد أن تقديم المفعول في باب العبادات يفيد التوحيد الخالص.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] في بيان الجمع بين إثبات العبادة لله ونفيها عن سواه.

ثانياً: قوله تعالى [أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ] في إنكار صرف العبادة لغير المقدم بالذكر.

- الخلاصة: قواعد اللسان ونصوص القرآن متطابقة على أن التقديم في الآية هو عين التوحيد الخالص.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تقديم [إِيَّاكَ] يفيد القصر الحقيقي والاختصاص المطلق، بمعنى إفراد الله وحده بالعبادة والاستعانة ونفيهما عما سواه.

المسألة الرابعة: حقيقة العبادة في الاصطلاح الشرعي وشمولها لأعمال القلوب والجوارح (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: تحديد حقيقة العبادة بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، مع قيامها على ركني كمال المحبة وكمال الذل والخضوع وفق الشرع المنزل.

الفهم الخاطئ: قصر مفهوم العبادة على الشعائر التعبدية المحضة كالصلاة والصيام وإخراج المعاملات والأخلاق والأنظمة الاجتماعية من دائرة التعبد، أو ابتداع عبادات لم يأذن بها الله.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ] وقوله تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ].

ب. قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: العبادة في أصل اللسان العربي هي التذلل والانقياد والخضوع التام؛ يقال طريق معبد أي مذلل، ولا تكتمل في الشرع إلا باجتماع غاية الحب مع غاية الذل.

- الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة الجمع في قوله [نَعْبُدُ] يثبت أن العبادة وظيفة شاملة للفرد والجماعة تستغرق سائر تصرفات المكلف.

- الدلالة المفهومية: مفهوم شمول العبادة يقتضي أن كل فعل مباح يقصد به وجه الله ويتقيد بأحكامه يدخل في مسمى العبادة المأجورة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المفهوم شرطين لصحة كل عبادة؛ الإخلاص لله وحده والمتابعة الصادقة للوحي دون ابتداع.

- الخلاصة: العبادة منهج حياة شامل يجمع بين التذلل القلبي والانقياد الجوارحي.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء [نَعْبُدُ] بعد وصف الله بالربوبية والرحمة والملك يبين أن العبادة حق واجب للخالق وثمرة لمعرفته.

- الدلالة البلاغية: الإطلاق في الفعل المضارع [نَعْبُدُ] دون تقييد بمفعول أو زمان يفيد التجدد والاستمرار والشمول لجميع أنواع الطاعات.

- الخلاصة: النظم القرآني يحرر مفهوم العبادة من التجزئة والطقوسية الضيقة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنعام جمعت بين الشعائر التعبدية وبين الحياة والممات وجعلتها كلها لله، مما يثبت شمول العبادة لكل شؤون الإنسان.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الذاريات تجعل العبادة هي الغاية الكونية الكبرى من خلق الجن والإنس.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] في بيان شرطي الصلاح والإخلاص.

ثانياً: قوله تعالى [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] في إثبات استمرار التكليف بالعبادة إلى الممات.

- الخلاصة: الفقه القرآني يربط صحة العبادة بالإخلاص والمتابعة واستيعابها للحياة كلها.

- رابعاً: المراد الحقيقي: العبادة هي التذلل المطلق لله محبة وتعظيماً في سائر الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولا تقبل إلا بالإخلاص لله وموافقة شرعه.

المسألة الخامسة: التلازم الاعتقادي بين العبادة والاستعانة والرد على الجبرية والقدرية (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن العبد محتاج إلى إعانة الله وتوفيقه في فعل العبادة وفي سائر أمور دينه ودنياه، وأن الجمع بين [نَعْبُدُ] و[نَسْتَعِينُ] يبطل مذهب الجبرية السالب لفعل العبد، ويبطل مذهب القدرية المنكر لخلق الله لأفعال العباد وتوفيقه لهم.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد باستقلال العبد بقدرته على الطاعة دون توفيق الله وإعانته، أو التذرع بالقدر لترك العبادة بدعوى أن العبد مجبور مسلوب الإرادة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] وقوله تعالى [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ].

ب. قوله تعالى [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاستعانة في اللسان العربي هي طلب العون والمدد والقدرة على إنجاز الفعل من القادر عليه، وهي اعتراف بالعجز الذاتي والافتقار التام.

- الدلالة المنطوقية: إسناد العبادة والاستعانة إلى ضمير المتكلم [نَعْبُدُ] و[نَسْتَعِينُ] يثبت أن العبد هو الفاعل المباشر للعبادة وطالب العون حقيقة.

- الدلالة المفهومية: مفهوم العطف والتلازم يقتضي أن العبد لا يستطيع تحقيق العبادة إلا بإعانة الله، وأن الاستعانة بالله وسيلة لتحقيق غاية العبادة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الجمع إثبات قدرة العبد الكسبية مع إثبات خضوعها المطلق لمشيئة الله وخلقه وتوفيقه.

- الخلاصة: الآية ميزان اعتقادي يفصل بين التوحيد الخالص وبين ضلالات الجبر والتفويض.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تقديم [نَعْبُدُ] على [نَسْتَعِينُ] يرتب الغاية على الوسيلة؛ فالعبادة هي الغاية التي خلق لأجلها الخلق والاستعانة هي الوسيلة الموصلة إليها.

- الدلالة البلاغية: التوازن اللفظي والمعنوي بين الفعلين يقطع دابر العجب بالنفس عند الطاعة واليأس عند العجز.

- الخلاصة: البيان القرآني يوازن بين مسؤولية المكلف وافتقاره الدائم لخالقه.

- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية هود جمعت بين الأمر بالعبادة والأمر بالتوكل في سياق واحد، وهو عين الجمع بين العبادة والاستعانة في الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم في آية التكوير ترد مشيئة الإنسان إلى مشيئة الله، فتنفي استقلال المخلوق بفعله.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [قَالَ رَبِّ أَعِنِّي عَلَىٰ قَوْمِي] في بيان افتقار الأنبياء أنفسهم إلى إعانة الله في أداء الرسالة.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا] في إثبات أن الهداية والطاعة محض توفيق وإعانة من الله.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقيم العقيدة على التوسط الحق بين إثبات فعل العبد وإثبات تفرد الله بالخلق والتوفيق.
- رابعاً: المراد الحقيقي: العبادة غاية والاستعانة وسيلة، والعبد فاعل لطاعته باختياره ولكنه مفتقر في كل لحظة إلى خلق الله وتوفيقه وإعانته دون جبر ولا تفويض.

المسألة السادسة: ضوابط الاستعانة بالمخلوقين والتمييز بين الفعل المجرد وبين التأليه الموجب للشرك (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: تقرير أن الاستعانة بغير الله في أصلها فعل بشري مجرد ليست عبادة ولا شركاً إلا إذا اقترنت بقصد التأليه للمستعان به، أما الحكم الفقهي في الاستعانة بالمخلوقين فيتنوع بين الجواز في الأسباب الظاهرة المشروعة وبين المنع أو الحرمة الفقهية فيما لا يقدر عليه إلا الله أو بالوسائل غير المشروعة، دون إلحاق الفعل الخالي من التأليه بالشرك.

الفهم الخاطئ: الخلط بين مناط الشرك الاعتقادي ومناط الحرمة الفقهية، وتكفير أو تشريك من

استعان أو استغاث بمخلوق حي أو ميت دون أن يقصد تأليهه وعبادته من دون الله، أو تسويغ ترك الأسباب المشروعة بدعوى قصر الاستعانة على الله.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ] وقوله تعالى [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا].

ب. قوله تعالى [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاستعانة في أصل لسان العرب هي طلب العون والمؤازرة من الغير، وهي فعل محايد في ذاته لا يكتسب صفة العبادة إلا بقيام قصد التأليه في قلب الطالب، بينما يتحدد حكمه الفقهي بالحل أو الحرمة بحسب الدليل الشرعي ومقدور المستعان به.

- الدلالة المنطوقية: قصر الاستعانة في قوله [وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ينص على إفراد الله بالاستعانة التعبدية القائمة على التأليه والتوكل المطلق على الخالق.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التمييز الأصولي يقتضي أن الاستعانة أو الاستغاثة بالمخلوق الحي أو الغائب أو الميت إذا خلت من قصد التأليه لا تكون شركاً بالله، وإنما يُنظر في حكمها الفقهي؛ فتجوز في الأسباب المقدورة للمخلوق الحي الحاضر، وتمنع فقهياً وتعد لغواً أو محرماً إذا طلبت من عاجز أو ميت لا يملك نفعاً ولا ضراً.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط الفقهي تحريم الاستعانة بالمخلوقين على الإثم والعدوان، وصيانة دماء المسلمين وأعراضهم من التكفير والتشريك بمجرد الأفعال المجردة عن التأليه.

- الخلاصة: الشرك محصور في تأليه غير الله، والاستعانة بالمخلوق بلا تأليه ليست شركاً، بل تتوزع أحكامها الفقهية بين الإباحة والمنع بحسب الدليل والقدرة.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: قرن الاستعانة بالعبادة في قوله [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] يربط الاستعانة المحظورة اعتقاداً بما كان على وجه العبادة والتأليه، ويترك التعاون البشري في دائرة المباحات والأوامر الشرعية.

- الدلالة البلاغية: الفصل الواضح بين قصر العبادة والتأليه على الله وبين طلب العون في الأسباب الظاهرة يرفع الحرج عن المكلفين ويضبط ميزان الحكم على الأفعال.

- الخلاصة: النظم القرآني يفصل بدقة بين التوحيد الاعتقادي وبين الأحكام الفقهية للمعاملات والأسباب.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الكهف أثبتت طلب ذي القرنين العون المادي من القوم لبناء السد، فبينت أن مجرد طلب العون من المخلوقين فعل مباح لا يمس التوحيد.

ثانياً: قرائن النظم في سورة فاطر تبطل جدوى دعاء المخلوقين العاجزين والأموات وتبين عدم سماعهم، مما يوجب المنع الفقهي من التوجه إليهم لعدم الفائدة ومخالفة الدليل، مع بقاء مناط الشرك منوطاً بقصد التأليه.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ] في إثبات أن لفظ الاستغاثة بالمخلوق فعل بشري واقع في كتاب الله بلا تأليه ولا شرك.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] في قصر الشرك الأكبر المخرج من التوحيد على تأليه غير الله وعبادته.

- الخلاصة: الفقه القرآني يفرق بين الحكم الاعتقادي المنوط بقصد التأليه وبين الحكم الفقهي المنوط بالدليل والمصلحة والمقدور.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الاستعانة بالمخلوق بغير قصد التأليه ليست عبادة ولا شركاً بالله؛ بل تجوز فقهياً في الأسباب الظاهرة المقدورة للمخلوق الحي، وتمنع فقهياً وتعد محرماً أو لغواً فيما لا يقدر عليه إلا الله أو مع الأموات والغائبين بحسب الدليل.

المسألة السابعة: دلالة صيغة الجمع (نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُ) على وحدة الأمة ومشروعية الجماعة (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن عدول المصلي المنفرد عن ضمير المفرد (أعبد وأستعين) إلى ضمير الجمع [نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ] يفيد استحضار وحدة الأمة المؤمنة والتواضع لله بالانضمام إلى سلك العابدين والملائكة المقربين.

الفهم الخاطئ: قصر دلالة الجمع على حالة صلاة الجماعة دون صلاة المنفرد، أو توهم أن المصلي المنفرد يخبر بضمير التعظيم عن نفسه.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ] وقوله تعالى [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا].

ب. قوله تعالى [وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: نون المتكلم مع الغير في اللسان العربي تستعمل لإدخال المتكلم نفسه في جماعة تشاركه الفعل والصفة، وفي مقام العبودية تفيد التواضع والافتقار لا التعظيم.
- الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة الجمع في الصلاة الفردية والجماعية يدمج المصلي في موكب العابدين لله في السماوات والأرض.
- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا الاشتراك يقتضي أن دعاء المؤمن لنفسه بالهداية في الفاتحة مقرون بدعائه لإخوانه المؤمنين.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الأسلوب بناء الوعي الجماعي للأمة وإذابة الفردية والأنانية في رحاب العبودية لله.
- الخلاصة: صيغة الجمع في الآية تؤسس لوحدة الصف التعبدي والتكافل الروحي بين المؤمنين.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: الانتقال من [رَبِّ الْعَالَمِينَ] إلى [نَعْبُدُ] يجمع الخلائق المؤمنة من كل الأجناس في صف واحد أمام ربهم الواحد.
- الدلالة البلاغية: التواضع البلاغي في تخفيف عرض عبادة الفرد الضعيفة بضمها إلى عبادة الملائكة والأنبياء والصالحين يرجي القبول.
- الخلاصة: النظم القرآني يربي المسلم على روح الجماعة والانتماء للأمة الواحدة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنبياء تربط وحدة الأمة بوحدة الربوبية والعبادة، وهو ما تطبقه الفاتحة عملياً في [نَعْبُدُ].

ثانياً: قرائن النظم في أدعية المؤمنين في القرآن ترد غالباً بصيغة الجمع [رَبَّنَا] لتأكيد الأخوة الإيمانية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] في تقرير الرابطة الإيمانية الجامعة.

ثانياً: قوله تعالى [وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ] في الحث على أداء الشعائر في جماعة.

- الخلاصة: القرآن يغرس روح الجماعة والتآلف في صلب المناجاة الفردية والجماعية.

- رابعاً: المراد الحقيقي: صيغة الجمع في [نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ] تفيد التواضع لله واندماج المصلي في جماعة المؤمنين والملائكة، مما يرسخ وحدة الأمة ويجلب القبول.

المسألة الثامنة: مشروعية صلاة الجماعة وأثر الآية في تنظيم العلاقة بين الإمام والمأموم (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: استنباط مشروعية صلاة الجماعة من صيغة الجمع في الآية، ووجوب قراءة المأموم للفاتحة في الصلاة الجهرية والسرية تحقيقاً لكونه متكلماً بهذا العهد والميثاق مع ربه.

الفهم الخاطئ: إسقاط قراءة الفاتحة عن المأموم في الصلاة الجهرية بدعوى الاكتفاء بقراءة الإمام، مما يحرم المأموم من النطق بعهد العبادة والاستعانة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ] وقوله تعالى [فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ].

ب. قوله تعالى [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الخطاب التعبدي في الفاتحة مناجاة شخصية وعهد يقطعه كل مصلٍ على نفسه أمام ربه؛ والعهد القولي لا ينوب فيه أحد عن أحد.

- الدلالة المنطوقية: النطق بقوله [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] هو صلب المناجاة التي لا تتحقق للمأموم إلا بتلفظه بها.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الركنية في الفاتحة يوجب على كل مصلٍ إماماً كان أو مأموماً أو منفرداً أن يقرأها بتمامها في كل ركعة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الجمع بين قراءة المأموم للفاتحة وإنصاته لقراءة الإمام في السورة بعدها تطبيق جميع النصوص دون تعارض.

- الخلاصة: الفاتحة ركن عيني على كل مصلٍ لا يسقط عن المأموم بحال.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: السورة بأكملها مصاغة على لسان العبد الداعي الملتزم بالعبودية، فلا يصح أن يقف المأموم صامتاً عن إعلان عبوديته لله.

- الدلالة البلاغية: الحيوية الحوارية في السورة تقتضي مشاركة كل فرد في النطق بألفاظها.

- الخلاصة: النظم التعبدي للسورة يحمل كل مكلف مسؤولية النطق بميثاقه مع الله.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة تأمر بالركوع مع الراكعين، وهو نص في مشروعية صلاة الجماعة التي تجسد معنى [نَعْبُدُ].

ثانياً: قرائن النظم في آية الأعراف تأمر بالإنصات للقراءة، ويُجمع بينها وبين ركنية الفاتحة بأن ينصت المأموم بعد فراغه من الفاتحة أو في سكتات الإمام.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ] في بيان أهمية الجماعة حتى في حال الخوف.

ثانياً: قوله تعالى [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ] في بيان أن تلاوة المأموم للفاتحة تزيد في حضور قلبه.

- الخلاصة: الفقه القرآني يجمع بين فضيلة الجماعة ووجوب قراءة كل مصلٍ للفاتحة.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تشرع صلاة الجماعة وتجب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد في كل ركعة؛ لأن آية [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] ميثاق عيني يلتزم به كل مصلٍ بنفسه.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في تأليه الأولياء أو تشريك الموحدين بمجرد النداء والاستغاثة بغير قصد التأليه (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والقصص المحدثة التي تشرعن تأليه الأنبياء والصالحين وعبادتهم أو تزعم قدرتهم الذاتية المستقلة على الخلق والرزق وكشف الضر، وفي المقابل إبطال مرويات الغلو التكفيري التي تحكم بالشرك الأكبر على كل من دعا أو استغاث بمخلوق دون قصد تأليهه؛ إذ الشرك محصور في التأليه، وأما حكم النداء والاستغاثة بغير الله بلا تأليه فيتبع الدليل الفقهي بالمنع والحرمة دون تكفير.

الفهم الخاطئ: التصديق بالحكايات الموضوعة التي تمنح الصالحين صفات الربوبية والتأليه، أو الوقوع في النقيض بتشريك وتكفير الموحدين بمجرد صدور فعل الاستغاثة أو النداء منهم بغير قصد التأليه والعبادة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ] وقوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ].

ب. قوله تعالى [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: العبادة في اللسان والشرع هي التأليه المطلق للمعبود، والدعاء والاستغاثة في أصلهما أفعال لغوية وبشرية مجردة لا تصير عبادة وشركاً إلا إذا اقترنت بقصد التأليه والربوبية للمدعو.
- الدلالة المنطوقية: النصوص القطعية تحرم دعاء غير الله وتبين غفلة الأموات وعجز المخلوقين عن النفع والضر المستقل، وتقصر الشرك المخرج من التوحيد على عبادة غير الله وتأليهه.
- الدلالة المفهومية: مفهوم التمييز الأصولي يبطل كل رواية تجعل المخلوقين آلهة متصرفين في الكون، كما يبطل كل رواية تكفّر وتشرّك المسلم الموحد بمجرد نداء أو استغاثة صدرت منه بغير قصد التأليه؛ إذ ينحصر حكم فعله في المنع والحرمة الفقهية لا الشرك.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الميزان القرآني حماية عقيدة التوحيد من وثنية التأليه، وحماية دماء المسلمين وأعراضهم من التكفير بالظن وإلحاق الأفعال المجردة بالشرك.
- الخلاصة: الشرك هو تأليه غير الله، وكل نداء أو استغاثة بلا تأليه ليس شركاً بل هو فعل ممنوع فقهياً بحسب الدليل.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: قصر العبادة والاستعانة التعبدية على الله وحده في قوله [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] يضبط مناط الشرك في التوجه التأليهي للقلب، ويفصل بينه وبين الأخطاء الفقهية في الوسائل.
- الدلالة البلاغية: التوكيد بالقصر المزدوج في الآية يمحو كل شبهة في تأليه غير الله ويبقي المخلوقين في مقام العبودية المحضة.

- الخلاصة: السياق القرآني يصون التوحيد من وثنية الغلاة ومن غلو المكفرين معاً.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية آل عمران تنفي عن الأنبياء والصالحين دعوة الناس إلى عبادتهم وتأليههم، مما يبطل مرويات الغلو التي ترفع البشر إلى مقام الألوهية.

ثانياً: قرائن النظم في آية يونس والأحقاف تنهى عن دعاء ما لا ينفع ولا يضر وتبين عدم استجابة الأموات، وهو ما يثبت الحرمة الفقهية للنداء والاستغاثة بالأموات لعدم الجدوى ومخالفة الشرع، مع بقاء مناط الشرك منوطاً بقصد التأليه.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ] في بيان أن المشركين الأوائل صرحوا بعبادة أوليائهم وتأليههم، وهو مناط شركهم.

ثانياً: قوله تعالى [فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ] في إثبات أن مجرد الاستغاثة بغير الله بغير تأليه ليس شركاً في ذاته.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات بميزان العدل الدقيق؛ فيبطل تأليه الصالحين كما يبطل تشريك الموحدين بغير تأليه.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات التي تمنح الصالحين صفات التأليه والربوبية، كما تبطل مرويات الغلو التي تشرّك وتكفّر الموحدين بمجرد الاستغاثة أو النداء بغير قصد التأليه؛ إذ الشرك هو تأليه غير الله، وأما حكم الاستغاثة بالأموات والغائبين بلا تأليه فالحرمة والمنع الفقهي بحسب الدليل.

تعليق

مسألة: حكم طلب الحاجة من نبي أو ولي أو إمام عند قبره وهو ميت وموقف المنهج من الروايات الواردة في سماع الموتى.

- القول الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه جواز طلب الحاجة من الأنبياء والأولياء والأئمة بعد وفاتهم وعند قبورهم، مستندين إلى ظواهر مرويات تفيد بأن الميت يسمع قرع نعال المشيعين، أو أن الأنبياء أحياء في قبورهم، أو أن الأعمال تُعرض على الصالحين في البرزخ؛ فجعلوا هذه المرويات مخصِّصةً لعموم الآيات النافية لسماع الموتى، ورتبوا عليها جواز ندائهم وطلب قضاء الحوائج منهم.

- القول الثاني: يذهب هذا الرأي إلى التفريق بين السماع الجزئي العارض للميت في لحظات محددة (كسماع السلام أو قرع النعال) وبين السماع المطلق المستمر الذي يُبنى عليه الدعاء وطلب الحاجة؛ فيُثبت السماع المقيد الوارد في بعض الآثار، ويمنع سؤال الميت قضاء الحاجة باعتبار انقطاع قدرته الدنيوية وعدم الدليل على إجابة الداعي.

- القول الثالث: يقرر أصحاب هذا الاتجاه تحريم طلب الحاجة أو الدعاء من أي ميت عند قبره أو بعيداً عنه، ويرفضون الاحتجاج بالمرويات المخالفة لظاهر القرآن في نفي السماع، بل ويعدّون مجرد توجيه النداء والطلب لغير الله شركاً في الدعاء والعبادة بغض النظر عن قصد السائل.

[القول الراجح وفقاً للمنهج التداخلي للشبكة القرآنية]:
إن طلب الحاجة من ميت عند قبره ليس شركاً ولا عبادة إلا إذا اقترن بقصد التأليه والربوبية للمقبور، أما من الجهة الفقهية والتكليفية فيترجح منعه وبطلانه؛ لأن محكمات القرآن تقطع بانتفاء سماع الموتى لنداء الأحياء واستجابتهم لهم، وأي مروية تُفهم على وجه يثبت للموتى سماعاً مطلقاً وتصرفاً في شؤون الدنيا فهي مردودة لمعارضتها أصل الكتاب، أو محمولة على أحوال برزخية خاصة لا علاقة لها بتلقي نداءات الأحياء أو قضاء حوائجهم.

- تحديد أم الكتاب: تُرد هذه المسألة إلى الكليات الدستورية الكبرى المتمثلة في حاكمية القرآن المهيمن على كل مروي (فما خالف محكم التنزيل سقط الاحتجاج به)، وضبط

حقيقة التوحيد والشرك وحصرهما في التأليه المحض، والعدل في الحكم فلا يُكفَّر موحد بممارسة سلوكية خالية من التأليه.

- الهندسة التناغمية المانعة للتصادم (ومحاكمة المرويات):
  - أولاً (محاكمة الروايات بميزان القرآن): إن القول بتخصيص آيات نفي السماع ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ و﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ بمرويات آحاد أو آثار ظنية يُفضي إلى قلب القاعدة الأصولية وجعل المروي الظني حاكماً ومُعطِّلاً للمحكم القطعي؛ ولذلك تُحاكم هذه الروايات بأن ما صرّح منها بسماع الموتى لنداء الأحياء واستجابتهم فهو باطل المتن لمصادمته الصريحة لقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾.
  - ثانياً (التأويل التناغمي للمحتمل من الآثار): أما ما صحّ من الآثار في شأن البرزخ (كحياة الشهداء والصالحين أو تبليغ السلام)، فإن الشبكة القرآنية تضبطه في إطاره الصحيح؛ فحياتهم حياة تكريم ونعيم عند ربهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ لا حياة تواصل حسي مع أهل الدنيا، وتبليغ السلام يتم عبر الملائكة لا بسماع ذاتي من الميت، وبذلك تتناغم الآيات والآثار دون أي تصادم.
  - ثالثاً (الفصل بين الحكم الفقهي والتوحيد): يظل المنع هنا حكماً فقهياً ببطلان الفعل وكونه لغواً وانحرافاً عن السبب المشروع، ولا يُلحق بالشرك إلا عند وجود قصد التأليه والربوبية للمقبور.
- الغاية الهدايتية والموعظية والرسالية: يهدف هذا البيان إلى بناء عقلية قرآنية راسخة تجعل كتاب الله هو الميزان الأعلى الذي تُوزن به كل الروايات والأقوال، وتصون المؤمنين من التكفير المتسرع لغياب قصد التأليه، وفي الوقت ذاته تُحرر قلوبهم من التعلق بالقبور والمرويات الموهمة، ليتجهوا بصدق ويقين إلى الحي القيوم القريب المجيب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات والادعاءات الصوفية الباطنية في سقوط التكاليف بدعوى الوصول (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والأقوال المحدثة التي تزعم أن العبد إذا بلغ مقام المعرفة واليقين سقطت عنه التكاليف الشرعية والعبادات الظاهرة كالصلاة والصيام، وتأكيد وجوب استمرار العبادة والاستعانة إلى لحظة الموت.

الفهم الخاطئ: تأويل قوله تعالى [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] بالمعرفة الباطنية التي تسقط الفرائض، وترويج حكايات خرافية عن أقطاب سقطت عنهم الصلاة بزعم التحقق بالعبودية.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] وقوله تعالى [وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ... حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ].

ب. قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: اليقين في أصل اللسان العربي وسياق القرآن يطلق على الموت الذي تنكشف فيه الحقائق الغيبية وتنتهي به دار التكليف.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القطعية تلزم الأنبياء والصالحين بإقامة الصلاة والزكاة والعبادة طيلة حياتهم الدنيا بلا انقطاع.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الدوام والاستمرار في صيغة المضارع [نَعْبُدُ] يبطل كل دعوى تزعم انتهاء زمان التكليف قبل خروج الروح.
- الدلالة التضمنية: يتضمن إبطال هذه الادعاءات حماية الشريعة من الزندقة والإباحية التي تهدم أركان الدين باسم الباطن.
- الخلاصة: لا يسقط التكليف بالعبادة عن عاقل بالغ في الدنيا إلا بالموت.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: أمر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولسائر المؤمنين بقراءة [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] في كل صلاة إلى الوفاة يقطع دابر دعوى سقوط التكاليف.
- الدلالة البلاغية: اقتران الصلاة والزكاة بظرفية الحياة كلها في قوله [مَا دُمْتُ حَيًّا] أبلغ في تأكيد ملازمة العبودية للإنسان.
- الخلاصة: البيان القرآني يربط كمال الإيمان بزيادة الطاعة والعبودية لا بتركها.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية المدثر فسرت اليقين بالموت قطعاً في قول أهل النار [حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ] أي الموت، فبطل تأويل الباطنية لليغين بالمعرفة المسقطة للتكليف.

ثانياً: قرائن النظم في سورة مريم تثبت أن الأنبياء وهم أكمل الخلق معرفة بالله كانوا مأمورين بالصلاة والزكاة ما داموا أحياء.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] في بيان أن العبادة هي جوهر الدين الدائم.

ثانياً: قوله تعالى [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] في وجوب الثبات على الطاعة والالتزام بالشرع الظاهر.

- الخلاصة: القرآن يهدم كافة الروايات الباطنية التي تشرعن ترك الفرائض تحت ستار الخصوصية.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات والادعاءات الباطنية التي تزعم سقوط التكاليف الشرعية عن العبد قبل الموت؛ إذ العبادة واجبة على المكلف ما دام حياً عاقلاً.

(الفاتحة: 6)

[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ]

المسألة الأولى: حصر الشرعية في القراءة المصحفية المتواترة (الصِّرَاطَ) بالصاد الخالصة وإبطال ما سواها (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن اللفظ القرآني الوحيد الصحيح والحجة الشرعية هو [الصِّرَاطَ] بالصاد الخالصة كما هو مرسوم ومضبوط في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وإبطال الروايات القرائية التي تروي إبدال الصاد سيناً خالصة أو إشمامها زاياً ولو نُسبت إلى القراءات السبع أو العشر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءة بالسين أو الزاي المشمة بدعوى لهجات القبائل العربية القديمة، أو التسوية بين الرسم المصحفي المتواتر جيلاً عن جيل وبين الروايات الفردية المنسوبة للقراء.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ].

ب. قوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: مادة (صرط) بالصاد المفخمة في أصل اللسان العربي تدل على الطريق الواسع الواضح المستوي الذي يبتلع السالكين فيه لوضوحه واتساعه.
- الدلالة المنطوقية: رسم الكلمة بالصاد في المصحف الشريف المتداول بين الناس ينص على تعيين هذا الحرف صوتاً وكتابة دون تردد أو تغيير.
- الدلالة المفهومية: مفهوم التواتر العياني المنقول الكافة عن الكافة يبطل حجية كل قراءة تخالف الرسم المصحفي ويخرجها عن دائرة القرآن المتعبد بتلاوته.
- الدلالة التضمنية: يتضمن الاقتصار على حرف الصاد صيانة النص القرآني من التعدد الصوتي المحدث وإغلاق باب الاختلاف المنهي عنه.
- الخلاصة: القراءة المصحفية بالصاد الخالصة هي الحجة الشرعية الوحيدة وكل ما خالفها باطل لا اعتبار له.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: تفخيم الصاد المكسورة في [الصِّرَاطَ] يضفي على اللفظ جلالة واستعلاءً يناسب عظمة الطريق الإلهي الموصل إلى رضوان الله.
- الدلالة البلاغية: الانسجام الصوتي بين استعلاء الصاد والطاء في [الصِّرَاطَ] يجسد متانة المنهج واستقامته وثباته.
- الخلاصة: الضبط المصحفي يجمع بين قطعية النقل الجمعي وكمال الأداء البياني.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنعام أثبتت اللفظ بالصاد في المصحف لتأكيد اطراد الرسم الواحد عبر سور التنزيل.

ثانياً: قرائن النظم في سورة النساء تنفي الاختلاف عن كلام الله، مما يسقط شرعية الروايات القرائية المتضاربة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] في منع تبديل حروف القرآن عن صورتها المحفوظة.
ثانياً: قوله تعالى [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] في وجوب التزام القراءة الواحدة المحفوظة.

- الخلاصة: القانون الحاكم يرد كافة القراءات المخالفة للمصحف المعروف ويثبت حجية النص المنقول جيلاً عن جيل.

- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] بالصاد الخالصة كما في المصحف المنقول الكافة عن الكافة، وتبطل كل قراءة تخالف ذلك ولو نسبت إلى السبع أو العشر.

المسألة الثانية: تعدد مراتب الهداية الإلهية وتفسير سؤال المهتدي للهداية (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن سؤال المؤمنين للهداية في كل ركعة مع كونهم مهتدين في الأصل يراد به طلب الثبات والدوام على الإيمان، والزيادة في العلم والعمل، والتوفيق لتفاصيل الطاعات عند تجدد الحوادث والأزمان.

الفهم الخاطئ: توهم أن طلب الهداية من المؤمن تحصيل للحاصل العبثي، أو قصر معنى الهداية على مجرد الإرشاد النظري والبيان دون التوفيق القلبي العملي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] وقوله تعالى [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ].
ب. قوله تعالى [رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الهداية في اللسان العربي هي الدلالة بلطف على الموصل إلى المطلوب، وتطلق على الإرشاد والبيان العام، كما تطلق على التوفيق والإلهام الخاص بخلق القدرة والاهتداء في القلب.
- الدلالة المنطوقية: تعدية الفعل [اهْدِنَا] إلى مفعولين بغير حرف جر [الصِّرَاطَ] تفيد طلب تلبس العبد بالصراط سلوكاً وثباتاً وتحقيقاً لا مجرد الدلالة المجردة.
- الدلالة المفهومية: مفهوم الدعاء المستمر يقتضي افتقار العبد في كل لحظة متجددة إلى هداية الله فيما جهله من الحق وفيما عجز عن العمل به.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الطلب الإقرار بضعف الإرادة البشرية وتقلب القلوب وحاجتها الدائمة إلى التثبيت الرباني.
- الخلاصة: الهداية المطلوبة في الآية تجمع بين البيان العلمي والتوفيق العملي والثبات المستمر.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: مجيء الدعاء بالهداية مباشرة بعد إعلان العبودية والاستعانة يبين أن أعظم ما يستعان بالله عليه هو الهداية إلى مرضاته.
- الدلالة البلاغية: صيغة الأمر في مقام الدعاء [اهْدِنَا] تعبر عن غاية التضرع والاضطرار من المخلوق المفتقر إلى الخالق الغني.
- الخلاصة: السياق القرآني يجعل الهداية رأس المطالب وأساس السعادة في الدارين.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية محمد تثبت أن الهداية قابلة للزيادة والنمو في حق المهتدين، وهو ما يفسر تكرار طلبها في الصلاة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة آل عمران تربط سؤال الهداية بالخوف من زيغ القلوب بعد الاستقامة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ] في بيان هداية الدلالة والإرشاد العامة.

ثانياً: قوله تعالى [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ] في بيان هداية التوفيق والتثبيت الخاصة.

- الخلاصة: تكامل الآيات يكشف مراتب الهداية الأربع من الفطرة والبيان إلى التوفيق والثبات.

- رابعاً: المراد الحقيقي: طلب المؤمن للهداية في كل صلاة هو سؤال الثبات على الحق والزيادة في الهدى والتوفيق لتفاصيل الطاعات في كل لحظة متجددة.

المسألة الثالثة: مذهب أهل الكلام والسنة في خلق الهداية والضلال وعلاقة التوفيق بكسب العبد (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن هداية التوفيق والإلهام بيد الله وحده يخلقها في قلب من يشاء فضلاً وعدلاً، وأن هداية البيان والإرشاد عامة لجميع المكلفين، مع إثبات أن إضلال الله للعصاة جزاء عادل على اختيارهم الكفر والعناد دون ظلم أو إجبار.

الفهم الخاطئ: ادعاء المعتزلة والقدرية أن الله لا يملك خلق الهداية في قلب العبد وأن وظيفته تقتصر على البيان العام، أو زعم الجبرية أن العبد مجبور على الضلال بلا كسب ولا اختيار.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا] وقوله تعالى [وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ].

ب. قوله تعالى [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التوفيق في الاصطلاح الكلامي واللساني هو خلق قدرة الطاعة وتيسير أسبابها في العبد؛ والخذلان هو تخلية العبد ونفسه ووكله إلى اختياره الفاسد.

- الدلالة المنطوقية: توجه العبد إلى ربه بالسؤال [اهْدِنَا] ينص على أن خلق الهداية في القلب فعل إلهي محض لا يملكه العبد باستقلاله.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الدعاء يبطل مذهب القدرية؛ إذ لو كانت هداية التوفيق بيد العبد وحده لما كان لتضرعه وسؤاله من الله معنى حقيقي.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الطلب مع التكليف بالاستقامة أن العبد مأمور ببذل أسباب الهداية ومجاهدة النفس لنيل توفيق الله.

- الخلاصة: الهداية فضل من الله وتوفيق، والضلال عدل من الله وخذلان بسبب كسب العبد.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وقوع [اهْدِنَا] بعد [وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] يربط حصول الهداية بالإعانة الإلهية المباشرة.

- الدلالة البلاغية: إسناد فعل الهداية إلى ضمير المخاطب الإلهي يرسخ عقيدة التفرد بالخلق والتدبير في القلوب.

- الخلاصة: البيان القرآني يجمع بين إثبات مشيئة الله في الهداية وإثبات مسؤولية العبد في السعي.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الصف بينت أن إزاغة الله للقلوب جاءت عقوبة عادلة على زيغ العباد الاختياري السابق.

ثانياً: قرائن النظم في سورة العنكبوت ربطت حصول الهداية الإلهية بمجاهدة العبد وسعيه الصادق.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا] في تفرد الله بخلق الهداية.

ثانياً: قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] في بيان أن الظلم والفسق هما سبب الحرمان من التوفيق.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقيم التوازن الكلامي بين نفاذ المشيئة الإلهية وتحقق العدل في الثواب والعقاب.

- رابعاً: المراد الحقيقي: هداية التوفيق بيد الله يهبها فضلاً لمن سعى إليها، وإضلاله للعصاة عدل جزائي على إعراضهم وزيغهم الاختياري.

المسألة الرابعة: تحديد ماهية الصراط المستقيم ووحدته في مقابل تعدد سبل الضلال (في الدلالة)

المراد الحقيقي: بيان أن الصراط المستقيم هو دين الإسلام الخالص المتمثل في اتباع القرآن الكريم وسنة النبي الصحيحة الموافقة له، وأنه طريق واحد مستقيم لا اعوجاج فيه ولا تعدد، بخلاف سبل الباطل المتشعبة.

الفهم الخاطئ: ادعاء تعدد الصراط المستقيم وتصويب المناهج والمذاهب المتناقضة بدعوى تعدد الطرق الموصلة إلى الله، أو فصل الصراط المستقيم عن الالتزام بأحكام الشريعة الظاهرة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] وقوله تعالى [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ].

ب. قوله تعالى [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الصراط في اللسان العربي هو الطريق الجادة الواضحة التي لا التواء فيها، والاستقامة هي الاعتدال واستواء الخط الواصل بين نقطتين بأقصر مسافة وأسلمها.

- الدلالة المنطوقية: إفراد لفظ [الصِّرَاطَ] وتعريفه بأل العهدية ووصفه بـ [الْمُسْتَقِيمَ] يثبت وحدة الطريق الحق واستحالة تعدده أو تناقضه.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الإفراد والتعريف يبطل دعوى وحدة الأديان أو تعدد طرق النجاة؛ إذ الحق واحد لا يتعدد وما بعد الحق إلا الضلال.

- الدلالة التضمنية: يتضمن وصف الطريق بالاستقامة توسطه بين طرفي الإفراط والغلو والتفريط والجفاء في كل شؤون الدين.

- الخلاصة: الصراط المستقيم هو الإسلام المحض المتمثل في الوحي الإلهي الواحد.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء طلب الصراط المستقيم بعد إعلان التوحيد في العبادة والاستعانة يربط استقامة السلوك باستقامة العقيدة.

- الدلالة البلاغية: استعارة الصراط المستقيم للدين الحق تجسد في الذهن وضوح المنهج وسلامة العاقبة وأمن السالكين.

- الخلاصة: النظم القرآني يحسم قضية المنهج الحق بوحدة الصراط واستقامته.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الأنعام أفردت صراط الله وجمعت السبل المخالفة له [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] لبيان أن الحق واحد والباطل متعدد.

ثانياً: قرائن النظم في آية الأنعام الأخرى فسرت الصراط المستقيم بالدين القيم وملة إبراهيم الحنيفية المتجردة من الشرك.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ] في حصر الحق في طريق واحد.

ثانياً: قوله تعالى [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا] في ربط الاستقامة بالاعتصام بالكتاب الواحد.

- الخلاصة: المنظومة القرآنية توحد طريق الهداية وتبطل تعددية المناهج المخالفة للوحي.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الصراط المستقيم هو منهج الله الواحد المتمثل في الإسلام والتمسك بالقرآن الكريم، ولا طريق يوصل إلى الله سواه.

المسألة الخامسة: حكم الاجتهاد الفقهي والتحري عند اشتباه الأدلة في ضوء طلب الهداية (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب بذل الجهد العلمي والفقهي في تحري الحق والصواب عند تعدد المسائل والنوازل، وامتناع التقليد الأعمى أو اتباع الهوى، لأن طلب الهداية من الله يستلزم السعي الشرعي في أسباب العلم والبيان.

الفهم الخاطئ: الاكتفاء بالدعاء اللساني بالهداية مع تعطيل العقل والنظر في نصوص

الوحي، أو تسويغ التعصب المذهبي وتقديم آراء الرجال على دلالة النص القرآني الصريح.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] وقوله تعالى [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ].
ب. قوله تعالى [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التحري والاجتهاد في الفقه هما استفراغ الوسع في طلب الحكم الشرعي الظني أو القطعي من أدلته المعتبرة لبلوغ الصراط المستقيم في المسألة.

- الدلالة المنطوقية: سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم يوجب على المكلف سلوك مسالك العلم والتثبت عند اختلاف الأقوال.

- الدلالة المفهومية: مفهوم النهي عن قفو ما لا علم به يحرم الفتوى بغير دليل شرعي أو الجمود على التقليد مع ظهور برهان الكتاب.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المبدأ الفقهي أن الحق عند الله واحد في كل مسألة، والمجتهد مأمور بتحريه بدليل الوحي.

- الخلاصة: طلب الهداية يوجب التحري العلمي والرد إلى الكتاب عند التنازع.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تكرير الدعاء بالهداية في كل ركعة يربي الفقيه والمكلف على التواضع العلمي والافتقار إلى تسديد الله في الفهم والاستنباط.

- الدلالة البلاغية: طلب الهداية بصيغة الجمع يجمع الأمة على منهج الاستدلال المنضبط بالوحي.
- الخلاصة: الفقه القرآني يربط صحة الاجتهاد بالتجرد لله والرجوع إلى محكم التنزيل.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الزمر ربطت الهداية الإلهية بملكة التمييز واتباع أحسن القول وأصوبه بالدليل.
ثانياً: قرائن النظم في سورة النساء جعلت الرد إلى الله والرسول هو المعيار الحاسم لرفع التنازع الفقهي.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ] في حصر المرجعية التشريعية في حكم الله.
ثانياً: قوله تعالى [يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا] في بيان أن الفقه الصحيح هبة وهداية من الله.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تجعل التزام الدليل والرجوع إلى الوحي سبيل الهداية في الفقه والفتيا.
- رابعاً: المراد الحقيقي: يجب على المكلف والفقيه تحري الصراط المستقيم بالرجوع إلى نصوص الوحي عند الاشتباه، ويحرم التعصب المذهبي والقول على الله بغير علم.

المسألة السادسة: التوسط التشريعي والاعتدال الفقهي كسمة ملازمة للصراط المستقيم (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن أحكام الشريعة الإسلامية مبنية على التوسط والاعتدال ورفع الحرج والمشقة غير المعتادة، وأن الصراط المستقيم هو العدل القائم بين الغلو المشدد والانحلال المفرط في العبادات والمعاملات.

الفهم الخاطئ: التشدد والتنطع في الدين بتحريم الطيبات وإيجاب ما لم يوجبه الله بدعوى الورع، أو التفريط في الفرائض وإسقاط الواجبات بدعوى التيسير.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا] وقوله تعالى [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ].

ب. قوله تعالى [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الوسط والاستقامة في اللسان والشرع هما الخيار الأعدل الذي يتوسط طرفي النقيض فيسلم من آفات الإفراط والتفريط.

- الدلالة المنطوقية: وصف الصراط بالاستقامة ينفي عنه الميل إلى جانب الغلو أو جانب التساهل.

- الدلالة المفهومية: مفهوم نفي الحرج وإرادة اليسر يقتضي مشروعية الرخص الشرعية عند العجز والمشقة، وتحريم التبتل والرهبانية المبتدعة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الالتزام بالصراط المستقيم إعطاء كل ذي حق حقه؛ حق الله وحق النفس وحق الأهل والمجتمع.

- الخلاصة: الصراط المستقيم هو منهج الوسطية التشريعية المنضبط بحدود الله.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وقوع الآية بين إعلان العبودية وبين بيان طريق المنعم عليهم البعيد عن المغضوب عليهم والضالين يوضح أن الاستقامة هي الوسط بين الجفاء والغلو.

- الدلالة البلاغية: لفظ [الْمُسْتَقِيمَ] يحمل دلالة هندسية وخلقية على الاعتدال التام الذي لا انحراف فيه يمنة ولا يسرة.
- الخلاصة: البيان القرآني يرسم معالم التشريع المتوازن الذي يلائم الفطرة الإنسانية.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة وصفت الأمة بالوسطية، وهي عين الاستقامة المطلوبة في الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الحج تنفي الحرج عن التكاليف الشرعية لتؤكد يسر الصراط المستقيم.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] في بيان مطابقة التكاليف للقدرة البشرية.

ثانياً: قوله تعالى [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] في إبطال التشدد وتحريم المباحات.

- الخلاصة: الفقه القرآني يقرر أن الاستقامة هي التزام حدود الشرع دون غلو أو جفاء.
- رابعاً: المراد الحقيقي: الصراط المستقيم في التشريع هو منهج الوسطية والاعتدال القائم على اليسر ورفع الحرج، مع تحريم الغلو والتنطع وتحريم التفريط في الفرائض.

المسألة السابعة: دلالة حذف حرف الجر في تعدية الفعل (اهْدِنَا الصِّرَاطَ) عند المفسرين واللغويين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن تعدية الفعل [اهْدِنَا] إلى مفعوله الثاني [الصِّرَاطَ] مباشرة دون حرف جر (إلى) أو (لـ) يفيد شمول الطلب لجميع أنواع الهداية؛ من الإرشاد إلى الصراط من خارجه، والتثبيت عليه في داخله، والزيادة في سلوكه.

الفهم الخاطئ: توهم أن حذف حرف الجر مجرد ضرورة لفظية أو اختصار عابر لا يضيف معنى زائداً على تعديته بحرف الجر.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] وقوله تعالى [وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ].

ب. قوله تعالى [وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الفعل (هدى) في اللسان العربي يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف الجر؛ وتعديته بنفسه أعم وأشمل لاستيعابها الدلالة والتوفيق والإلهام والثبات معاً.

- الدلالة المنطوقية: النطق بقوله [اهْدِنَا الصِّرَاطَ] بغير واسطة حرف جر يطلق الطلب ليشمل كل مراتب الهداية المطلوبة للعبد.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا الإطلاق أن من كان خارج الصراط يطلب الوصول إليه، ومن كان على الصراط يطلب الثبات والارتقاء فيه.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب النحوي استغراق جميع حاجات السالك في الدنيا والآخرة في كلمتين موجزتين.

- الخلاصة: تعدية الفعل بنفسه تحقق الشمول الدلالي لجميع حالات المخاطبين.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تناسب هذا الإطلاق مع تعدد أحوال المصلين في كل زمان ومكان يجعل الآية صالحة لكل مكلَّف على اختلاف درجته في الإيمان.

- الدلالة البلاغية: الإيجاز بالحذف في الحرف يوسع دائرة المعنى ويمنح التركيب مرونة بيانية فائقة.

- الخلاصة: الإعجاز النحوي في الآية يستوعب حاجات الفرد والأمة في كل ركعة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الشورى عدّت فعل الهداية إلى النبي صلى الله عليه وسلم بحرف الجر [لَتَهْدِي إِلَىٰ]؛ لأن هداية الرسول هي هداية الدلالة والإرشاد فحسب.

ثانياً: قرائن النظم في آية النساء والفتح عدّت فعل الهداية من الله بنفسه [وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا]؛ لأن الله يملك هداية التوفيق والإيصال إلى الغاية.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ] في بيان التوفيق الإلهي الخاص.

ثانياً: قوله تعالى [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ] في بيان اقتران الهداية بالقرآن.

- الخلاصة: التمييز القرآني بين التعدية بنفسه والتعدية بالحرف يكشف الفرق الدقيق بين هداية التوفيق الإلهي وهداية الإرشاد البشري.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تعدية [اهْدِنَا] إلى [الصِّرَاطَ] بنفسه دون حرف جر تفيد شمول الهداية للبيان والتوفيق والثبات والزيادة في السلوك إلى دار السلام.

المسألة الثامنة: دلالة جمع الضمير في (اهْدِنَا) على التكافل الإيماني ومسؤولية الدعاء للمؤمنين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن صيغة الجمع في قوله [اهْدِنَا] تشرع للمسلم استحضار إخوانه المؤمنين في دعائه بالهداية حتى في صلاته الفردية، مما يطهر القلب من الأنانية ويؤسس للتكافل الروحي والأخوة الإيمانية.

الفهم الخاطئ: قصر الدعاء في الصلاة الفردية على شخص المصلي وحده، أو حمل صيغة الجمع في الدعاء على التعظيم الذاتي المنافي لمقام العبودية.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] وقوله تعالى [رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ].
ب. قوله تعالى [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: ضمير المتكلمين (نا) في سياق الطلب والتضرع يدل على التواضع والانكسار وطلب الخير للجماعة المؤمنة بأسرها.

- الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة الجمع [اهْدِنَا] يوجب على الداعي شمول أمته بدعاء الهداية في كل ركعة من صلاته.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا الاشتراك يقتضي أن استقامة الفرد لا تكتمل إلا باستقامة المجتمع المؤمن وتعاونه على البر والتقوى.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الدعاء الجماعي نزع الغل والحسد من قلوب المؤمنين وإحلال المحبة والنصح محلها.

- الخلاصة: صيغة الجمع في الدعاء تبني وجداناً جماعياً متراحماً يربط الفرد بأمته.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: تناسق الضمير في [اهْدِنَا] مع الضمائر السابقة في [نَعْبُدُ] و[نَسْتَعِينُ] يحافظ على وحدة المتكلم الجماعي في السورة.

- الدلالة البلاغية: التواضع البلاغي في تقديم مصلحة الجماعة المؤمنة ضمن دعاء الفرد يجعل الدعاء أقرب للإجابة والقبول.

- الخلاصة: النظم القرآني يذيب الفردية الضيقة في رحاب الأخوة الإيمانية الشاملة.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية محمد أمرت النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، وهو عين المنهج في [اهْدِنَا].

ثانياً: قرائن النظم في سورة الحشر تبرز دعاء المؤمنين لإخوانهم السابقين واللاحقين بالثبات والمغفرة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً] في اطراد صيغة الجمع في الأدعية القرآنية.

ثانياً: قوله تعالى [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ] في ربط الدعاء الجماعي بالتعاون العملي.

- الخلاصة: القرآن يربي المسلم على حمل همّ هداية الأمة واستقامتها في صلاته وحياته.
- رابعاً: المراد الحقيقي: ضمير الجمع في [اهْدِنَا] يرسخ الأخوة الإيمانية والتكافل الروحي، ويشرع للمسلم أن يدعو بالهداية لنفسه ولسائر المؤمنين في كل صلاة.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في وجود طرق باطنية سرية تغني عن الصراط القرآني الظاهر (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والادعاءات المحدثة التي تزعم وجود علم لدني سري أو طرق باطنية خاصة توصل إلى الله خارج إطار الصراط المستقيم الظاهر في القرآن الكريم، وتأكيد أن طريق النجاة واحد جلي لجميع الخلق.

الفهم الخاطئ: التصديق بالحكايات والمنامات التي تقسم الدين إلى شريعة للعوام وحقيقة للخواص، وتزعم أن السالكين يترقون إلى مقامات تستغني عن اتباع ظاهر القرآن.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] وقوله تعالى [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ].

ب. قوله تعالى [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التبيان والوضوح في اللسان العربي هما كشف الحقيقة وإظهارها للعيان بلا غموض ولا ألغاز؛ وهو نقيض الباطنية السرية.

- الدلالة المنطوقية: وصف القرآن بأنه كتاب مبين وتبيان لكل شيء يقطع بكمال الهداية فيه وعدم حاجته إلى رموز باطنية خارجية.

- الدلالة المفهومية: مفهوم إكمال الدين يبطل كل رواية تدعي وجود معارف أو طرق روحية مستحدثة لم يبينها القرآن بياناً واضحاً.

- الدلالة التضمنية: يتضمن إبطال هذه المرويات حماية الأمة من التفرق والانقسام إلى طوائف تدعي العصمة والخصوصية السرية.

- الخلاصة: الصراط المستقيم طريق واضح جلي في القرآن لا سرية فيه ولا باطنية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: أمر جميع المسلمين بطلب الهداية إلى الصراط الواحد في كل ركعة يثبت أن طريق الهداية مشترك للجميع لا حكر فيه لفئة خاصة.

- الدلالة البلاغية: تعريف [الصِّرَاطَ] ووصفه بـ [الْمُسْتَقِيمَ] يبرز استواءه ووضوحه لكل سالك بلا تعقيد.

- الخلاصة: البيان القرآني يفضح دعاوى الباطنية بوضوح النص وشمول الخطاب.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية المائدة جعلت القرآن نوراً وكتاباً مبيناً يخرج من الظلمات إلى النور، فأبطلت كل طريق يدعي الهداية في الظلام والسرية.

ثانياً: قرائن النظم في آية النحل تثبت أن الكتاب تبيان لكل شيء، فلا يوجد علم ديني خارج عن محكماته.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ] في ذم كتمان العلم وادعاء الأسرار الدينية.

ثانياً: قوله تعالى [هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ] في بيان عموم البلاغ القرآني ووضوحه.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات الباطنية ويسقط كل طريق يخالف ظاهر التنزيل.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات والادعاءات الباطنية التي تزعم وجود طرق سرية أو حقائق خاصة تغني عن الصراط المستقيم الظاهر في القرآن الكريم.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات المحدثة في كفاية الدعاء المجرد بالهداية دون عمل أو أخذ بأسباب العلم (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والاتكالات الخاطئة التي تزعم أن مجرد ترديد الدعاء بالهداية يغني عن تعلم أحكام الدين ومجاهدة النفس والعمل الصالح، وتأكيد أن الهداية الإلهية سنة جارية لمن أقبل على الوحي وبذل وسعه في الطاعة.

الفهم الخاطئ: الاغترار بالأماني والتواكل على الدعاء اللساني مع الإعراض عن تدبر القرآن ومخالفة أوامره ونواهيه في الواقع العملي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا] وقوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ].

ب. قوله تعالى [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: المجاهدة والسعي في اللسان العربي هما بذل الجهد والطاقة في تحصيل المطلوب ودفع الموانع، وهو شرط عقلي وشرعي لتحقق الدعاء.

- الدلالة المنطوقية: ربط الله الهداية بالمجاهدة في قوله [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا] ينص على أن الدعاء الصادق لا ينفك عن العمل.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الشرط في آية الرعد يقتضي أن من أعرض عن تغيير نفسه وطلب العلم لم تنفعه الأماني المجردة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المبدأ إبطال كل رواية تروج للتواكل وتفصل بين سؤال الهداية وبين العمل بمقتضى الكتاب.

- الخلاصة: الدعاء بالهداية ميثاق عمل ومجاهدة لا ذريعة للكسل والإعراض.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] بعد إعلان الفعل العملي [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] يبرهن على اقتران الدعاء بالعمل التعبدي.

- الدلالة البلاغية: التوكيد بالقسم واللام والنون في قوله [لَنَهْدِيَنَّهُمْ] يضمن الهداية لمن جمع بين الدعاء والمجاهدة.
- الخلاصة: البيان القرآني يوازن بين التضرع القلبي والسعي العملي في تحصيل الهداية.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية العنكبوت جعلت المجاهدة في الله سبباً مباشراً ومؤكداً للهداية إلى سبل الحق.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الرعد تقرر سنة التغيير التي تربط العون الإلهي بمبادرة الإنسان وإرادته الصادقة.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] في تحميل الإنسان مسؤولية تزكية نفسه.

ثانياً: قوله تعالى [فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ] في الأمر المباشر بالاستقامة العملية.

- الخلاصة: المنظومة القرآنية تبطل التواكل وتجعل العمل الصالح وتدبر الوحي الطريق العملي لنيل الهداية.
- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات والتصورات التواكلية التي تكتفي بالدعاء اللساني دون عمل؛ إذ الهداية الإلهية ثمرة للدعاء الصادق المقرون بتدبر القرآن ومجاهدة النفس.

(الفاتحة: 7)

[صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ]

المسألة الأولى: حصر الحجية في الضبط المصحفي للآية السابعة وإبطال القراءات المخالفة في الهاء ولفظ غير (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن القراءة القرآنية الوحيدة الصحيحة والملزمة هي ما في

المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة بكسر الهاء في [عَلَيْهِمْ] في الموضعين، وخفض الراء في [غَيْرِ] على النعت أو البدل، وإبطال القراءات المنسوبة زوراً لضم الهاء أو نصب الراء أو زيادة (لا) قبل غير ولو نُسبت إلى القراءات السبع أو العشر.
الفهم الخاطئ: تسويغ القراءة بروايات آحادية تضم هاء الضمير في [عَلَيْهِمْ] أو تنصب [غَيْرِ] بدعوى التوسع اللغوي أو الانتساب إلى كتب القراءات، وتقديم النقل الفردي على التواتر الجمعي للمصحف.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] وقوله تعالى [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ].
ب. قوله تعالى [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: التواتر العياني المنقول الكافة عن الكافة جيلاً بعد جيل هو القطع اليقيني الحافظ للسان التنزيل من التحريف، وكسر الهاء بعد الياء الساكنة في [عَلَيْهِمْ] هو الأصل الصوتي المتجانس في العربية.

- الدلالة المنطوقية: النطق بالخفض في [غَيْرِ] وكسر الهاء في الموضعين كما هو مضبوط في المصحف المتداول بين الناس ينص على تعيين هذه الصورة الصوتية وحدها دون سواها.

- الدلالة المفهومية: مفهوم حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه يبطل شرعية كل قراءة تخالف الرسم والضبط المصحفي ويخرجها عن دائرة القرآن المتعبد بتلاوته.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الاقتصار على القراءة المصحفية الواحدة حماية ركن الفاتحة في الصلاة من تعدد النصوص وإغلاق باب التنازع اللفظي.

- الخلاصة: القراءة المصحفية المتواترة هي الشرعية الوحيدة وما خالفها من قراءات باطل لا قيمة له.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: انتظام حركة الكسر في [عَلَيْهِمْ] و[غَيْرِ] يحقق التناسب الصوتي والبياني في ختام السورة.

- الدلالة البلاغية: الانسجام الإيقاعي بين البدلية والنعتية المجرورة يربط نهاية السورة بقوله [الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] ربطاً محكماً.

- الخلاصة: الضبط المصحفي يجمع بين قطعية النقل الجمعي وكمال الفصاحة العربية.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النساء جعلت انتفاء الاختلاف علامة على ربانية الكتاب، مما يسقط حجية الروايات القرائية المتعارضة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الحجر تضمن بقاء الذكر محفوظاً في نص واحد عبر الأجيال.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] في منع تبديل الحركات والحروف عن صورتها المصحفية المحفوظة.

ثانياً: قوله تعالى [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] في لزوم النص الواحد المحفوظ.

- الخلاصة: القانون الحاكم يرد كافة القراءات المخالفة للمصحف المعروف ويثبت حجية النص المنقول جيلاً عن جيل.

- رابعاً: المراد الحقيقي: للقرآن قراءة واحدة لا غير هي ما في المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة بكسر الهاء في [عَلَيْهِمْ] وخفض [غَيْرِ]، وتبطل كل قراءة تخالف ذلك ولو نسبت إلى السبع أو العشر.

المسألة الثانية: تحديد أصناف المنعم عليهم ووظيفة البدل البياني في تعريف الصراط المستقيم (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن إبدال [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] من [الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] بدل كل من كل يفيد تفسير المنهج النظري بالقدوة العملية الواقعية، وهم الأصناف الأربعة المذكورون في القرآن: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

الفهم الخاطئ: فصل الصراط المستقيم عن سيرة الأنبياء والصالحين وتأويله بمجرد أفكار عقلية مجردة، أو قصر المنعم عليهم على طائفة معينة وإخراج بقية الأصناف الأربعة.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا] وقوله تعالى [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي].

ب. قوله تعالى [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: البدل المطابق في النحو العربي يوضح المبدل منه ويزيل إبهامه بإحالته على عين مصداقه الواقعي المشاهد؛ والنعمة المطلقة في القرآن هي نعمة الهداية والإيمان.

- الدلالة المنطوقية: النطق بقوله [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] بعد طلب الصراط المستقيم يحدد معالم هذا الطريق بسلوك أهل النعمة الإلهية.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التلازم يقتضي أن نعمة الهداية أعظم من نعم المال والسلطان الدنيوية التي قد تعطى للكافر استدراجاً.

- الدلالة التضمنية: يتضمن الانتساب إلى طريق المنعم عليهم الاقتداء بسنتهم والتمسك بعقيدتهم والانتفاع بصحبتهم المعنوية.

- الخلاصة: البدل البياني يحول مفهوم الصراط المستقيم من التجريد النظري إلى القدوة التاريخية الحية.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: وقوع هذا التفسير في ختام السورة يرفع وحشة الطريق عن السالك؛ إذ يرى أمامه قافلة الأنبياء والصالحين قد سلكت هذا الدرب قبله.

- الدلالة البلاغية: الإسناد المباشر للإنعام إلى ذات الله بضمير المخاطب [أَنْعَمْتَ] يشعر المؤمن بفضل الله الخاص على أهل طاعته.

- الخلاصة: البيان القرآني يجمع بين وضوح المنهج وأنس الرفقة الصالحة.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النساء تولت تفسير الموصول [الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] تفسيراً قطعياً فحصرتهم في النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ثانياً: قرائن النظم في سورة الأنعام تأمر بالاقتداء بهدي الأنبياء بوصفه التطبيق العملي للصراط المستقيم.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ] في بيان أن النبوة والرسالة

هما ذروة الإنعام الإلهي.
ثانياً: قوله تعالى [فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا] في جعل إيمان الرعيل الأول معياراً للهداية.

- الخلاصة: القرآن يفسر ذاته ويحدد هوية المنعم عليهم تحديداً قاطعاً لا يقبل التأويل.
- رابعاً: المراد الحقيقي: المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وطريقهم هو العين الواقعية للصراط المستقيم الواجب اتباعه.

المسألة الثالثة: التمييز الدلالي والاعتقادي بين المغضوب عليهم والضالين وعلة تفريقهما (في الدلالة)
المراد الحقيقي: بيان أن المغضوب عليهم هم الذين علموا الحق وعاندوه وتركوا العمل به استكباراً كالمغضوب عليهم من أهل الكتاب وغيرهم، وأن الضالين هم الذين عبدوا الله على جهل وضلال بغير علم وبصيرة، وأن الهداية الكاملة تقتضي الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.
الفهم الخاطئ: تسوية الصنفين في الوصف والعلة دون تفريق بين فساد القصد وفساد التصور، أو قصر الوصفين على طائفتين تاريخيتين منقرضتين وإخراج المنحرفين من هذه الأمة من دخولهم في التحذير.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ] وقوله تعالى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ].
- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ].
ب. قوله تعالى [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: الغضب الإلهي في اللسان والشرع يترتب على المخالفة العمدية بعد قيام الحجة والعلم؛ بينما الضلال يطلق على التيه والحيرة ومجاوزة القصد عن جهل وهوى.
- الدلالة المنطوقية: عطف [وَلَا الضَّالِّينَ] على [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ] بحرف العطف الواو وتأكيد النفي بـ (لا) يثبت تغاير الصنفين وخطورة كل منهما.
- الدلالة المفهومية: مفهوم التقسيم الحاصر يقتضي أن الناس أمام الحق ثلاثة أصناف: من علم وعمل وهم المنعم عليهم، ومن علم ولم يعمل وهم المغضوب عليهم، ومن عمل بلا علم وهم الضالون.
- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التقسيم أن كل من انحرف عن العلم أو العمل من أي أمة يدخل في هذا الوعيد بقدر انحرافه.
- الخلاصة: الاستقامة تقوم على ركني العلم الصحيح والعمل الصالح، وفقدان أحدهما يوقع في الغضب أو الضلال.
- الاستدلال التعبيري:
- الدلالة السياقية: ختم السورة بالتحذير من هذين الطريقين المنحرفين يرسم حدود الصراط المستقيم بدقة؛ فهو الوسط بين جفاء العلم الغاضب وغلو الجهل الضال.
- الدلالة البلاغية: العدول عن الإسناد الفعلي في [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ] بصيغة اسم المفعول يبرز بشاعة استحقاقهم للغضب دون ذكر الفاعل تعظيماً وتنزيهاً.
- الخلاصة: النظم القرآني يحصن المؤمن من آفتي الجمود العلمي والانحراف العاطفي.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة وصفت الذين كتموا الحق وحرفوه بعد معرفته بأنهم باءوا بغضب على

غضب، فحددت علة الغضب بترك العمل بعد العلم.

ثانياً: قرائن النظم في سورة المائدة وصفت الغلاة المبتدعين في الدين بأنهم ضلوا وأضلوا كثيراً، فحددت علة الضلال بالعمل بلا علم.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ] في بيان استحقاق الغضب بالمخالفة العمدية.

ثانياً: قوله تعالى [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ] في حصر ما خالف العلم الصحيح في الضلال.

- الخلاصة: تكامل الآيات يكشف أن الغضب جزاء فساد الإرادة والضلال نتيجة فساد المعرفة.

- رابعاً: المراد الحقيقي: المغضوب عليهم هم تاركو العمل بالحق مع علمهم به، والضالون هم العاملون بغير علم وبصيرة، وطريق الهداية يجمع بين العلم والعمل.

المسألة الرابعة: حقيقة صفة الغضب الإلهي عند أهل الكلام والسنة وتنزيهها عن الغليان والانفعال (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات صفة الغضب لله تعالى إثباتاً حقيقياً يليق بجلاله وعدله، مع تنزيهها عن غليان دم القلب والانفعال الطائش الذي يعتري المخلوقين، والرد على من أول الغضب بمجرد إرادة الانتقام أو العقوبة المنفصلة.

الفهم الخاطئ: تعطيل حقيقة الصفة وتأويلها بالعقوبة نفسها بدعوى التنزيه، أو تشبيه غضب الخالق بانفعال المخلوقين وتغير طباعهم.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] وقوله تعالى [فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ].

ب. قوله تعالى [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الغضب في اللسان العربي يجمع بين مبدأ في المخلوق هو الانفعال والتأثر، وغاية هي إنزال العقوبة بالمخالف؛ فإذا أضيف إلى الله تجرد عن النقص والانفعال وثبتت حقيقته اللائقة بجلاله.

- الدلالة المنطوقية: النطق بوصف [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ] يثبت قيام صفة الغضب بالذات الإلهية تجاه المستكبرين المعاندين.

- الدلالة المفهومية: مفهوم التغاير يقتضي أن الغضب الإلهي صفة مستقلة عن العقوبة التي هي أثره وثمرته في الخارج.

- الدلالة التضمنية: يتضمن إثبات صفة الغضب إثبات صفة الرضا والمحبة في المقابل، إذ القول في الصفات واحد لا يتناقض.

- الخلاصة: الغضب صفة فعلية حقيقية لله تعالى تليق بكماله وتنزهه عن سمات الحدوث.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مقابلة المنعم عليهم بالمغضوب عليهم في ختام السورة توازن بين صفة الرحمة والإنعام وصفة الغضب والعدل.

- الدلالة البلاغية: الإتيان باسم المفعول [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ] يرسخ هيبة العدل الإلهي ورهبة الوقوع تحت سخط الخالق.

- الخلاصة: البيان القرآني يثبت الصفات الإلهية على منهج الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الزخرف [فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ] فرقت بوضوح بين الغضب والأسف وبين الانتقام الذي ترتب عليه، فبطل تأويل الغضب بالانتقام.

ثانياً: قرائن النظم في سورة طه [وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ] تثبت أن حلول الغضب سبب للهلاك وليس هو الهلاك نفسه.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ جَهَنَّمَ] في عطف اللعن والعذاب على الغضب مما يثبت تغايرها.

ثانياً: قوله تعالى [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] في إثبات الصفة المقابلة للغضب على الوجه اللائق بالله.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تقيم البرهان على حقيقة صفة الغضب الإلهي وتنزهها عن الانفعال البشري.

- رابعاً: المراد الحقيقي: الغضب صفة حقيقية ثابتة لله تعالى تليق بجلاله وعدله، منزهة عن الانفعال المخلوق، وتثمر العقوبة العادلة في حق المعاندين.

المسألة الخامسة: أثر الاستعاذة من طريق المغضوب عليهم والضالين في تحريم البدع والتشبه بالكفار (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب مجانبة مناهج المغضوب عليهم والضالين في العقائد والعبادات والأخلاق، وتحريم التشبه بهم في خصائصهم الدينية أو ابتداع محدثات في الدين لم يشرعها الله.

الفهم الخاطئ: قصر التبرؤ من المغضوب عليهم والضالين على الدعاء اللساني في الصلاة مع متابعتهم في الأهواء والبدع والانحرافات السلوكية في الواقع العملي.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] وقوله تعالى [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ].

ب. قوله تعالى [وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الاستثناء والتبرؤ في اللسان والشرع يقتضيان المباينة التامة في القصد والسلوك والمنهج بين المستثنى والمستثنى منه.

- الدلالة المنطوقية: سؤال الله الهداية إلى طريق غير طريق المغضوب عليهم والضالين يوجب شرعاً اجتناب أسباب الغضب والضلال.

- الدلالة المفهومية: مفهوم المخالفة يقتضي أن من سلك سبيل التحريف أو الغلو والابتداع فقد ناقض دعاءه في كل صلاة.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التبرؤ تحريم البدع الإضافية والحقيقية في العبادات، وتحريم التشبه بغير المسلمين في شعائرهم وأعيادهم.

- الخلاصة: الاستقامة الشرعية تستلزم البراءة العملية من مسالك الغضب والضلال.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء هذا الاستثناء بعد تحديد قدوة المنعم عليهم يكمل معادلة الولاء والبراء المنهجي؛ اقتداء بالصالحين ومجانبة للمنحرفين.

- الدلالة البلاغية: تكرار حرف النفي (لا) في قوله [وَلَا الضَّالِّينَ] يشدد التحذير من الانجراف وراء الأهواء والبدع المضللة.

- الخلاصة: البيان القرآني يحفظ هوية الأمة واستقلالية تشريعها من الذوبان والتقليد.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الجاثية أمرت باتباع الشريعة المحكمة ونهت عن اتباع أهواء الجاهلين، وهو عين معنى [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ].

ثانياً: قرائن النظم في سورة البقرة تحذر من اتباع أهواء أهل الكتاب بعد مجيء العلم الحق.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] في تحريم الابتداع في الدين.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ] في النهي عن الميل القلبي والعملي للمنحرفين.

- الخلاصة: الفقه القرآني يربط صحة التوجه إلى الله بالبراءة من البدع ومناهج المغضوب عليهم والضالين.

- رابعاً: المراد الحقيقي: يجب على المسلم مجانبة مسالك المغضوب عليهم والضالين في العقيدة والعمل، ويحرم الابتداع في الدين والتشبه بالكفار في خصائصهم وشعائرهم.

المسألة السادسة: أحكام موالاة المؤمنين والبراءة من أعداء الدين في ضوء ختام الفاتحة (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: وجوب موالاة المؤمنين المتقين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بالمحبة والنصرة والاقتداء، ووجوب البراءة من أعداء الله المعاندين في دينهم مع الالتزام بالعدل والإحسان الإنساني مع المسالمين غير المحاربين.

الفهم الخاطئ: الخلط بين البراءة من دين الكفار ومناهجهم الباطلة وبين الظلم والعدوان في المعاملات الدنيوية، أو تمييع عقيدة الولاء والبراء بدعوى التسامح المطلق الذي يساوي بين الحق والباطل.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] وقوله تعالى [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ].

ب. قوله تعالى [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الولاء في الشرع هو المحبة والنصرة والموافقة في الدين؛ والبراء هو المباينة القلبية والمنهجية للباطل وأهله، والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه بلا ظلم.

- الدلالة المنطوقية: طلب سلوك طريق المنعم عليهم ومجانبة طريق المغضوب عليهم والضالين يحدد بوضوح جهة الانتماء والموالاة للمؤمنين.

- الدلالة المفهومية: مفهوم الجمع بين آيات البراءة وآيات القسط يقتضي أن المباينة الدينية لا تسوغ الغدر أو أكل الحقوق أو الإضرار بالمسالمين.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الميزان الفقهي جواز التعامل المالي والاجتماعي العادل مع غير المسلمين المسالمين مع بقاء التميز العقدي.

- الخلاصة: الفقه الإسلامي يوازن بدقة بين البراءة الدينية والعدل الإنساني.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: ختام السورة بالتمييز الواضح بين أهل النعمة وأهل الغضب والضلال يرسم حدود الهوية الإيمانية للأمة المسلمة.
- الدلالة البلاغية: التقابل البلاغي بين [أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] وبين [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ] يرسخ وضوح الرؤية دون غموض أو تمييع.
- الخلاصة: البيان القرآني يصون شخصية المسلم بالاعتزاز بدينه والعدل مع خلقه.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الممتحنة أباحت البر والقسط مع غير المحاربين، فرفعت توهم أن البراءة الدينية تعني العدوان والظلم.

ثانياً: قرائن النظم في سورة المائدة أوجبت العدل المطلق حتى مع المبغضين المخالفين في الدين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ] في تقرير أصل البراءة من الشرك وأهله.

ثانياً: قوله تعالى [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ] في ضبط التعامل بالمثل والعدل.

- الخلاصة: النصوص القرآنية تحكم العلاقة بالآخر بميزان التميز العقدي والعدل المعاملاتي.
- رابعاً: المراد الحقيقي: يجب موالاة المؤمنين والبراءة من مناهج المغضوب عليهم والضالين، مع وجوب التزام العدل والوفاء والبر مع غير المحاربين في المعاملات الدنيوية.

المسألة السابعة: التوجيه النحوي للفظ (غَيْرِ) وإعرابها نعتاً أو بدلاً وأثره في المعنى (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن جر لفظ [غَيْرِ] يحتمل وجهين نحويين صحيحين: النعتية

للموصول [الَّذِينَ] لإفادة التقييد والبيان، أو البدلية منه لإفادة الاستقلال والتأكيد، وكلاهما يخدم تقرير وحدة الصراط المستقيم.
الفهم الخاطئ: التوقف عند ظن أن لفظ (غير) نكرة لا تنعت المعرفة [الَّذِينَ]، أو إغفال الفرق الدقيق بين دلالة النعت ودلالة البدل في السياق البياني.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] وقوله تعالى [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ].
- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ].
ب. قوله تعالى [عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ].
- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:
- الاستدلال الخطابي:
- الدلالة الوضعية: لفظ (غير) متوغل في الإبهام في اللسان العربي، فإذا أضيف إلى ضدين متعينين اكتسب تعريفاً معنوياً يؤهله لنعت المعرفة الجنسية.
- الدلالة المنطوقية: الجر في الراء من [غَيْرِ] يربطها إعرابياً بالاسم الموصول المجرور [الَّذِينَ] أو بالضمير المجرور في [عَلَيْهِمْ].
- الدلالة المفهومية: مفهوم النعتية يقتضي أن المنعم عليهم هم المتصفون بالسلامة من الغضب والضلال، ومفهوم البدلية يقتضي أن نفس المنعم عليهم هم عين غير المغضوب عليهم.
- الدلالة التضمنية: يتضمن تعدد الوجهين النحويين في الإعراب إثراء المعنى تحت مظلة القراءة المصحفية الواحدة بالجر.
- الخلاصة: الإعراب بالجر يجمع بين دقة التوصيف النعتي وقوة التقرير البدلي.
- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء [غَيْرِ] فاصلة بين ذكر أهل النعمة وذكر أهل الغضب والضلال يحقق التمييز الدقيق في نفس السامع.
- الدلالة البلاغية: الإتيان بلفظ [غَيْرِ] دون أداة الاستثناء (إلا) يمنع توهم دخول المغضوب عليهم في جنس المنعم عليهم أولاً ثم إخراجهم.
- الخلاصة: النظم القرآني يختار الأدوات النحوية التي تصون العقيدة من أي التباس.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: الآية السابعة في الفاتحة جعلت [غَيْرِ] تابعة للموصول العام [الَّذِينَ] الذي يراد به الجنس القريب من النكرة، فصح نعته بها في قواعد اللسان.
ثانياً: قرائن النظم ترفع توهم الاتصال بين الفريقين بذكر الوصف المباين تماماً.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ] في تقرير المباينة التامة بين الفريقين.
ثانياً: قوله تعالى [لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ] في حسم التفريق بين المصيرين.

- الخلاصة: التحليل النحوي يكشف دقة اختيار الألفاظ في التنزيل الحكيم.
- رابعاً: المراد الحقيقي: يعرب لفظ [غَيْرِ] نعتاً أو بدلاً مجروراً لـ [الَّذِينَ]، وكلا الوجهين يثبت المباينة التامة بين أهل النعمة وبين المغضوب عليهم والضالين.

المسألة الثامنة: دلالة زيادة (لا) في قوله تعالى ولا الضالين لتأكيد النفي ومنع الالتباس (في أقوال أهل التفسير)
المراد الحقيقي: بيان أن إدخال حرف النفي (لا) على المعطوف في قوله [وَلَا الضَّالِّينَ] بعد [غَيْرِ] المتضمنة لمعنى النفي يفيد توكيد المباينة واستقلال كل صنف بالتحذير، ودفع توهم إرادة الجمع بين الصفتين في صنف واحد فقط.

الفهم الخاطئ: عدّ (لا) حرفاً زائداً خالياً من الفائدة المعنوية، أو توهم أن النفي متوجه إلى اجتماع الوصفين معاً دون كل واحد منهما على انفراده.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ] وقوله تعالى [لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ].
ب. قوله تعالى [وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: حرف (لا) بعد النفي أو ما في معناه (مثل غير) يؤكد النفي في المعطوف ويجعله مقصوداً بالذات، فلا يختلط حكمه بحكم المعطوف عليه.

- الدلالة المنطوقية: النطق بـ [وَلَا الضَّالِّينَ] ينص على نفي سلوك طريق الضالين استقلالاً كما نُفي سلوك طريق المغضوب عليهم.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا التأكيد يبطل ظن من يتوهم أن المحذور هو الجمع بين الغضب والضلال معاً، ويثبت أن الانفراد بأحدهما كافٍ في الهلاك.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الأسلوب البياني استيفاء جميع صور الانحراف البشري عن الصراط المستقيم.

- الخلاصة: حرف (لا) في الآية تأسيس معنوي لتوكيد النفي واستقلال التحذير.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء [وَلَا الضَّالِّينَ] في ختام السورة يمد الصوت بحرف المد واللين ليختم التلاوة بإيقاع مؤثر يهز الوجدان.

- الدلالة البلاغية: التكرار المعنوي للنفي بـ (غير) ثم (لا) يشدد العزيمة في قلب المؤمن على مفارقة الباطل بكل صوره.
- الخلاصة: الإعجاز البياني يجمع بين إحكام الدلالة المنطقية وجمال الفاصلة الصوتية.
- الاستدلال التفسيري:
- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية فاطر كررت (لا) بعد النفي [وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ] لتأكيد التباين واستقلال كل طرف بالحكم، وهو نظير الآية السابعة في الفاتحة.

ثانياً: قرائن النظم في سورة البقرة [لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ] تؤكد اطراد هذا الأسلوب في لسان القرآن.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ] في تأكيد نفي كل وصف على حدة.

ثانياً: قوله تعالى [وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ] في وجوب التمييز الدقيق بين مسالك الحق والباطل.

- الخلاصة: القرائن القرآنية تثبت أن (لا) في [وَلَا الضَّالِّينَ] أداة توكيد وبيان لا مجرد زيادة لفظية.
- رابعاً: المراد الحقيقي: دخول (لا) في قوله [وَلَا الضَّالِّينَ] يفيد توكيد النفي وإفراد الضالين بالتحذير المستقل، لدفع توهم جواز سلوك أحد الطريقين دون الآخر.

المسألة التاسعة: إبطال المرويات المزعومة في تأليه الصالحين وتقديس القبور، والتمييز بين الفعل المجرد وبين الشرك (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والقصص المحدثة التي تشرعن تأليه الأنبياء والصالحين أو

تمنح قبورهم وآثارهم قدرة ذاتية مستقلة في النفع والضر، وتأكيد أن الاقتداء بالمنعم عليهم يكون باتباع منهجهم في التوحيد والطاعة، مع تقرير أن أي فعل ظاهري كالسجود أو النداء عند القبور بغير قصد التأليه لا يعد شركاً بالله بل ينظر في حرمته الفقهية بحسب الدليل.

الفهم الخاطئ: التصديق بالحكايات الموضوعة التي ترفع الصالحين إلى مقام الألوهية والربوبية، أو الوقوع في الغلو المقابل بتشريك وتكفير عوام المسلمين بمجرد أفعال ظاهرية تصدر عنهم بغير قصد التأليه لغير الله.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ] وقوله تعالى [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ].

ب. قوله تعالى [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: العبادة في اللسان والشرع هي التأليه الخالص؛ وكل فعل مهما كان كالسجود والتمسح والنداء هو في أصله فعل مجرد لا يصير عبادة وشركاً إلا إذا اقترن بقصد التأليه، وأما حرمته الفقهية فحكم مستقل يثبت بالدليل.

- الدلالة المنطوقية: إضافة الصراط إلى المنعم عليهم في قوله [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] تنص على أن المطلوب هو اتباع طريقهم ومنهجهم لا تأليه ذواتهم.

- الدلالة المفهومية: مفهوم إسناد الإنعام إلى الله وحده في قوله [أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] يبطل كل رواية تجعل الصالحين آلهة أو مصادر مستقلة للخلق والرزق، كما يبطل تكفير الموحدين بأفعال لم يقصدوا بها التأليه.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الميزان الأصولي صيانة عقيدة التوحيد من تأليه البشر وصيانة الأمة من فوضى التكفير والتشريك بغير برهان التأليه.

- الخلاصة: الشرك محصور في تأليه غير الله، وأما الأفعال المجردة عن التأليه عند القبور والآثار فتُحكم بالحل أو الحرمة الفقهية بحسب الدليل دون إلحاقها بالشرك.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: مجيء وصف المنعم عليهم عقب إعلان [إِيَّاكَ نَعْبُدُ] يرسخ أن أعلى مقام بلغوه هو تحقيق العبودية الخالصة لله ونفي التأليه عن أنفسهم.

- الدلالة البلاغية: إسناد فعل الإنعام لضمير المخاطب الإلهي [أَنْعَمْتَ] يرد الفضل كله لله ويبقي المخلوقين في دائرة البشرية المربوبة.

- الخلاصة: البيان القرآني يضبط حدود التعظيم المشروع ويمنع التأليه والتكفير المتهور معاً.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النساء علقت اللحاق بركب المنعم عليهم بطاعة الله والرسول، فأسقطت مرويات التأليه والتواكل على الأشخاص دون عمل.

ثانياً: قرائن النظم في سورة البقرة في سجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف له تقطع بأن مجرد السجود أو الفعل الظاهري لغير الله إذا خلا من قصد التأليه ليس عبادة ولا شركاً.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] في حصر الأسوة في الاقتداء العملي بالمنهج.

ثانياً: قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] في قصر العبادة والتأليه على الله وحده.

- الخلاصة: القرآن يحاكم المرويات بميزان التوحيد الدقيق؛ فيبطل تأليه الصالحين كما يبطل تشريك الموحدين بأفعال خالية من التأليه.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات التي تشرعن تأليه الصالحين وتقديس ذواتهم وقبورهم، كما يبطل تشريك الموحدين بمجرد أفعال ظاهرية كالسجود أو النداء بغير قصد التأليه؛ إذ الشرك هو تأليه غير الله، وأما حرمة تلك الأفعال فحكم فقهي مستقل بحسب الدليل.

المسألة العاشرة: إبطال المرويات المحدثة في تكفير عموم المؤمنين بالله من أهل الكتاب أو إخراج الموحدين من دائرة الإسلام بسبب اختلاف الكتب والأنبياء (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المرويات والأقوال التي تطلق الكفر المطلق بالله على كل مؤمن موحد من أهل الكتاب لمجرد اختلاف كتابه أو تفريقه بين الأنبياء، وتأكيد أن كل من آمن بالله وحده ولم يشرك به ولم يؤلّه سواه فهو مسلم موحد، وأن التفريق بين الرسل والكتب نقص في الإيمان.بينما ينطبق الكفر والشرك على من أنكر الله أو ألّه غيره.

الفهم الخاطئ: الاعتماد على المرويات والأقوال التي تسوي بين الموحدين من أهل الكتاب وبين المنكرين لله والمشركين المؤلّهين لغيره، وتخرج المؤمنين بالله واليوم الآخر من أصل الإسلام والتوحيد.

- أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة: قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] وقوله تعالى [لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ].

- ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا].

ب. قوله تعالى [وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ].

- ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

- الدلالة الوضعية: الكفر في الأصل هو الجحود والإنكار لوجود الله وربوبيته، والشرك هو تأليه غير الله بالعبادة، والإسلام هو الاستسلام والانقياد بالتوحيد الخالص لله وحده.

- الدلالة المنطوقية: النصوص القطعية تثبت الأجر والأمن عند الله لكل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من طوائف أهل الكتاب، وتصف طائفة منهم بالقيام والسجود لله.

- الدلالة المفهومية: مفهوم هذا التفصيل يبطل كل رواية تكفّر الموحدين المؤمنين بالله لمجرد انتسابهم لكتاب سابق أو تفريقهم بين الرسل، ويقصر الشرك والكفر المطلق على من أنكر الله أو ألّه غيره.

- الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم أن التفريق بين الأنبياء وإنكار بعض الكتب يعد نقصاً في الإيمان وانحرافاً جزئياً يستحق صاحبه التحذير من الغضب أو الضلال النسبي، دون أن يسلبه أصل الإسلام والتوحيد ما دام مؤمناً بالله وحده.

- الخلاصة: الإيمان بالله وحده بلا تأليه لغيره هو أصل الإسلام الجامع، والتفريق بين الرسل نقص إيماني وهو كفر على وجه ان كان جحودا بعد علم ولا يلحق بالكفر بالله.

- الاستدلال التعبيري:

- الدلالة السياقية: الاستعاذة في ختام الفاتحة من مسلك [الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ] تحذر المؤمن من الانزلاق في تفريق الكلمة أو التقصير في الإيمان بجميع الرسل أو الغلو المؤدي إلى التأليه.

- الدلالة البلاغية: التعبير بالوصفين دون حصرهما في أمة بعينها يفتح الدلالة لتشمل كل انحراف عن تمام التوحيد أو عن كمال الإيمان بالكتب والرسل.

- الخلاصة: البيان القرآني يفرق بدقة بين نقض أصل التوحيد بالتأليه وبين نقص الإيمان بالتفريق.

- الاستدلال التفسيري:

- الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البقرة نصت بصراحة على قبول إيمان الموحدين من أهل الكتاب، فأبطلت مرويات التكفير العام التي تهدر إيمانهم بالله.

ثانياً: قرائن النظم في آية التوبة حصرت الكفر والشرك فيمن ادعى البنوة لغير الله وألّه الأحبار والرهبان، مما يميز بين الموحدين وبين الغلاة المشركين.

- تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] في بيان أن تمام الإسلام يقتضي عدم التفريق بين الأنبياء.

ثانياً: قوله تعالى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] في جعل التوحيد ونفي التأليه أساساً للاجتماع على الإسلام.

- الخلاصة: المنظومة القرآنية ترد المرويات المكفرة للموحدين وتفصل بين الكفر بالله وبين نقص الإيمان بالتفريق بين الرسل.

- رابعاً: المراد الحقيقي: تبطل كافة المرويات والأقوال التي تكفّر المؤمنين بالله من أهل الكتاب لمجرد اختلاف الكتاب أو التفريق بين الأنبياء؛ فكل موحد يؤمن بالله ولا يؤلّه غيره مسلم موحد، وتفريقه بين الرسل نقص في الإيمان ومن جحد حقا يعلمه جيدا فهو كفر نسبي لا يخرجه من أصل الإسلام ولا يكون كالكافر بالله تعالى.

تعليق

مسألة: حقيقة إسلام وإيمان أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومآلهم عند الله

- القول الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الإيمان والنجاة بعد بعثة النبي الخاتم منحصران حصراً في الدخول في الملة المحمدية الظاهرة، وأن كل من لم يتبع الرسالة الخاتمة من اليهود والنصارى يُعدّ خارجاً عن دائرة الإيمان المقبول ومآله الخلود في النار، استناداً إلى عموم آيات النسخ ووجوب اتباع النبي الخاتم على كافة الثقلين.

- القول الثاني: يذهب هذا الرأي إلى التفريق بين من بلغته الرسالة الخاتمة بشكل نقي واضح فجحدها عناداً واستكباراً، وبين من لم تبلغه الحجة الرسالية أو بلغته مشوهة؛ فيُحكم بكفر الجاحد المعاند ظاهراً وباطناً، بينما يُترك أمر غير البالغ لهم الدعوة إلى مشيئة الله واختباره يوم القيامة.

- القول الثالث: يقرر أصحاب هذا الاتجاه أن الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هو جوهر الدين الواحد الذي جاءت به جميع الرسل؛ فمن آمن من أهل الكتاب بالله توحيداً خالصاً، وصدق باليوم الآخر، وعمل صالحاً دون شرك أو تحريف، فهو داخل في مسمى "المسلمين" بالمعنى الكوني العام وله أجره عند ربه.

[القول الراجح وفقاً للمنهج التداخلي للشبكة القرآنية]:
إن إسلام وإيمان أهل الكتاب يُوزن بميزان التوحيد الخالص والعمل الصالح والاستسلام للحق متى ما انكشف للإنسان، لا بمجرد الانتماء الاسمي لطائفة أو تاريخ؛ فمن أقام التوحيد النقي وآمن باليوم الآخر وعمل صالحاً ولم يجحد ما أنزل الله عناداً واستكباراً،

شمله وعد الله بالأجر والأمن، بينما يُحاسب من جحد الحق بعد تبينه حساب المعاندين.

- تحديد أم الكتاب: تُرد هذه المسألة إلى الكليات الدستورية الكبرى المتمثلة في العدل الإلهي المطلق (فلا يُظلم أحد مثقال ذرة)، ووحدة الدين الإلهي القائم على إسلام الوجه لله وإحسان العمل، ونفي الاحتكار الطائفي لرحمة الله وفضله.

- الهندسة التناغمية المانعة للتصادم: إن القول بالإقصاء المطلق لكل من حمل اسم يهودي أو نصراني يؤدي إلى تجميد وإبطال محكمات صريحة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وفي المقابل، فإن القول بالقبول المطلق دون قيد يُصادم آيات ذم التحريف والشرك والجحود في حق من كفر بعد البيان. وبالتداخل البنيوي تتناغم الآيات؛ فآيات الوعد بالأجر تتنزل على الموحدين المحسنين منهم المستسلمين للحق، وآيات الوعيد تتنزل على من أشرك بالله أو جحد رسله وآياته بعد قيام الحجة.

- الغاية الهدايتية والموعظية والرسالية: يهدف هذا البيان إلى تحرير قلب الإنسان من الغرور الطائفي والاتكال على الألقاب الدينية المجردة، وتوجيه وجدانه وعمله نحو جوهر الاستسلام لله، وإقامة القسط، والتسابق في الخيرات؛ ليدرك كل إنسان أن القرب من الله يُنال بصدق التوحيد وصلاح العمل لا بمجرد الانتساب.

مسألة: دلالة آيات التفريق بين الله ورسله وإنكار نبي من الأنبياء على حقيقة الكفر وعلاقتها بوحدة الإيمان

- القول الأول: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الإيمان بالرسل كلٌّ لا يتجزأ في كل زمان، وأن مجرد التوقف أو عدم التصديق بنبيٍّ واحد من الأنبياء يُخرج صاحبه من دائرة

الإيمان مطلقاً ويجعله في عداد الكافرين المخلدين في النار، بغض النظر عن السبب أو السياق، استناداً إلى ظاهر الحصر في وصف المفرقين بين الله ورسله بالكافرين حقاً.

- القول الثاني: يذهب هذا الرأي إلى أن آيات الوعيد والتكفير في حق من فرق بين الله ورسله نزلت في سياق خاص يتعلق بمن أُقيمت عليه الحجة الرسالية البالغة فآمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه عن هوىً ومكابرة، أما من لم يتحقق في حقه البلاغ المبين أو التبس عليه الأمر دون جحود للحق، فلا ينطبق عليه وصف الكفر الجحودي.

- القول الثالث: يقرر أصحاب هذا الاتجاه أن الإيمان بالرسل هو تصديق بأصل الوحي الإلهي وغايته؛ فمن صدّق بالرسالة الإلهية واستسلم لجوهرها دون تعصب طائفي فقد آمن بالرسل جميعاً في الحقيقة، ومن ردّ نبياً لعصبية قومية أو طائفية فقد ردّ أمر الله نفسه وإن ادعى الإيمان به.

[القول الراجح وفقاً للمنهج التداخلي للشبكة القرآنية]:
إن آيات التفريق بين الله ورسله تكشف أن الكفر في حقيقته هو التبعيض الانتقائي في تلقي الحق وردّ أمر الله عن هوى أو عصبية؛ فمن زعم الإيمان بالله ثم ردّ رسالة نبيٍّ تبيّن له صدقه، فقد كذّب الله في اختياره ووحيه، ولذلك سماه القرآن "كفراً حقاً"، بينما لا يدخل في هذا الوعيد من لم تبلغه الرسالة على وجهها النقي الصحيح.

- تحديد أم الكتاب: تُرد هذه المسألة إلى الكليات الدستورية الكبرى المتمثلة في وحدة المصدر الإلهي للوحي (فكل الرسل من عند الله يدعون إلى توحيده)، وقاعدة نفي التكليف إلا بعد البيان وقيام الحجة، والعدل الإلهي الذي يفرق بين الجاحد المعاند والجاهل غير المعاند.

- الهندسة التناغمية المانعة للتصادم: إن قراءة آيات التفريق بين الله ورسله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ بمعزل عن بقية الشبكة القرآنية يُحدث تصادماً ظاهرياً مع آيات العفو عن غير البالغ لهم النذير ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ومع آيات الوعد بالنجاة للمؤمنين المحسنين. وبالتداخل البنيوي تتناغم الآيات بدقة؛ فلفظة "يريدون أن يفرقوا" و"يقولون

نؤمن ببعض ونكفر ببعض" تكشف عن قصدية الجحود والانتقاء الهوائي بعد العلم والبيان، وهذا هو "الكفر الحق" الذي يبطل دعوى الإيمان بالله، أما من آمن بالله واستسلم للحق بحسب ما بلغه من الوحي النقي ولم يجحد نبياً عن استكبار، فإنه غير مشمول بوصف التفريق الجحودي.

- الغاية الهدايتية والموعظية والرسالية: تُربي هذه الآيات قلب المؤمن على التجرد الكامل للحق والتسليم المطلق لله دون انتقاء أو تحيز؛ ليحذر الإنسان من أن يخضع دينه لهواه أو عصبيته فيقبل من الحق ما يوافق الكتاب ويرد ما يخالفه، ويدرك أن الإيمان الصادق هو انقياد شامل لكل ما صحّ عن الله من هدى ونور.

سورة البقرة

(البقرة: 1)

[الم]

المسألة الأولى: حقيقة الحروف المقطعة في فواتح السور بين الإحكام والتشابه (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن هذه الحروف من المتشابه المحكم في بنائه، الدال على إعجاز النظم القرآني وتحدي الخلق بمادة لغتهم، مع القطع بوجود حكمة إلهية بالغة وراء إنزالها تمنع القول بالعبثية أو خلو النص عن المعنى.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن هذه الحروف ألغاز مطلسمة لا معنى لها مطلقاً، أو أنها رموز باطنية سرية تخص فئة دون سائر المكلفين.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 7)[هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

قوله تعالى: (النحل: 89)[وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الزخرف: 3)[إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ].

ب. قوله تعالى: (فصلت: 44)[وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الأصوات الهجائية الثلاثة (الألف واللام والميم) هي الوحدات الصغرى الأولية التي يتألف منها اللسان العربي في أصل الوضع اللغوي قبل التركيب.

الدلالة المنطوقية: النطق الصريح بأسماء الحروف مقطعة مجزأة لا بمسماها الصوتي المركب في كلمة واحدة، مما يخرجها عن التركيب الاسمي المعتاد.

الدلالة المفهومية: يلزم من افتتاح الكتاب بحروف اللسان المعروفة انتفاء الأعجمية والغموض الطلسمي، إذ لو كانت خارجة عن سنن اللسان العربي لانتفى التحدي بها.

الدلالة التضمنية: تتضمن هذه الحروف الإشارة الكلية إلى جنس الكلام العربي بأسره، باعتبار أن الجزء الصوتي الأولي يستلزم الإحالة إلى البناء اللغوي العام للقرآن.

الخلاصة: النص منطوق بحروف عربية خالصة مقطعة، يوجب الإيمان بكونها وحياً منزلاً ذا حكمة، ويمنع نفي الدلالة عنها أو صرفها إلى رموز أعجمية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الحروف في مطلع أطول سور القرآن بعد الفاتحة مباشرة، لتكون بمثابة قرع للسمع وتنبيه للوعي الإنساني قبل التقرير القطعي بانتفاء الريب عن الكتاب في الآية التي تليها.

الدلالة البلاغية: العدول عن افتتاح الكلام بجملة خبرية معتادة إلى استهلال صوتي مجرد يثير الدهشة والانتباه، ويوقظ الوجدان لإدراك أن هذا الخطاب يختلف في مصدره ونظمه عن كلام البشر.

الخلاصة: الأداء التعبيري للآية يحدث صدمة معرفية وسمعية تهيئ المتلقي لتلقي الحقائق الكبرى في السورة بوعي كامل وخشوع تام.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: الآيات المحكمة في وصف القرآن بالتبيان والعربية تقيد المتشابه في الفواتح، فتمنع تأويلها بما يناقض كون القرآن كتاب هداية وتعقل للناس كافة.

ثانياً: إعمال قرائن النظم القرآني يرفع توهم خلو هذه الحروف من الفائدة؛ لأن قرنها الدائم بذكر الكتاب والقرآن والتنزيل في السور المفتتحة بها يثبت ارتباطها الوثيق بإعجاز النظم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 1، 2)[المص *كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ] يفسر أن الغاية من هذه الفواتح هي إثبات حقيقة الإنزال الإلهي للكتاب.

ثانياً: قوله تعالى: (طه: 1، 2)[طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ] يبين أن الحروف المقطعة مقدمة لتقرير رحمة التنزيل ويسره لا للتعمية والإشقاق.

الخلاصة: تتلاحم الآيات لتقرر أن الحروف المقطعة برهان نظمي على أن هذا الكتاب المعجز مؤلف من عين الحروف التي ينطق بها البشر، مما يقيم الحجة عليهم بقدرة الله المطلقة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن [الم] آية محكمة في تنزيلها، متشابهة في تفصيل تأويلها، وظيفتها إقامة الحجة البيانية على البشر بأن القرآن منزل من عند الله بحروف لغتهم، ويجب الإيمان بها كما أنزلت دون خوض في التأويلات الباطنية المتوهمة.

المسألة الثانية: إعجاز النظم القرآني والتحدي بالمادة الصوتية للغة (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن سر الإعجاز الكامن في [الم] هو إظهار التباين المطلق بين قدرة الخالق وقدرة المخلوقين في تأليف الكلام من نفس العناصر الصوتية الأولية.

الفهم الخاطئ: حصر أقوال المفسرين في أن الحروف المقطعة مجرد أسماء للسور أو فواصل صوتية للانتقال من سورة إلى أخرى دون دلالة إعجازية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الإسراء: 88)[قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا].

قوله تعالى: (هود: 13)[قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 23)[وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ].

ب. قوله تعالى: (الطور: 34)[فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اجتماع الألف (أقصى الحلق) واللام (طرف اللسان) والميم (الشفتان) يستوعب مخارج الجهاز النطقي الإنساني من بدايته إلى نهايته في أصل الوضع الصوتي.

الدلالة المنطوقية: التصريح بهذه المخارج الثلاثة المتباعدة في آية مستقلة يضع أمام السامع النموذج التأسيسي لتكوين الكلمات والجمل.

الدلالة المفهومية: يلزم من عرض المادة الخام للغة مع عجز الفصحاء عن المعارضة أن السر يكمن في النظم الإلهي لا في غرابة الألفاظ.

الدلالة التضمنية: تتضمن هذه التركيبة الصوتية الإشارة إلى شمولية البيان القرآني لكل مستويات النطق الإنساني وقدرته على استيعاب المعاني كافة.

الخلاصة: النص يثبت بالمنطوق الصوتي الشامل لمخارج الحروف أن مادة القرآن هي مادة لسان العرب، مما يجعل التحدي قائماً ومستمراً.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: وقوع هذا التحدي الصوتي المبطن في بداية السورة يمهد للتحدي الصريح في الآية الثالثة والعشرين من السورة ذاتها، فيربط أول السورة بوسطها.

الدلالة البلاغية: الإيجاز البليغ في الاكتفاء بثلاثة أحرف تختزل الجهاز النطقي يبعث في نفس المعاند شعوراً بالعجز والانبهار أمام دقة الاختيار الإلهي.

الخلاصة: التركيب التعبيري يمارس التحدي العملي قبل التحدي القولي، مما يرسخ هيبة النص في وجدان المخاطب منذ اللحظة الأولى.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آيات التحدي الصريحة في القرآن تفسر الغاية من افتتاح السور بالحروف المقطعة، وتقيدها بمقصد إقامة البرهان على صدق النبوة.

ثانياً: تتبع مواضع الفواتح في السور المكية والمدنية يرفع توهم الاقتصار على وظيفة التسمية؛ إذ لو كانت مجرد أسماء لما تكررت [الم] في ست سور مختلفة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الشورى: 1، 2، 3)[حم * عسق * كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] يربط الحروف المقطعة مباشرة بسنن الوحي الإلهي.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 1)[الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ] يوضح أن هذه الحروف هي مفتاح الإشارة إلى إحكام آيات الكتاب.

الخلاصة: يتبين من استقراء النظم القرآني أن القول بأن الحروف المقطعة للتحدي والإعجاز هو أرجح ما ذهب إليه أهل التفسير لانسجامه التام مع مقاصد التنزيل.

رابعاً: المراد الحقيقي:

ثبت بالبرهان الدلالي أن [الم] تمثل الاستعراض الإعجازي للمادة الصوتية للغة، لإثبات أن النظم القرآني فعل إلهي خالص يعجز البشر عن محاكاته رغم ملكيتهم لأدواته.

المسألة الثالثة: حكم الوقف والابتداء والترتيل في [الم] (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: بيان وجوب اعتبار [الم] آية مستقلة تامة في التلاوة والعد، ووجوب أدائها بالتوسط الصوتي المشروع دون جهر مفرط أو إخفات مخل.

الفهم الخاطئ: جواز وصلها بما بعدها دون تمييز، أو تفريق الصلوات في أدائها بين جهر مطلق وإخفات مطلق بناءً على اجتهادات محدثة تخالف محكم القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الإسراء: 110)[وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا].

قوله تعالى: (المزمل: 4)[وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 16)[لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 204)[وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الترتيل في أصل الوضع اللغوي هو التنسيق والتبيين وإخراج الحروف من مخارجها بتمهل واتزان.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ [الم] كآية مستقلة يفرض إعطاء كل حرف حقه الصوتي (ألف، لام، ميم) بمدّه الطبيعي واللازم كما هو متواتر في المصحف.

الدلالة المفهومية: يلزم من الأمر بالترتيل والنهي عن الجهر والإخفات المطلقين وجوب التوسط الصوتي عند قراءة هذه الآية في كل صلاة.

الدلالة التضمنية: يتضمن حكم هذه الآية سائر آيات القرآن في وجوب المحافظة على رسم المصحف وعدّ آياته كما استقرت بالتواتر العياني.

الخلاصة: يجب شرعاً التوسط في الصوت عند قراءة [الم] في الصلاة، وإعطاؤها حقها من الترتيل والوقف باعتبارها رأس آية مستقلة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الفصل التوقيفي لـ [الم] كآية أولى يمنح القارئ والمستمع وقفة تأملية

تفصل بين الاستهلال الصوتي وبين التقرير العقائدي في الآية الثانية.

الدلالة البلاغية: الامتداد الصوتي لحرفي اللام والميم مع الغنة يخلق إيقاعاً وقوراً يضبط إيقاع التلاوة ويحقق السكينة النفسية للمصلي.

الخلاصة: الأداء الصوتي المتزن لـ [الم] يحقق المقصد التعبيري للترتيل ويجنب القارئ العجلة المذمومة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الإسراء الحاكمة تقيد كيفية قراءة القرآن في الصلاة بالتوسط المطلق، وتبطل تقسيم الصلوات إلى جهرية وإخفاتية.

ثانياً: الأمر بالإنصات عند قراءة القرآن يرفع توهم جواز الإسرار التام الذي يمنع التلقي والتدبر، كما يمنع الصياح المزعج.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الفرقان: 32)[وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا] يبين أن الترتيل سنة إلهية في التنزيل يجب أن تنعكس في أداء التلاوة.

ثانياً: قوله تعالى: (طه: 114)[وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ] يؤكد وجوب التريث وإعطاء الحروف المقطعة مداها الصوتي الكامل.

الخلاصة: تتضافر الأدلة القرآنية على أن قراءة [الم] تخضع لقاعدة التوسط الصوتي والترتيل المتأني في جميع الصلوات دون استثناء.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع هو وجوب تلاوة [الم] آية تامة مستقلة، والالتزام بالتوسط الصوتي بين الجهر والإخفات في قراءتها داخل الصلاة وخارجها عملاً بمحكم التنزيل.

المسألة الرابعة: الإعراب النحوي والوظيفة التركيبية لـ [الم] في نظام الجملة العربية (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن [الم] مسرود على الحكاية الصوتية لأسماء الحروف، ولا محل له من الإعراب التركيبي المعتاد لأنه يمثل وحدة خطابية مستقلة فوق قواعد النحو الوضعي.

الفهم الخاطئ: تكلف تقدير محذوفات نحوية لإدخال [الم] في باب المبتدأ والخبر أو القسم، مما يفسد استقلالية الآية وبلاغتها.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (فصلت: 3)[كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ].

قوله تعالى: (الزمر: 28)[قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (ص: 1)[ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ].

ب. قوله تعالى: (ق: 1)[ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الحرف الهجائي في أصل الوضع اللغوي صوت مجرد مبني على السكون، ولا يقبل الإعراب إلا إذا استعمل اسماً لغيره أو مركباً في جملة.

الدلالة المنطوقية: النطق بالحروف ساكنة الأواخر (ألفْ، لامْ، ميمْ) دليل منطوقي قاطع على عدم إعرابها وعلى وقوفها على أصل البناء الصوتي.

الدلالة المفهومية: يلزم من تسكين أواخر هذه الحروف انتفاء كونها مبتدأً أو خبراً أو مفعولاً لفعل محذوف؛ إذ لو كانت معربة لظهرت عليها علامات الإعراب.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البناء الساكن استقلالية الآية التامة عن الجملة التي تليها نحوياً، مع ارتباطها بها دلالياً ومعرفياً.

الخلاصة: [الم] وحدة صوتية مبنية على السكون على سبيل الحكاية، ولا مسوغ لتقدير عوامل نحوية تغير من طبيعتها الصوتية المجردة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: فصل [الم] عن قوله تعالى (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) بعلامة رأس الآية يؤكد استقلال التركيبين، ويجعل [الم] بمثابة العنوان الصوتي الشامل للسورة.

الدلالة البلاغية: التجرد من قيود الإعراب التركيبي يمنح اللفظ إطلاقاً واتساعاً دلالياً لا تحده علاقة إسنادية ضيقة.

الخلاصة: البناء النحوي المجرد لـ [الم] يعزز فخامة الاستهلال ويحفظ للآية استقلالها البياني الكامل.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: ورود واو القسم بعد الحروف المقطعة في آيات مثل (ص وَالْقُرْآنِ) يثبت أن الحروف المقطعة ليست مقسماً به، بل هي وحدة سابقة على القسم.

ثانياً: استقامة النظم القرآني وخلوه من العوج يرفعان توهم النقص التركيبي الذي يزعمه النحاة بتقدير مبتدأ أو خبر محذوف.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (مريم: 1، 2)[كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا] يوضح انفصال الحروف المقطعة عن الجملة الاسمية التي تليها.

ثانياً: قوله تعالى: (يس: 1، 2)[يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ] يؤكد أن الحرف المقطع آية مستقلة قائمة بذاتها قبل بدء القسم.

الخلاصة: الدلالة النحوية والقرآنية تقطع بأن [الم] آية صوتية مستقلة مبنية على الوقف، ولا تحتاج إلى تقديرات النحويين المتكلفة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق اللساني القطعي أن [الم] مسرود على الحكاية الصوتية المجردة، مستغنٍ بذاته عن التقدير الإعرابي، ليكون برهاناً على أن القرآن حاكم على قواعد النحو لا محكوم بها.

المسألة الخامسة: دلالة الصلة بين [الم] واختيار هذه الحروف الثلاثة دون غيرها في افتتاح السور (في الدلالة)

المراد الحقيقي: بيان أن اختيار حروف (الألف واللام والميم) يمثل قمة التوازن الصوتي والشيوع اللغوي في اللسان العربي، ليكون رمزاً لأشمل سور القرآن وأكثرها استيعاباً للتشريعات والعقائد.

الفهم الخاطئ: الزعم بأن اختيار هذه الحروف الثلاثة وقع اتفاقاً دون حكمة صوتية أو تناسب مع موضوع سورة البقرة ومقاصدها الكلية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (هود: 1)[الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ].

قوله تعالى: (القمر: 49)[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (العنكبوت: 1، 2)[الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ].

ب. قوله تعالى: (الروم: 1، 2)[الم * غُلِبَتِ الرُّومُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الألف حرف جوف وحلق، واللام حرف ذلق ووسط، والميم حرف شفة، وهي أكثر الحروف دوراناً وتكراراً في بنية الكلمات العربية.

الدلالة المنطوقية: اجتماع هذه الحروف الثلاثة ينتج سلسلة صوتية متدرجة من أقصى الداخل إلى أقصى الخارج دون انقطاع أو تنافر.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الترتيب المحكم لمخارج الحروف أن النص صادر عن عليم خبير بخصائص الأصوات ودقائق التركيب اللساني.

الدلالة التضمنية: تتضمن هذه الثلاثية الصوتية الإشارة إلى شمولية الهداية القرآنية التي تستوعب الباطن (الحلق) والظاهر (الشفتين) وما بينهما (اللسان).

الخلاصة: اختيار [الم] مبني على هندسة صوتية دقيقة تجمع أصول المخارج وأكثر الحروف شيوعاً في اللسان العربي.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: افتتاح سورة البقرة بهذه الحروف يتناسب مع كونها أطول سورة وأكثرها اشتمالاً على مفردات اللغة وأحكام الشريعة وأخبار الأمم.

الدلالة البلاغية: التوازن الموسيقي بين مد الألف وتوسط اللام وغنة الميم يضفي جلالاً ووقاراً يناسب مقام التشريع والتأسيس للأمة المسلمة.

الخلاصة: التناسب بين الصوت والمضمون يبلغ ذروته في افتتاح هذه السورة الجامعة بأجمع الحروف وأكثرها دوراناً.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: إحكام آيات الكتاب وتفصيلها يمنع وجود أي حرف في غير موضعه الدقيق أو دون غاية مقصودة.

ثانياً: استقراء السور الست المفتتحة بـ [الم] يرفع توهم الصدفة؛ إذ تشترك جميعها في تقرير سنن الله في الاستخلاف والابتلاء والتمكين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (لقمان: 1، 2)[الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ] يربط هذا التركيب الصوتي بالحكمة البالغة في التشريع والخلق.

ثانياً: قوله تعالى: (السجدة: 1، 2)[الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ] يكرر ذات السياق التأسيسي لسورة البقرة في نفي الريب وإثبات الربوبية.

الخلاصة: تتطابق دلالات السور المفتتحة بـ [الم] على أن هذا الاختيار الصوتي مقصود لذاته لبيان شمولية الرسالة وإحكام التنزيل.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحقيقة القطعية أن اختيار [الم] في مطلع سورة البقرة يجسد قمة الإحكام الصوتي والبياني، حيث جمع الله أصول مخارج النطق ليكون فاتحة لأشمل سور الكتاب وأعظمها تشريعاً.

المسألة السادسة: حقيقة علم الله المستأثر به وحدود التأويل البشري في [الم] (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن التفصيل الكلي لحكمة الحروف المقطعة مما استأثر الله بعلمه، وأن وظيفة العقل البشري هي الإيمان والتسليم والتدبر في مقاصدها الكلية دون خوض في الغيبيات بلا برهان.

الفهم الخاطئ: ادعاء القدرة على كشف أسرار غيبية مطلقة من خلال حساب الجمل أو استخراج تواريخ زوال الدول ونهاية العالم من حروف [الم].

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 7)[وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا].

قوله تعالى: (الإسراء: 36)[وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 255)[وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 59)[وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التأويل في أصل اللغة هو رد الشيء إلى غايته وحقيقته النهائية التي

يؤول إليها.

الدلالة المنطوقية: النص في آل عمران يقطع باختصاص الله بعلم التأويل المطلق للمتشابه، ويحصر موقف الراسخين في الإيمان والتسليم.

الدلالة المفهومية: يلزم من حصر علم التأويل في الله تعالى بطلان كل دعوى بشرية تزعم الإحاطة بأسرار الحروف المقطعة عن طريق الحدس أو التنجيم العددي.

الدلالة التضمنية: يتضمن الإيمان بهذه الآية الإقرار بمحدودية العقل البشري أمام إطلاق العلم الإلهي.

الخلاصة: يجب الوقوف عند حدود النص، وردّ العلم بحقيقة ما استأثر الله به في [الم] إليه سبحانه، مع تحريم القول على الله بغير علم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: تصدير السورة بآية تختبر التسليم العقلي والقلبي يضع الأساس لمنهجية التلقي الصحيح لجميع أوامر السورة ونواهيها اللاحقة.

الدلالة البلاغية: الغموض الجليل للحروف المقطعة يربي في نفس المؤمن التواضع المعرفي والانكسار أمام عظمة المتكلم سبحانه.

الخلاصة: التعبير القرآني يوظف المتشابه لتهذيب العقل البشري ومنعه من الغرور المعرفي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية النهي عن قفو ما لا علم به تقيد حركة العقل في تفسير المتشابه، وتمنع الخوض في التكهنات الرقمية والحسابات الجملية.

ثانياً: آية اختصاص الله بمفاتح الغيب ترفع توهم إمكانية استخراج المغيبات المستقبلية من حروف الفواتح.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 187)[قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ] يقطع بأن علم الساعة والمستقبل غيب محض لا يستخرج من الحروف.

ثانياً: قوله تعالى: (الجن: 26)[عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا] يبطل مزاعم من يدعون فك شفرات الغيب من فواتح السور.

الخلاصة: المنهج القرآني يوجب التوازن بين التدبر في المقاصد الكلية للحروف وبين التسليم لله في تفصيل ما استأثر به من علمها.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن [الم] ابتلاء معرفي يميز المؤمنين المسلميّن لأمر الله من المتكلفين الباحثين عن الغيب بالظن، وحقيقتها التفصيلية من علم الله الخاص الذي لا يجوز اقتحامه بغير برهان.

المسألة السابعة: نفي تعدد القراءات وإثبات قطعية النص في [الم] (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن القراءة الصحيحة الوحيدة هي ما ثبت في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل بمد الألفات واللامات والميمات كما هو مرسوم ومنقول بالكافة، وبطلان كل قراءة شاذة أو رواية تخالف ذلك.

الفهم الخاطئ: تجويز التلاعب الصوتي بالحروف المقطعة أو إدخال وجوه قرائية غير متواترة بدعوى تعدد الأحرف أو القراءات السبع والعشر التي توجب الاختلاف المنهي عنه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: القرآن في أصل الوضع هو المقروء المجموع المتواتر الذي استقر لفظه ورسمه في المصحف.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف بـ [الم] هو نطق الحروف الثلاثة بأسمائها ممدودة (ألفْ لامْ ميمْ) دون إدغام أو حذف أو تغيير.

الدلالة المفهومية: يلزم من الأمر باتباع قرآن الله ونفي الاختلاف عنه بطلان أي وجه قرائي يغير في بنية الحروف المقطعة أو ينقص من حروفها أو يزيد فيها.

الدلالة التضمنية: يتضمن حفظ الذكر صيانة الأداء الصوتي المرسوم في المصحف الموجود بين الناس من التحريف والاختلاف.

الخلاصة: للقرآن قراءة واحدة متواترة هي ما في المصحف الموجود بين أيدي الأمة، وما خالفها من روايات القراءات المنسوبة للسبع أو العشر فلا حجية فيه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: وحدة الأداء الصوتي لـ [الم] في جميع أقطار الأرض تمنح الأمة وحدة شعورية ومعرفية عند افتتاح أعظم سور التشريع.

الدلالة البلاغية: الثبات الصوتي المطلق للحروف الثلاثة يعكس رسوخ الحقائق الإيمانية التي ستعرضها السورة دون تردد أو اضطراب.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحفظ للنص هيبته وتمنع تشتت الوعي الإنساني بين وجوه متضاربة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد مفهوم التلقي القرآني بما نقله الكافة عن الكافة، وتبطل

دعوى تعدد القراءات المتضاربة.

ثانياً: آية نفي الاختلاف عن القرآن ترفع توهم شرعية الاختلاف في الألفاظ أو الحروف المقطعة تحت أي مسمى.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] يقطع بعدم جواز تبديل أي حرف أو وجه صوتي في التنزيل.

ثانياً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

الخلاصة: يتأكد بالبرهان القرآني أن المصحف المتواتر هو المرجع الوحيد، وأن كل ما خالفه من قراءات هو من الاختلاف المنهي عنه.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون المعرفي الثابت أن [الم] تُقرأ بقراءة المصحف الواحدة المتواترة جيلاً عن جيل، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية، لأن كتاب الله واحد لا اختلاف فيه.

المسألة الثامنة: منهجية الاستدلال بالحروف المقطعة في إبطال دعوى البشرية عن القرآن (في أقوال أهل التفسير والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إقامة البرهان العقلي والنقلي من خلال [الم] على أن هذا الكتاب تنزيل من رب العالمين وليس من تأليف البشر أو نتاج البيئة الثقافية للنبي.

الفهم الخاطئ: زعم المشركين والمستشرقين أن القرآن من إملاء البشر أو اقتباس من الكتب السابقة، مع إغفالهم أن أحداً من البشر لم يفتتح كلامه قط بحروف هجائية مقطعة بهذا الإحكام.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النجم: 3، 4)[وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ].

قوله تعالى: (الفرقان: 6)[قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (العنكبوت: 48)[وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ].

ب. قوله تعالى: (الشورى: 52)[مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الخطاب البشري في أصل وضعه وعادته يبدأ بالكلمات الدالة على معانٍ جزئية، ولا يبدأ بتهجئة الحروف المجردة.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ [الم] في صدر الكتاب يعلن منذ الوهلة الأولى مفارقة هذا النص لأساليب الخطباء والشعراء والكهان.

الدلالة المفهومية: يلزم من مجيء النبي الأمي الذي لم يخط بيمينه بحروف التهجئة في أرقى صور الإعجاز أن المصدر هو الله العليم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاستهلال الفريد نفي أي أثر للتأليف البشري أو التدرج التعليمي في صياغة القرآن.

الخلاصة: خروج [الم] عن مألوف الكلام البشري مع صدوره عن نبي أمي يقطع ببراءة النص من البشرية ويثبت ربانية المصدر.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء [الم] قبل قوله تعالى (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) يجعل من الحروف المقطعة دليلاً مادياً ملموساً على نفي الريب عن مصدرية الكتاب.

الدلالة البلاغية: الجرأة البيانية في افتتاح الكتاب بما لم يألفه العرب تبرهن على ثقة المتكلم المطلقة بسلطان كلامه وقدرته على إخضاع العقول.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يضع المنكرين أمام ظاهرة لغوية غير مسبوقة تعجزهم عن نسبتها إلى كاتب أو شاعر بشري.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية أمية النبي (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ) تفسر وجه الإعجاز في نطقه بأسماء الحروف الهجائية وتوظيفها في بناء معجز.

ثانياً: آية نفي الهوى عن النطق النبوي ترفع توهم أن يكون هذا الاستهلال من اجتهاد النبي الشخصي لجذب الانتباه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يونس: 37)[وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ] يثبت استحالة اختلاق هذا النظم الفريد من قبل البشر.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 93)[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ] يبين عظمة وخطورة نسبة حرف واحد لله بغير وحي.

الخلاصة: تتضافر البراهين القرآنية لتجعل من [الم] حجة دامغة تبطل شبهات البشرية وتثبت صدق الوحي.

رابعاً: المراد الحقيقي:

البرهان القاطع أن [الم] بصفتها ظاهرة لغوية غير مسبوقة صادرة عن نبي أمي، تمثل الدليل الحسي المباشر على أن القرآن كلام الله المنزل، وتنسف كل ادعاء ببشريته.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المنسوبة في تفسير [الم] بحساب الجمل واستخراج آجال الأمم (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المشهورة التي تزعم أن جماعة من اليهود حسبوا حروف [الم] بحساب الجمل (الألف بواحد، واللام بثلاثين، والميم بأربعين) فاستخرجوا منها مدة بقاء أمة الإسلام بإحدى وسبعين سنة، ثم لما سمعوا (المص) و(الر) قالوا قد

خُلط علينا؛ لمخالفتها الصريحة لمحكم القرآن في اختصاص الله بعلم الغيب.
الفهم الخاطئ: تصديق هذه الحكاية الروائية واعتبارها أصلاً شرعياً لتوظيف الحروف المقطعة في التنجيم العددي وحساب المستقبل.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (النمل: 65)[قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ].
قوله تعالى: (لقمان: 34)[إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْبَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (الأعراف: 188)[وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ].
ب. قوله تعالى: (المائدة: 90)[إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: حساب الجمل وضع بشري اصطلح عليه الكهان والمنجمون لإعطاء الحروف قيماً عددية لا أصل لها في وضع اللسان العربي المبين.
الدلالة المنطوقية: النصوص القرآنية المحكمة تحصر علم الغيب والآجال في الله وحده حصراً قاطعاً بأداة النفي والاستثناء (لا يعلم... إلا الله).
الدلالة المفهومية: يلزم من حصر علم الغيب في الله بطلان كل طريقة حسابية تزعم استخراج آجال الأمم أو الغيبيات من حروف القرآن.
الدلالة التضمنية: تتضمن الرواية المذكورة إقراراً ضمنياً بصحة منهج التنجيم العددي الذي مارسه أولئك النفر، وهو ما يناقض التوحيد والقرآن.
الخلاصة: الرواية باطلة متناً ومعنى؛ لأنها تجعل آيات القرآن أداة للتنجيم وحساب الجمل الذي أبطله القرآن وحصر علمه في الله.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت [الم] في سياق الهداية والتقوى لا في سياق التنجيم والكهانة، مما يجعل إقحام حساب الجمل انحرافاً تاماً عن غاية السورة.

الدلالة البلاغية: القرآن يرتفع بوعي الإنسان من خرافات الأرقام والطلاسم إلى حقائق الإيمان والعمل الصالح، بينما تهبط هذه الروايات بالنص إلى مستوى العرافة.

الخلاصة: السياق التعبيري للقرآن ينفر من الكهانة العددية ويفضح زيف الروايات التي تلصقها بكتاب الله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النمل القاطعة بنفي علم الغيب عن جميع من في السماوات والأرض تسحق دلالة هذه الرواية المحدثة.

ثانياً: آية تحريم الأزلام والاستقسام ترفع توهم جواز استخراج المجهول بطرق حسابية أو رمزية تحت ستار تفسير القرآن.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 50)[قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ] ينفي عن النبي نفسه معرفة الغيب إلا بوحي صريح.

ثانياً: قوله تعالى: (هود: 49)[تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ] يبين أن طريق معرفة الغيب هو الخبر الصريح لا الحساب الرمزي.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال روايات حساب الجمل في [الم]، وتؤكد أنها من الإسرائيليات الدخيلة التي تصادم عقيدة التوحيد.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان روايات حساب الجمل واستخراج آجال الأمم من [الم] وسقوط قيمتها المعرفية، لمصادمتها الصريحة لمحكم القرآن القاضي بانفراد الله بعلم الغيب.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في تفسير [الم] بأنها اسم من أسماء الله الأعظم أو قسم به (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: إبطال المأثورات والروايات التي تدعي أن [الم] هي اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، أو أن الله أقسم بها على أنها اسمه، لمخالفة ذلك لمحكم القرآن في توقيفية أسماء الله الحسنى وبيان معانيها.

الفهم الخاطئ: اعتقاد أن الحروف المقطعة أسماء إلهية مبهمة يُتوسل بها كطلاسم صوتية دون فهم معناها، بناءً على روايات تخالف صريح القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأعراف: 180)[وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ].

قوله تعالى: (الإسراء: 110)[قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الحشر: 24)[هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ].

ب. قوله تعالى: (طه: 8)[اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاسم في اللسان العربي هو ما دل على مسمىً ومعنىً واضح في الذهن، والحسنى تعني البالغة في الحسن والكمال من حيث المعنى والدلالة.

الدلالة المنطوقية: القرآن أمر بدعاء الله بأسمائه الحسنى المعلومة المعنى كالله والرحمن والخالق، ولم يرد في منطوق القرآن قط تسمية الله بـ [الم].

الدلالة المفهومية: يلزم من وصف أسماء الله بالحسنى أن تكون ذات معانٍ مدركة تبعث

على التعظيم، بينما الحروف المقطعة أصوات هجائية مجردة لا تدل على صفة كمال بذاتها.

الدلالة التضمنية: يتضمن إطلاق اسم على الله لم يسمّ به نفسه في كتابه وقوعاً في الإلحاد في أسماء الله المنهي عنه في سورة الأعراف.

الخلاصة: الروايات التي تجعل [الم] اسماً لله باطلة؛ لأن أسماء الله حسنى بينة المعنى ومعلومة بالوحي الصريح لا بالتخمين في المتشابه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في سورة البقرة جاءت [الم] متبوعة بالإشارة إلى الكتاب (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ)، ولو كانت اسماً لله لكان السياق متجهاً إلى وصف الذات الإلهية لا وصف الكتاب.

الدلالة البلاغية: الدعاء بالأسماء الحسنى يقوم على استحضار القلب لمعاني الرحمة والعظمة، وهو ما ينتفي عند التلفظ بحروف مقطعة لا معنى اسمي لها.

الخلاصة: السياق القرآني يوجه [الم] نحو بيان إعجاز الكتاب، ويفند زعم كونها اسماً لله الأعظم.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آيات الأسماء الحسنى المحكمة تقيد مفهوم التسمية الإلهية بما ثبت في صريح القرآن من الأسماء الدالة على صفات الكمال.

ثانياً: مجيء حروف مقطعة أخرى مثل (كهيعص) و(حم عسق) يرفع توهم كونها أسماء لله؛ إذ يستحيل أن تتعدد الأسماء الإلهية بهذه الصيغ الصوتية المجردة دون نص قاطع.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الحشر: 22، 23)[هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ...] يعرض نموذجاً كاملاً للأسماء الحسنى البينة التي يثني الله بها على نفسه.

ثانياً: قوله تعالى: (مريم: 65)[هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] يثبت تفرد الله في أسمائه وصفاته،

ويمنع القياس الفاسد في إثبات الأسماء من الحروف الهجائية.
الخلاصة: يتبين من تلاحم الآيات أن الروايات المفسرة لـ [الم] بأنها اسم الله الأعظم روايات موضوعة تصادم منهج القرآن في أسماء الله الحسنى.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل هو إبطال الروايات التي تزعم أن [الم] اسم لله أو قسم به، والقطع بأن أسماء الله حسنى بينة المعنى منصوص عليها في المحكم، أما [الم] فآية إعجازية تفتتح بها السورة لبيان ربانية الكتاب.

(البقرة: 2)
[ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]

المسألة الأولى: حقيقة اسم الإشارة للبعيد (ذَٰلِكَ) في التعظيم وإثبات الحضور المعنوي للقرآن (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توظيف اسم الإشارة الموضوع للبعيد (ذَٰلِكَ) للإشارة إلى القرآن الحاضر إنما هو لبيان علو منزلته وسمو مصدره عن الإدراك البشري القاصر، مع القطع بأنه الكتاب الكامل الذي وعد الله بإنزاله في الكتب السابقة.
الفهم الخاطئ: توهم أن اسم الإشارة للبعيد يدل على غياب النص أو تأخر نزوله زمانياً، أو أنه إشارة إلى التوراة والإنجيل دون القرآن المنزل على النبي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الإسراء: 9)[إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ].
قوله تعالى: (الجاثية: 20)[هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (يونس: 1)[الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ].
ب. قوله تعالى: (القصص: 2)[تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اللفظ (ذَٰلِكَ) في أصل الوضع اللغوي اسم إشارة مبني يستعمل للدلالة على المشار إليه البعيد حساً أو قدراً ومكانة.

الدلالة المنطوقية: النطق الصريح باسم الإشارة مقترناً بالمعرف بأل العهدية (الْكِتَابُ) يحدد ذات القرآن الحاضر أمام السامعين باعتباره الكتاب المعهود والموعود.

الدلالة المفهومية: يلزم من الإشارة للحاضر القريب بلفظ البعيد انتفاء المساواة بينه وبين كلام البشر، وثبوت رفعته المطلقة في المنزلة والسلطان.

الدلالة التضمنية: تتضمن هذه الإشارة الاستعلائية الإقرار بسبق هذا الكتاب في علم الله الأزلي وفي بشارات الأنبياء السابقين.

الخلاصة: اسم الإشارة للبعيد (ذَٰلِكَ) يعين القرآن الحاضر بأبلغ صور التعظيم، وينفي عنه صفة الحدوث البشري أو النقص.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) عقب [الم] مباشرة يربط الإعجاز الصوتي بالكيان المعرفي للكتاب، فيتحول التحدي من الحروف إلى المنهج الكامل.

الدلالة البلاغية: العدول عن اسم الإشارة للقريب (هذا) إلى البعيد (ذَٰلِكَ) يثير في الوجدان شعوراً بالهيبة والرهبة، ويرفع مقام المتلقي ليتطلع إلى أفق علوي سامٍ.

الخلاصة: التوظيف البلاغي لاسم الإشارة يخلق مسافة إجلال في نفس القارئ تمنعه من التعامل مع القرآن ككتاب عادي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: الآيات التي أشارت للقرآن بلفظ القريب (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ) تفسر المراد بـ (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) وتقطع بأن المشار إليه هو القرآن نفسه لا كتاب آخر.

ثانياً: تضافر الإشارتين للقريب والبعيد يرفع توهم التناقض أو الغياب، فيثبت قربه في التناول والهداية، وبعده في العظمة والمصدر.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 157)[الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ] يفسر أن (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) هو الكتاب الموعود به في التوراة والإنجيل.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 155)[وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ] يجمع بين حقيقة كونه كتاباً منزلاً حاضراً وبين وجوب اتباعه.

الخلاصة: تتكامل الآيات لتقرر أن (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) هو القرآن الكريم الموصوف بالكمال المطلق وعلو القدر، والمصدق لما سبقه من البشارات.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن اسم الإشارة (ذَٰلِكَ) يفيد تعظيم شأن القرآن وإثبات علو مصدره الرباني، مع تعيينه بوصفه الكتاب الجامع الموعود الذي لا يدانيه كتاب.

المسألة الثانية: قطعية ثبوت الكتاب ونفي الريب المطلق عنه (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: القطع اليقيني بأن القرآن الكريم حق محض صادر من عند الله تعالى، لا يعتريه شك ولا احتمال للتحريف أو التناقض أو الاختلاق البشري بأي وجه من الوجوه.

الفهم الخاطئ: قصر نفي الريب على كونه نهياً إنشائياً بمعنى (لا ترتابوا فيه) مما يوهم إمكانية وجود الريب في ذات النص، أو إخضاع ثبوت النص للظنون البشرية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (فصلت: 41، 42)[وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (السجدة: 2)[تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ].

ب. قوله تعالى: (يونس: 37)[وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الريب في أصل اللسان هو قلق النفس واضطرابها الناتج عن التهمة والشك، و(لا) هنا نافية للجنس تعمل عمل إنّ.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (لَا رَيْبَ فِيهِ) بصيغة الخبر النافي للجنس يفيد استغراق نفي جميع أنواع الشك والتهمة عن ذات الكتاب نفياً قطعياً.

الدلالة المفهومية: يلزم من نفي جنس الريب عن الكتاب ثبوت اليقين المطلق في أخباره وأحكامه، وبطلان كل شبهة تثار حول مصدره أو حفظه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا النفي القطعي أن كل ارتياب يقع في نفوس المنكرين إنما هو مرض في قلوبهم لا خلل في النص القرآني.

الخلاصة: الخبر بانتفاء جنس الريب عن القرآن حكم عقدي قطعي يوجب الإيمان الجازم بصدق كل حرف فيه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ورود الجملة الخبرية (لَا رَيْبَ فِيهِ) في مفتتح السورة يضع قاعدة التلقي المعرفي قبل الدخول في تفصيل أصناف الناس وأحكام الشريعة.

الدلالة البلاغية: الجزم المطلق في النفي يقطع الطريق على التردد الفكري، ويبعث في نفس المؤمن طمأنينة راسخة وثباتاً أمام شبهات المشككين.

الخلاصة: الصياغة الخبرية النافية للجنس تمنح النص صلابة يقينية تحسم الجدل من بدايته.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة فصلت (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ) تفسر حقيقة انتفاء الريب، وتبين أن الكتاب

محصن من كل باطل أو نقص.

ثانياً: اقتران نفي الريب بصفة الربوبية في سورة السجدة (مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) يرفع توهم اقتصار النفي على مجرد النهي، ويثبت أن انتفاء الريب صفة ذاتية للكتاب لصدوره عن الرب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 114)[أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا] يوضح أن تفصيل الكتاب وإحكامه هما علة انتفاء الريب عنه.

ثانياً: قوله تعالى: (الحاقة: 51)[وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ] يقرر أعلى مراتب اليقين للقرآن في مقابل الريب المنفي.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لإثبات أن انتفاء الريب صفة لازمة لذات القرآن، مما يجعله الميزان الأعلى للحق واليقين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الجازم أن القرآن كتاب يقين محض منزه عن كل ريب أو تناقض أو تحريف، وأن الشك فيه نابع من قصور العقول لا من طبيعة الوحي المنزل.

المسألة الثالثة: علاقة الوقف المعنوي في قوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ) ببناء الدلالة والاعتقاد (في الدلالة وأقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: إثبات أن الوقف التام المتواتر هو على قوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ) لتكون الجملة تامة في نفي الشك عن الكتاب، وتكون (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) جملة مستقلة في بيان وظيفة الكتاب، مع بيان فساد الوقف المتكلف على (لَا رَيْبَ) وجعل (فِيهِ هُدًى) جملة مستقلة.

الفهم الخاطئ: تجويز الوقف على (لَا رَيْبَ) بزعم المبالغة في النفي، مما يفكك الترابط النظمي الأصيل بين نفي الريب وبين الكتاب المذكور قبله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المزمل: 4)[وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا].

قوله تعالى: (الفرقان: 32)[وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (السجدة: 2)[تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ].

ب. قوله تعالى: (آل عمران: 9)[رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الجار والمجرور (فِيهِ) في أصل الوضع النحوي متعلق بخبر (لا) النافية للجنس المحذوف، والضمير يعود إلى الكتاب قطعاً.

الدلالة المنطوقية: اتصال لفظ (فِيهِ) بـ (لَا رَيْبَ) في النطق المتواتر يربط النفي بمحل النفي وهو الكتاب، ويمنع تشتت الضمير.

الدلالة المفهومية: يلزم من تعلق (فِيهِ) بـ (لَا رَيْبَ) أن الوقف على (فِيهِ) هو الوقف التام الذي يستقيم به المعنى الأول، ويبدأ بعده معنى جديد وهو (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ).

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الترتيب البنائي إثبات صفتين عظيمتين للكتاب على التوالي: انتفاء الريب عنه، وكونه عين الهداية للمتقين.

الخلاصة: التركيب النحوي واللفظي يوجب اتصال (فِيهِ) بـ (لَا رَيْبَ) والوقف عليه، وعدم الفصل بينهما بتكلفات تقديرية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التوازن الإيقاعي بين الجمل القصيرة المتلاحقة (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ / لَا رَيْبَ فِيهِ / هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) يحدث تدفقاً معرفياً منتظماً يرسخ كل صفة في الذهن قبل الانتقال للتي تليها.

الدلالة البلاغية: جعل (هُدًى) خبراً لمبتدأ محذوف (هو هدى) بعد تمام الجملة السابقة يمنح الهداية قوة الحصر والكمال، وكأن الكتاب تجسد هداية خالصة.

الخلاصة: الفواصل المعنوية الدقيقة تحفظ للآية تماسكها الموسيقي والدلالي وتمنع اضطراب المعنى.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: ورود عبارة (لَا رَيْبَ فِيهِ) متصلة في جميع مواضع القرآن مثل (لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ) يفسر أن هذا التركيب قالب قرآني متلازم لا يُفصل بين أجزائه.

ثانياً: مقارنة هذه الآية بآية سورة السجدة ترفع توهم جواز الوقف على (لَا رَيْبَ)، إذ لو فُصل لفسد المعنى في نظائرها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 87)[اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ] يؤكد تلازم الجار والمجرور (فِيهِ) مع (لَا رَيْبَ).

ثانياً: قوله تعالى: (الجاثية: 26)[ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ] يثبت اطراد النظم القرآني في إتمام جملة نفي الريب بالضمير العائد على المتحدث عنه.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على أن (لَا رَيْبَ فِيهِ) جملة واحدة متماسكة، والوقف عليها هو الموافق لسنن البيان القرآني.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الوقف المعنوي المحكم هو على قوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ) لاطراد هذا القالب في القرآن، ولتبدأ بعده جملة (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) مقررةً كمال الهداية في الكتاب.

المسألة الرابعة: حقيقة الهداية القرآنية وتخصيص الانتفاع بها بالمتقين دون سائر الناس (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: بيان أن القرآن في ذاته هداية عامة لجميع البشر من حيث البيان والإرشاد، ولكنه لا يصبح هداية مثمرة منتفعاً بها إلا للمتقين الذين أخلصوا قلوبهم لطلب الحق وقبول الدليل.

الفهم الخاطئ: ادعاء الجبرية أن تخصيص الهداية بالمتقين يعني حرمان غيرهم من القدرة على الاهتداء، أو زعم أن المتقين مهتدون سلفاً فلا معنى لهدايتهم بالقرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 185)[شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ].

قوله تعالى: (فصلت: 44)[قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الليل: 12)[إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ].

ب. قوله تعالى: (الإنسان: 3)[إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الهدى في أصل الوضع اللغوي هو الدلالة بلطف على الطريق الموصل إلى الغاية المطلوبة، ويطلق على الإرشاد وعلى التوفيق للثبات.

الدلالة المنطوقية: وصف الكتاب بكونه (هُدًى) بالمصدر دون اسم الفاعل (هادٍ) يثبت أنه عين الهداية ومحضها، وتقييده بـ (لِّلْمُتَّقِينَ) يخص الثمرة بهؤلاء.

الدلالة المفهومية: يلزم من تخصيص هداية الانتفاع بالمتقين أن غير المتقين من المعاندين والمستكبرين يحرمون من ثمرة الهداية بسبب إعراضهم لا لقصور في الكتاب.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التخصيص أن التقوى الأولية (وهي الاستعداد الفطري لقبول الحق وتوقي الباطل) شرط لانتفاع القلب بنور القرآن.

الخلاصة: القرآن هداية دلالة لكل الناس، وهداية انتفاع وزيادة يقين للمتقين الذين فتحوا قلوبهم للحق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاء وصف (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) متبوعاً مباشرة ببيان صفات المتقين في الآيات التالية، ليرسم المنهج العملي للانتفاع بالكتاب.

الدلالة البلاغية: الإتيان بالمصدر (هُدًى) يحمل مبالغة بليغة تجعل الكتاب هو الهداية ذاتها، مما يحفز النفس البشرية للاتصاف بالتقوى لتنال هذا الشرف.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يربط بين كمال الكتاب وبين استعداد المتلقي، فيحمل الإنسان مسؤولية اهتدائه أو ضلاله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (هُدًى لِّلنَّاسِ) تفسر أن أصل البيان عام، وتقيد آية (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) بأنها هداية التوفيق والانتفاع العملي.

ثانياً: آية سورة فصلت (هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) ترفع توهم التناقض بين عموم الهداية وخصوصها، فتوضح أن الفارق يعود إلى قابلية المحل وهو قلب الإنسان.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (محمد: 17)[وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] يبين أن المتقين المهتدين يزيدهم القرآن هداية فوق هدايتهم.

ثانياً: قوله تعالى: (التوبة: 124)[فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] يوضح كيفية تفاعل المتقين مع آيات الكتاب بالزيادة والارتقاء.

الخلاصة: تتلاحم النصوص القرآنية لتقرر أن الهداية نوعان: هداية بيان عامة للناس كافة، وهداية توفيق وثبات وزيادة يختص بها المتقون.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحقيقة القطعية أن القرآن نور وهداية مبذولة للناس جميعاً، ولكن الانتفاع الفعلي به والاهتداء بنوره يختص بالمتقين لأن قلوبهم مهيأة لقبول الحق والانقياد له.

المسألة الخامسة: تحديد المفهوم الواقعي للتقوى وحقيقتها الشرعية من خلال السياق القرآني (في الأحكام الفقهية والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن التقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله وسخطه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، بناءً على يقين قلبي وعمل جوارحي متكامل، وليست مجرد مشاعر باطنية أو مظاهر شكلية.

الفهم الخاطئ: اختزال التقوى في مجرد الخوف القلبي دون عمل الجوارح، أو قصرها على التورع عن المحرمات الظاهرة مع إهمال إصلاح الباطن وأداء الفرائض.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 177)[لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ].

قوله تعالى: (آل عمران: 102)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 3، 4)[الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ].

ب. قوله تعالى: (الحجرات: 13)[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التقوى مأخوذة من الجذر (و ق ي)، ومعناها في أصل اللسان جعل حاجز ومانع بين الشيء وبين ما يؤذيه أو يهلكه.

الدلالة المنطوقية: وصف المنتفعين بالكتاب بـ (الْمُتَّقِينَ) بصيغة اسم الفاعل يفيد اتصافهم الفعلي والمستمر بفعل الوقاية والالتزام.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون التقوى وقاية من سخط الله وجود أوامر يجب امتثالها ونواهٍ يجب اجتنابها لتتحقق هذه الوقاية.

الدلالة التضمنية: يتضمن اسم المتقين شمولية الاستقامة في العقيدة والعبادة والمعاملة، كما فصّلته الآيات الثلاث التالية مباشرة.

الخلاصة: التقوى هي المنهج العملي والاعتقادي الشامل الذي يقي الإنسان من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ذكر (الْمُتَّقِينَ) في نهاية الآية الثانية يفتح الباب لتعريفهم بأوصافهم الدقيقة في الآيات التالية، مما يجعل السورة نفسها مفسرة لمصطلحاتها.

الدلالة البلاغية: الإتيان بالوصف المشتق (الْمُتَّقِينَ) يمنح الصفة صفة الثبات والتحقق، ويجعلها المعيار الأوحد للتفاضل والانتفاع بالوحي.

الخلاصة: البناء التعبيري يحول التقوى من مفهوم نظري مجرد إلى سلوك حياتي محدد المعالم.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البر في سورة البقرة (البقرة: 177) تفسر حقيقة المتقين وتقيد التقوى بالجمع بين الإيمان والعمل الصالح والإنفاق والصبر والوفاء.

ثانياً: آية سورة الحجرات (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ترفع توهم أن الانتفاع بالكتاب يرتبط بنسب أو لون أو عرق، وتحصر الكرامة والهداية في التقوى.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنفال: 29)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا] يبين أن ثمرة التقوى هي منح البصيرة والقدرة على التمييز بين الحق والباطل.

ثانياً: قوله تعالى: (الطلاق: 2، 3)[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] يوضح الآثار الواقعية للتقوى في الدنيا والآخرة.

الخلاصة: القرآن يعرف التقوى تعريفاً ذاتياً متكاملاً يجمع بين الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، واليقين بالآخرة، وتجنب المحارم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع أن التقوى هي الاستقامة الشاملة على منهج الله اعتقاداً وقولاً وعملاً، وهي المفتاح الحقيقي الذي يفتح مغاليق القلوب لتلقي هداية القرآن.

المسألة السادسة: استغراق الكتاب لجميع أصول الدين والشريعة دون نقص أو حاجة لمصدر موازٍ (في الاعتقادات والأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن وصف القرآن بـ (الْكِتَابُ) المعرف بأل الاستغراقية والكمالية يقتضي كونه الكتاب الكامل الجامع لكل ما يحتاجه الناس في دينهم وعقيدتهم وأحكامهم، وأنه المرجع الأعلى الحاكم على كل ما سواه.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن القرآن مجمل غير كافٍ في بيان الأحكام والعقائد، وأنه مفتقر إلى مصادر خارجية تقضي عليه أو تنسخ أحكامه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأنعام: 38)[مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ].

قوله تعالى: (النحل: 89)[وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 3)[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 114)[أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكتاب في أصل الوضع اللغوي هو المكتوب المجموع المترابط الأجزاء، ودخول (أل) التعريف عليه تفيد الكمال والاستغراق في جنس الكتب.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) بالتحلية بالألف واللام يحصر صفة الكتابية الكاملة في هذا التنزيل دون غيره.

الدلالة المفهومية: يلزم من كونه الكتاب الكامل الذي لا ريب فيه انتفاء النقص والغموض عنه، وبطلان الحاجة إلى مصدر تشريعي مستقل يزاحمه في الحاكمية.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الإطلاق اشتمال القرآن على جميع القواعد الكلية والأحكام التفصيلية اللازمة لهداية البشرية إلى يوم القيامة.

الخلاصة: القرآن هو الكتاب الكامل والتام في بيانه وتشريعه، ولا يصح جعل أي نص بشري حاكماً عليه أو مخصصاً لمحكماته.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: تصدير سورة البقرة ـــوهي سورة التشريعات الكبرى ـــ بهذا الإقرار يثبت مرجعية الكتاب المطلقة قبل سرد أي حكم فقهي.

الدلالة البلاغية: الإطلاق والتعريف في لفظ (الْكِتَابُ) يضفي عليه هيبة السيادة والمرجعية العليا فوق كل الكتب والمؤلفات.

الخلاصة: التعبير القرآني يرسخ في وعي المؤمن كفاية الكتاب وشموليته لكل شؤون الهداية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنعام (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) تفسر معنى الكمال المستفاد من التعريف في (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ).

ثانياً: آية وصف الكتاب بأنه مفصل (وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) ترفع توهم الإجمال الذي يزعمه من يريدون تعطيل العمل بظاهر القرآن.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المائدة: 48)[وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] يثبت هيمنة القرآن وحاكميته المطلقة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأعراف: 3)[اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ

أَوْلِيَاءَ] يوجب حصر الاتباع في الوحي المنزل.
الخلاصة: تتضافر الأدلة القرآنية على كمال الكتاب وكفايته، وتبطل كل دعوى تزعم نقصه أو احتياجه لما يناقضه.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القانون الأصولي القاطع أن القرآن هو الكتاب الجامع الكامل المهيمن، قد تضمن بيان كل شيء تحتاجه الأمة، ولا يجوز تقديم أي قول أو رواية على محكماته.

المسألة السابعة: حقيقة حفظ الكتاب وتواتره القطعي بين الناس ونفي القراءات المخالفة للمصحف (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) يقتضي بقاءه محفوظاً بقراءة واحدة متواترة هي ما في المصحف المتداول جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة تخالف رسمه ولفظه لأن الاختلاف يورث الريب المنفي عنه.
الفهم الخاطئ: تجويز القراءات المتعددة التي تغير في ألفاظ القرآن وحركاته ومعانيه بدعوى أنها من القراءات السبع أو العشر، مما يفتح باب الريب والاختلاف في كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].
قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (البروج: 21، 22)[بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ].
ب. قوله تعالى: (الأعلى: 6)[سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكتاب في الوضع اللغوي هو النص المضبوط بالكتابة والجمع، ونفي الريب عنه يقتضي ثبات نصه ووحدته دون اضطراب.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) يقرر وجود كتاب واحد محدد المعالم منزه عن كل ما يثير الشك أو التردد في لفظه.

الدلالة المفهومية: يلزم من انتفاء الريب والاختلاف عن الكتاب بطلان كل قراءة تخالف المصحف المتواتر المنقول بالكافة عن الكافة.

الدلالة التضمنية: يتضمن حفظ الكتاب صيانة قراءته الواحدة المجمع عليها بين الأمة عبر الأجيال.

الخلاصة: وجود قراءة واحدة متواترة هي ما في المصحف المعروف شرط لتحقق وصف (لَا رَيْبَ فِيهِ)، وكل قراءة مخالفة باطلة لا حجية لها.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الإفراد في قوله (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) بصيغة المفرد المعرف يرسخ وحدة النص واستحالة تعدده إلى نصوص وقراءات متباينة.

الدلالة البلاغية: الجزم بنفي الريب يبعث في نفس المؤمن اليقين المطلق بأن ما يقرأه في المصحف هو عين ما نزل به الوحي دون زيادة أو نقصان.

الخلاصة: التعبير القرآني يقطع دابر التشكيك الناتج عن تعدد الروايات القرائية، ويثبت وحدة الكتاب.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) تفسر كيفية بقاء الكتاب بلا ريب على مر العصور.

ثانياً: آية نفي الاختلاف (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ترفع توهم شرعية الاختلاف بين القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب اتباع القراءة الواحدة التي جمعها الله وأقرأها.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص على أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها فهو مردود لمناقضته نفي الريب والاختلاف.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القاعدة الحاكمة القطعية أن للقرآن قراءة واحدة لا غير هي ما في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها لأنها تصادم قوله تعالى (لَا رَيْبَ فِيهِ).

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في مخاطبة العقل والوجدان لإثبات صدق الرسالة قبل التكليف (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن تقديم الإقرار بصدق الكتاب وكونه هداية للمتقين على سائر التكاليف الشرعية يمثل المنهج الرباني في بناء القناعة العقلية والقلبية قبل إلزام المكلف بالأحكام.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد بأن التكاليف الشرعية تُفرض قسراً دون تأسيس برهاني يثبت صدق المصدر، أو الفصل بين الإيمان بالكتاب وبين الالتزام بأحكامه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 256)[لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ].

قوله تعالى: (محمد: 19)[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الإسراء: 106)[وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

تَنزِيلًا].

ب. قوله تعالى: (الجاثية: 6)[تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التأسيس في أصل الوضع هو وضع القاعدة الثابتة التي يبنى عليها البنيان، والهداية هي الإرشاد القائم على البيان والبرهان.

الدلالة المنطوقية: النطق بتعريف الكتاب وإثبات يقينه وهدايته في مطلع السورة يضع الأساس المعرفي لكل ما سيأتي من تشريعات.

الدلالة المفهومية: يلزم من تقديم البرهان على التكليف أن الإيمان في الإسلام قائم على العلم واليقين لا على التقليد الأعمى.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الترتيب المنهجي أن من آمن بكونه كتاباً لا ريب فيه وجب عليه عقلاً وشرعاً الانقياد لكل ما فيه من أحكام.

الخلاصة: المنهج القرآني يبدأ بتثبيت يقينية المصدر وهدايته ليكون الامتثال للأحكام ثمرة طبيعية لليقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: موقع الآية الثانية في السورة يجعلها جسر العبور بين الإعجاز الصوتي في الآية الأولى وبين تقسيم البشر إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين في الآيات اللاحقة.

الدلالة البلاغية: الإيجاز المعجز في ثلاث جمل مترابطة يختصر قضية الوحي بأكملها: تحديد الكتاب، ونفي الشك عنه، وبيان غايته.

الخلاصة: البناء التعبيري للآية يقدم نموذجاً فذاً في الإقناع العقلي والتأثير الوجداني معاً.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة محمد (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) تفسر أولوية العلم واليقين على العمل والتكليف.

ثانياً: آية نفي الإكراه (قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ترفع توهم الإلزام القسري، وتؤكد أن الهداية تتحقق بتبين الحق ووضوح الدليل.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 203)[هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] يوضح أن القرآن يمنح البصيرة العقلية قبل الرحمة التشريعية.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 57)[يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ] يربط بين شفاء الصدور من الشكوك وبين تحقق الهداية.

الخلاصة: يتضح من تلاحم الآيات أن القرآن يبني العقيدة على اليقين والبرهان، ثم يثمر ذلك اليقين طاعة وانقياداً.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية تضع القاعدة الذهبية للتدين الصحيح، وهي بناء اليقين المطلق بصدق الكتاب أولاً، ليثمر ذلك هداية وتقوى في السلوك والتشريع.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قراءة (لَا رَيْبَ فِيهِ) بفتح الفاء أو إشباعها أو تغيير حركاتها بما يخالف رسم المصحف المتواتر (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة لبعض القراء في تغيير حركة الهاء في (فِيهِ) بالاختلاس أو الإشباع المخالف للمتواتر في المصحف المعروف، أو روايات إدخال ألفاظ تفسيرية في صلب الآية بزعم أنها قراءة، لمصادمة ذلك لحفظ القرآن ووحدة قراءته.

الفهم الخاطئ: تجويز الروايات الشاذة أو الوجوه الصوتية المتكلفة في أداء (فِيهِ هُدًى) بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يفتح باب التحريف والاختلاف في كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ب. قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الضمير (فِيهِ) في أصل الوضع العربي مبني على الكسر لمناسبة الياء الساكنة قبله، ولا مسوغ لتغيير حركته أو زيادتها بغير تواتر قطعي.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس هو (فِيهِ هُدًى) بكسر الهاء كسرة خالصة دون صلة مدية زائدة في حال الوصل ودون تغيير في حال الوقف.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي التبديل عن كلمات الله بطلان كل رواية تزيد حرف مد في الوصل أو تغير حركة الإعراب والبناء الثابتة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط الصوتي صيانة لسان الأمة من اللحن والتكلف الذي أدخلته روايات القراءات المتأخرة.

الخلاصة: الروايات التي تغير في أداء (فِيهِ هُدًى) أو تزيد فيه حروفاً تفسيرية روايات باطلة، والحجة محصورة في القراءة الواحدة التي في المصحف المتواتر.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السلاسة الصوتية في الانتقال من كسرة الهاء في (فِيهِ) إلى ضمة الهاء في (هُدًى) تحقق فصاحة النظم العربي المبين دون ثقل أو تكلف.

الدلالة البلاغية: التطابق التام بين الرسم المصحفي والأداء الصوتي يعكس صفاء النص وخلوه من أي اضطراب أو شذوذ.

الخلاصة: الأداء المتواتر في المصحف يحقق قمة الفصاحة والوضوح، ويفضح تكلف الروايات الشاذة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية عدم تبديل كلمات الله (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) تبطل كل رواية تجيز الزيادة أو النقصان في حروف المد والحركات.

ثانياً: آية نفي الاختلاف (لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) تسحق دلالة الروايات التي تجعل للآية الواحدة وجوهاً متضاربة في النطق.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يوسف: 2)[إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] يثبت أن القرآن نزل بلغة عربية فصيحة مستقيمة بعيدة عن اللهجات الشاذة.

ثانياً: قوله تعالى: (الشعراء: 195)[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ] يؤكد وضوح النطق وسلامته من الغموض والتكلف الصوتي.

الخلاصة: تتضافر الأدلة القرآنية على إبطال كل رواية قرائية تخالف المصحف المتواتر، وتؤكد أن القرآن محفوظ بقراءة واحدة لا اختلاف فيها.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان جميع الروايات المخالفة لنص المصحف المتواتر في (لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، والالتزام الحرفي والصوتي بالقراءة الواحدة المنقولة بالكافة عن الكافة.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في قصر (الْكِتَابُ) على اللوح المحفوظ أو التوراة والإنجيل دون القرآن (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تفسر قوله تعالى (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) بأنه اللوح المحفوظ الذي في السماء أو التوراة والإنجيل اللذان أنزلا من قبل، لمصادمة

ذلك لصريح القرآن في أن هذا الكتاب هو القرآن المنزل هداية للمتقين.
الفهم الخاطئ: تصديق روايات إسرائيليه أو تأويلات متكلفة تصرف الإشارة في مطلع سورة البقرة عن القرآن الكريم إلى كتب سابقة منسوخة أو لوح غيبي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (النحل: 89)[وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ].
قوله تعالى: (البقرة: 185)[شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (النمل: 1)[طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ].
ب. قوله تعالى: (الحجر: 1)[الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإشارة في مطلع الخطاب تنصرف عقلاً ولغة إلى الحاضر المتلو الذي هو موضوع الكلام ومحل التحدي.
الدلالة المنطوقية: وصف الكتاب في الآية ذاتها بأنه (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) يقطع بأنه القرآن المنزل للتطبيق والعمل لا اللوح المحفوظ المحجوب عن البشر ولا الكتب السابقة المحرفة.
الدلالة المفهومية: يلزم من كون هذا الكتاب هداية حاضرة للمتقين بطلان صرفه إلى كتب سابقة نسخها القرآن وهيمن عليها.
الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان أن القرآن هو الكتاب الأوحد الذي تجب به الهداية بعد بعثة النبي.
الخلاصة: الروايات التي تصرف (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) عن القرآن إلى اللوح المحفوظ أو التوراة والإنجيل باطلة لتناقضها مع وصفه بالهداية الحاضرة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الرابعة تصف المتقين بأنهم (يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن

قَبْلِكَ)، فلو كان (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) هو الكتب السابقة لما احتاج إلى عطفها بقوله (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ).

الدلالة البلاغية: عظمة الاستهلال تقتضي الثناء على الكتاب الذي يُتلى الآن على السامعين لا الإشادة بكتب أخرى أصبحت من الماضي.

الخلاصة: السياق القرآني المتلاحم ينسف الروايات التي تشتت ذهن القارئ عن القرآن الكريم في أول آية منه.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النمل (تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) تفسر أن الكتاب والقرآن مسميان لحقيقة واحدة هي الوحي المنزل على النبي.

ثانياً: آية هيمنة القرآن على الكتب السابقة في سورة المائدة (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) ترفع توهم أن يكون المراد بالكتاب في مطلع البقرة هو التوراة أو الإنجيل.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الدخان: 2، 3)[وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ] يقطع بأن الكتاب المبين هو القرآن المنزل.

ثانياً: قوله تعالى: (الزخرف: 2، 3)[وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا] يطابق تماماً بين لفظ الكتاب ولفظ القرآن العربي.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال الروايات التي تفسر (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) بغير القرآن الكريم، وتؤكد أنها من الدخيل الذي يصرف الأمة عن كتابها.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تصرف (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) إلى التوراة أو الإنجيل أو اللوح المحفوظ، والقطع بأن المراد حصراً هو القرآن الكريم المنزل هداية للمتقين.

(البقرة: 3)

[الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الإيمان بالغيب ومصدريته المعرفية بين الوحي والوهم البشري (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الإيمان بالغيب هو التصديق الجازم القائم على البرهان العقلي والخبر القرآني القطعي بكل ما غاب عن الحواس المادية من ذات الله وصفاته وملائكته والبعث والجزاء، مع نفي أن يكون الإيمان بالغيب تسليماً بالخرافات أو الظنون البشرية التي لا دليل عليها.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن الإيمان بالغيب يعني تعطيل العقل وقبول الموروثات والأساطير غير المثبتة بدعوى أن الغيب لا يخضع للبرهان، أو زعم الماديين أن الحقيقة محصورة في المحسوس المشاهد فقط.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النجم: 28)[وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا].

قوله تعالى: (الإسراء: 36)[وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 73)[عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ].

ب. قوله تعالى: (المؤمنون: 92)[عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الغيب في أصل الوضع اللغوي هو كل ما استتر عن حاسة البصر والحس المباشر، والإيمان هو التصديق المطمئن المورث للأمان والانقياد.

الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة الفعل المضارع (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) يفيد التجدد والاستمرار في التصديق القلبي بكل غيب أخبر به الوحي المحكم.

الدلالة المفهومية: يلزم من حصر الغيب المأمور بالإيمان به في خبر الوحي القطعي بطلان الإيمان بالغيبيات المزعومة عبر الكهانة أو الروايات الظنية.

الدلالة التضمنية: يتضمن الإيمان بالغيب شمولية التصديق بوجود الخالق والوحي واليوم الآخر باعتبارها أصول الغيب التي يقوم عليها التكليف.

الخلاصة: الإيمان بالغيب تصديق يقيني مبني على حجة الوحي وبراهين الفطرة والعقل، وليس تصديقاً بالظنون والخرافات.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: تصدير أوصاف المتقين بالإيمان بالغيب بعد وصف الكتاب باليقين يجعل الإيمان بالغيب ثمرة مباشرة للثقة بصدق الكتاب.

الدلالة البلاغية: الإتيان بالاسم الموصول (الَّذِينَ) للربط بين المتقين وبين أفعالهم يبرز أن التقوى ليست ادعاءً مجرداً بل حقيقة تظهر في السلوك الاعتقادي والعملي.

الخلاصة: السياق التعبيري يرتقي بالإنسان من أسر المادة المحسوسة إلى فضاء الوجود الأوسع عبر يقين الوحي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النجم (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) تقيد مفهوم الغيب الواجب الإيمان به بما ثبت بالعلم اليقيني من القرآن، وتبطل الغيبيات الظنية.

ثانياً: اقتران عالم الغيب بالشهادة في آية الأنعام يرفع توهم التناقض بين الغيب والعقل، فيثبت أن كليهما صادر عن حكيم خبير.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الحديد: 25)[لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ] يوضح أن حقيقة الإيمان بالغيب تظهر في طاعة الله ومراقبته في الخلوات دون رقيب بشري.

ثانياً: قوله تعالى: (الملك: 12)[إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ]

يربط الإيمان بالغيب بالخشية العملية التي تمنع من المعاصي.
الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرر أن الإيمان بالغيب هو المعيار الفاصل بين المؤمن المصدق بوحي الله وبين المادي المنكر لما وراء الحس.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن الإيمان بالغيب هو التصديق اليقيني القائم على برهان القرآن بكل ما غاب عن الحواس من حقائق الألوهية والوحي والآخرة، وهو الأساس الأول للتقوى.

المسألة الثانية: حقيقة إقامة الصلاة وحكم التوسط الصوتي بين الجهر والإخفات فيها (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن إقامة الصلاة تعني أداءها تامة الأركان والخشوع والمواقيت، مع وجوب الالتزام بقاعدة التوسط الصوتي في القراءة بين الجهر المفرط والإخفات المطلق في جميع الصلوات دون تفريق محدث بين صلاة جهرية وأخرى إخفاتية.
الفهم الخاطئ: اختزال إقامة الصلاة في الحركات البدنية الخالية من التدبر، أو تقسيم الصلوات إلى جهرية وإخفاتية بناءً على موروثات تخالف صريح القرآن الآمر بالتوسط المطلق.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الإسراء: 110)[وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا].
قوله تعالى: (العنكبوت: 45)[وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (النساء: 103)[إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا].
ب. قوله تعالى: (المؤمنون: 1، 2)[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإقامة في أصل الوضع اللغوي هي تعديل الشيء وتقويمه وإتمامه على أكمل وجه، والصلاة هي الصلة بالله بالدعاء والتلاوة والركوع والسجود.

الدلالة المنطوقية: التعبير بلفظ (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بدلاً من (يصلون) يوجب الإتيان بالصلاة كاملة الشروط والأركان والآداب الصوتية والقلبية.

الدلالة المفهومية: يلزم من وجوب إقامة الصلاة على مراد الله الالتزام بأمر الله في كيفية القراءة فيها بالتوسط بين الجهر والإخفات في كل صلاة.

الدلالة التضمنية: تتضمن إقامة الصلاة حضور القلب، والالتزام بالمواقيت، والتوسط الصوتي الذي يحقق الخشوع والتدبر للمصلي ومن حوله.

الخلاصة: إقامة الصلاة فريضة محكمة تقتضي إتمامها ظاهراً وباطناً، والالتزام بالتوسط الصوتي في القراءة في جميع الصلوات.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: عطف (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) على (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) مباشرة يجعل الصلاة الترجمة العملية الأولى للإيمان القلبي، والرابط المباشر بين العبد وربه.

الدلالة البلاغية: الفعل المضارع (يُقِيمُونَ) يدل على المداومة والتعهد المستمر لإصلاح الصلاة وتقويمها من أي نقص أو غفلة.

الخلاصة: النظم التعبيري يربط صحة العقيدة بسلامة العبادة، ويجعل إقامة الصلاة ميزان صدق الإيمان.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الإسراء (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) تقيد كيفية إقامة الصلاة بالتوسط الصوتي المطلق وتبطل التقسيم الجهرى والإخفاتي.

ثانياً: آية سورة العنكبوت (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) ترفع توهم إجزاء

الصلاة الشكلية التي لا تثمر استقامة سلوكية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (طه: 14)[وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] يبين أن الغاية الكبرى من إقامة الصلاة هي استحضار ذكر الله بوعي وتدبر.

ثانياً: قوله تعالى: (الماعون: 4، 5)[فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ] يوضح الفارق الجوهري بين مجرد أداء صورة الصلاة وبين إقامتها الحقيقية.

الخلاصة: تتطابق النصوص القرآنية على أن إقامة الصلاة تعني أداءها خاشعة موقوتة متوسطة الصوت في القراءة، لتؤتي ثمارها في تزكية النفس.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع أن إقامة الصلاة هي أداؤها كاملة الأركان والخشوع في مواقيتها، مع وجوب التوسط الصوتي بين الجهر والإخفات في قراءة جميع الصلوات عملاً بمحكم التنزيل.

المسألة الثالثة: حقيقة الإنفاق مما رزق الله ومشروعية الملكية والزكاة (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن الإنفاق المأمور به هو بذل جزء من المال الطيب الحلال الذي أنعم الله به على العبد في وجوه البر والزكاة المفروضة والصدقات، مما يقرر حق الملكية الفردية المقيدة بحق المجتمع ووجوب التطهير المالي.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن الإنفاق يقتضي التنازل عن كل المال وإفقار النفس، أو زعم أن المال كسب ذاتي خالص للإنسان لا حق لله وللعباد فيه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الفرقان: 67)[وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا].

قوله تعالى: (الذاريات: 19)[وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الحديد: 7)[آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ].

ب. قوله تعالى: (البقرة: 267)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإنفاق في أصل الوضع اللغوي هو إخراج المال وبذله في المصالح، وحرف الجر (مِنْ) في قوله (وَمِمَّا) يفيد التبعيض قطعاً.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يوجب إخراج بعض المال المرزوق من الله، وينسب أصل الرزق إلى الله تعالى.

الدلالة المفهومية: يلزم من التبعيض بـ (مِنْ) جواز تملك الإنسان لبقية ماله والانتفاع به باعتدال، كما يلزم من نسبة الرزق لله وجوب شكره بالإنفاق.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التعبير شمول الإنفاق للزكاة المفروضة والنفقات الواجبة على الأهل والصدقات التطوعية في سبيل الله.

الخلاصة: الإنفاق الشرعي هو إخراج جزء من الرزق الحلال تطهيراً للمال وتكافلاً مع المجتمع، مع حفظ حق التملك والاعتدال.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاء الإنفاق ثالثاً بعد الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة ليكتمل مثلث التقوى: عقيدة في القلب، وعبادة في البدن، وبذل في المال.

الدلالة البلاغية: تقديم الجار والمجرور (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) على الفعل (يُنفِقُونَ) يفيد الحصر والتذكير بأن المال مال الله أصلاً، مما يهون على النفس مشقة البذل.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يعالج شح النفس البشرية بتذكيرها أن ما تنفقه إنما هو من عطاء الله ورزقه.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الفرقان (لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) تقيد الإنفاق بالاعتدال والتوازن، وتمنع التبذير كما تمنع البخل.

ثانياً: آية الاستخلاف في المال (مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) ترفع توهم الملكية المطلقة التي تجيز للإنسان منع حقوق الفقراء أو إنفاق المال في المحرمات.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التوبة: 103)[خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا] يوضح الوظيفة التطهيرية للإنفاق في نفس المنفق وماله.

ثانياً: قوله تعالى: (البقرة: 274)[الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ] يبين ديمومة الإنفاق وتنوع صوره.

الخلاصة: يتضح من تلاحم الآيات أن الإنفاق فريضة مالية واجتماعية تقوم على التبعيض والاعتدال، وتثبت حقيقة الاستخلاف في المال.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع أن الإنفاق هو بذل جزء من الرزق الحلال في الزكاة ووجوه الخير باعتدال، وهو البرهان العملي على تحرر المؤمن من عبودية المال وإقراره باستخلاف الله له فيه.

المسألة الرابعة: الترابط البنيوي بين أركان التقوى الثلاثة (الإيمان والصلاة والإنفاق) واستحالة الفصل بينها (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن التقوى الحقيقية كلٌّ لا يتجزأ، تقوم على تلازم الإيمان القلبي، والعبادة البدنية، والتكافل المالي، وأن الفصل بين العقيدة والسلوك أو بين العبادة والمعاملة ينقض حقيقة التقوى.

الفهم الخاطئ: ادعاء المرجئة أن الإيمان مجرد تصديق قلبي يكفي للنجاة دون عمل، أو فصل الدين عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية بحصره في الشعائر التعبدية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 85)[أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ].

قوله تعالى: (العصر: 1، 2، 3)[وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 11)[فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ].

ب. قوله تعالى: (البينة: 5)[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: واو العطف في اللسان العربي تفيد مطلق الجمع والاشتراك في الحكم، وعطف الأفعال المتتالية على اسم موصول واحد يجمعها في حقيقة واحدة.

الدلالة المنطوقية: النطق بعطف (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) على (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) يجعل الثلاثة وصفاً واحداً للمتقين.

الدلالة المفهومية: يلزم من جمع هذه الأوصاف الثلاثة في تعريف المتقين انتفاء صفة التقوى الكاملة عمن يأخذ بالإيمان ويترك الصلاة أو الإنفاق.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الترتيب استيعاب الإنسان بجميع قواه: قواه الروحية والعقلية بالإيمان، وقواه البدنية بالصلاة، وقواه المادية بالإنفاق.

الخلاصة: الإيمان والعمل الصالح متلازمان شرعاً وعقلاً، ولا يقبل الله إيماناً مجرداً عن إقامة الصلاة وبذل الإنفاق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التدرج المنطقي من الباطن (الإيمان بالغيب) إلى العلاقة الخاصة مع الخالق (إقامة الصلاة) ثم إلى العلاقة العامة مع الخلق (الإنفاق) يرسم خارطة متكاملة للإنسان الصالح.

الدلالة البلاغية: التوازن في البناء الفعلي (يُؤْمِنُونَ / يُقِيمُونَ / يُنفِقُونَ) يخلق إيقاعاً متناغماً يدل على انسجام حياة المؤمن وتكاملها.

الخلاصة: الهندسة التعبيرية للآية ترفض التجزئة الدينية، وتبني شخصية إنسانية متوازنة تجمع بين الروحانية والواقعية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية الإنكار على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض (البقرة: 85) تبطل كل مذهب يفصل بين العقيدة والشريعة.

ثانياً: آية سورة البينة التي تلخص الدين في الإخلاص والصلاة والزكاة تؤكد ثبات هذه الثلاثية في جميع الرسالات السماوية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المعارج: 22، 23، 24)[إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ] يكرر ذات التلازم بين الصلاة والإنفاق في صفات الناجين.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 2، 3)[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] يطابق بين صفات المؤمنين الحقيقيين وصفات المتقين.

الخلاصة: تتضافر آيات القرآن على أن الإيمان حقيقة مركبة من تصديق القلب وعمل الجوارح وبذل المال.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن الدين منظومة متكاملة لا تقبل التجزئة، وأن التقوى لا تتحقق إلا باجتماع الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله.

المسألة الخامسة: دلالة الصلة بين الرزق الإلهي وحقيقة الكسب البشري في قوله تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن الله هو الرزاق الحقيقي الموجد للأسباب والمسببات، وأن كسب الإنسان وسعيه هو السبب الظاهري المأمور به، فلا تناقض بين نسبة الرزق لله وبين إثبات ملكية الإنسان وكسبه.

الفهم الخاطئ: زعم الجبرية أن نسبة الرزق لله تعني ترك السعي والعمل، أو زعم القدرية والماديين أن المال نتاج جهد الإنسان وعلمه وحده دون فضل من الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الذاريات: 58)[إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ].

قوله تعالى: (النجم: 39)[وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القصص: 78)[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي].

ب. قوله تعالى: (الملك: 15)[فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الرزق في أصل اللسان هو العطاء الجاري للانتفاع به، وإضافته إلى ضمير العظمة (رَزَقْنَاهُمْ) يثبت أن المنعم الحقيقي هو الله.

الدلالة المنطوقية: إسناد فعل الرزق إلى الله تعالى مع مخاطبة البشر بالإنفاق منه يجمع بين إثبات الربوبية في العطاء وإثبات التكليف في التصرف.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون الله هو الرازق بطلان الغرور البشري بالمال (كما في مقولة قارون)، كما يلزم من التكليف بالإنفاق مشروعية الكسب الحلال.

الدلالة التضمنية: يتضمن لفظ الرزق كل ما يوهب للإنسان من مال وعلم وصحة ووقت، فيشمل الإنفاق بذل المال والعلم والجهد في الخير.

الخلاصة: الرزق منحة إلهية تتحقق عبر السعي البشري المشروع، ويوجب الاعتراف بمصدرها الإلهي الإنفاق منها بطيب نفس.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: استعمال ضمير العظمة (رَزَقْنَاهُمْ) وسط الحديث عن أفعال العباد (يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ) يذكر الإنسان بحضور الله الدائم في تفاصيل حياته.

الدلالة البلاغية: الإضافة التشريفية للرزق إلى الله تهذب نفس الغني وتكسر كبرياءه، وتمنحه شعوراً بالأمان بأن الذي رزقه أولاً سيخلف عليه ثانياً.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يوازن بين مسؤولية الإنسان في الكسب وبين تواضعه أمام فضل الله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الملك (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) تفسر أن طلب الرزق يتطلب السعي والعمل، وتمنع التواكل.

ثانياً: آية إنكار قول قارون (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي) ترفع توهم الاستقلال البشري في تحصيل الثروة وتبطل الأنانية المادية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (سبأ: 39)[وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ] يربط بين الإيمان بأن الله هو الرازق وبين اليقين بالخلف عند الإنفاق.

ثانياً: قوله تعالى: (العنكبوت: 17)[فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ] يجمع بين ابتغاء الرزق والعبادة والشكر.

الخلاصة: يتكامل البيان القرآني في تقرير أن الله هو الرزاق، والإنسان هو الساعي المستخلف، والشكر العملي هو الإنفاق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق العقدي أن الرزق بيد الله وحده خلقاً وتمكيناً، وأن كسب الإنسان سبب مشروع لتحصيله، مما يوجب شكر النعمة بالإنفاق ونبذ البخل والغرور.

المسألة السادسة: حقيقة شمول لفظ الرزق للطاقات المعنوية والعلمية إلى جانب المال (في الدلالة وأقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن لفظ (رَزَقْنَاهُمْ) جاء مطلقاً عاماً ليشمل المال المادي بالأصالة، ويمتد ليشمل كل نعمة وهبها الله للإنسان من علم وحكمة وقوة ووقت، فيكون كل إنسان مطالباً بالإنفاق مما رزقه الله بحسب وسعه.

الفهم الخاطئ: قصر الإنفاق في الآية على الأغنياء أصحاب الأموال فقط، مما يعفي الفقراء وأهل العلم والقدرات من واجب البذل والعطاء في المجتمع.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 286)[لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا].

قوله تعالى: (الطلاق: 7)[لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (هود: 88)[قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا].

ب. قوله تعالى: (النحل: 71)[وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الرزق في أصل اللغة اسم لكل ما ينتفع به الحي ويسد حاجته، سواء كان مادياً محسوساً أو معنوياً مدركاً.

الدلالة المنطوقية: ورود الاسم الموصول (مَّا) في قوله (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) بصيغة العموم المطلق دون تقييد بالمال أو الذهب والفضة يفيد استغراق جميع أنواع العطايا.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم لفظ (مَّا) شمول التكليف بالإنفاق لكل مكلف؛ فالغني ينفق من ماله، والعالم من علمه، والقوي من جهده.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الإطلاق تحقيق التكافل الشامل في الأمة بحيث لا يوجد فرد عاطل عن العطاء أو محروم من شرف التقوى.

الخلاصة: الإنفاق مما رزق الله يشمل المال أولاً، ويستوعب سائر النعم العلمية والبدنية، ليشترك جميع المؤمنين في صفة المتقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت صفات المتقين عامة شاملة لكل مؤمن في كل زمان ومكان، فناسب ذلك إطلاق لفظ الرزق ليتحقق الوصف في الغني والفقير على حد سواء.

الدلالة البلاغية: الإبهام المقصود في (مَّا رَزَقْنَاهُمْ) يوسع دائرة الخيرات، ويشعر كل إنسان بأن لديه نعمة يستطيع أن يبذل منها لغيره.

الخلاصة: الصياغة التعبيرية تفتح أبواب البذل أمام جميع البشر وتمنع الاحتجاج بالفقر لترك العطاء.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الطلاق (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) تفسر أن الإنفاق واجب على قدر السعة والرزق الممنوح لكل فرد.

ثانياً: آية عدم تكليف النفس إلا وسعها ترفع توهم تكليف الفقير بما لا يملك، وتوجهه للإنفاق مما آتاه الله من جهد أو كلمة طيبة أو علم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (آل عمران: 187)[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ] يثبت أن نشر العلم إنفاق واجب لرزق المعرفة.

ثانياً: قوله تعالى: (النور: 22)[وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي

الْقُرْبَىٰ] يبين أن أصحاب السعة المادية مطالبون بالبذل المالي.
الخلاصة: يتضح من تلاحم الآيات أن الرزق مفهوم شامل، وأن الإنفاق منه فريضة عامة تتنوع صورها بتنوع النعم.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) خطاب عام يستوعب المال بالدرجة الأولى، ويشمل كل عطاء إلهي من علم وقوة، ليكون البذل سمة عامة لجميع المتقين.

المسألة السابعة: دلالة التعبير بصيغة المضارع في الأفعال الثلاثة (يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ) على الديمومة والتجدد (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن اختيار صيغة الفعل المضارع في هذه الأوصاف الثلاثة يدل على أن التقوى حالة حية مستمرة تتجدد بالعمل الدائم والمجاهدة المستمرة، وليست حدثاً ماضياً منتهياً أو مجرد انتساب اسمي.
الفهم الخاطئ: الاكتفاء بالإقرار الإيماني مرة واحدة في العمر، أو أداء الصلاة والإنفاق بشكل موسمي متقطع مع ادعاء تحقق صفة المتقين.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الحجر: 99)[وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ].
قوله تعالى: (آل عمران: 102)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (المعارج: 23)[الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ].
ب. قوله تعالى: (الأنفال: 2)[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفعل المضارع في أصل وضع اللسان العربي يدل على الحال والاستقبال، ويفيد التجدد والحدوث المستمر للحدث في الزمن.

الدلالة المنطوقية: النطق بالأفعال المضارعة المتتابعة (يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ) يثبت استمرارية هذه الأفعال في حياة المتقين دون انقطاع.

الدلالة المفهومية: يلزم من دلالة الاستمرار والتجدد انتفاء صفة المتقين عمن ينقطع عن الصلاة أو الإنفاق أو يتوقف عن تجديد إيمانه.

الدلالة التضمنية: يتضمن التجدد في الإيمان زيادته بتدبر الآيات، والتجدد في الصلاة المحافظة على أوقاتها، والتجدد في الإنفاق مداومة البذل كلما تجدد الرزق.

الخلاصة: صيغة المضارع تفرض على المؤمن اليقظة الدائمة والاستمرار في الطاعة حتى الممات.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: بعد أن وصف الله الكتاب بأنه هدى للمتقين، جاءت الأفعال المضارعة لترسم حركة المتقين المتفاعلة باستمرار مع هداية الكتاب.

الدلالة البلاغية: الحيوية الصوتية والدلالية للأفعال المضارعة تضفي على النص حركة وتدفقاً يوقظ الهمم للعمل الدائب.

الخلاصة: البناء الصرفي للفعل المضارع يحول الإيمان من فكرة ساكنة إلى طاقة حركية مستمرة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الحجر (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) تفسر غاية الاستمرار المستفاد من المضارع، وتقيده بامتداده إلى نهاية العمر.

ثانياً: آية الدوام على الصلاة (عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) ترفع توهم إجزاء التقطع أو التكاسل في أداء الفرائض.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (فصلت: 30)[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا] يربط بين الإيمان القولي وبين الاستقامة الدائمة.

ثانياً: قوله تعالى: (الرعد: 22)[وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً] يوضح ملازمة هذه الأفعال لأولي الألباب في كل أحوالهم.

الخلاصة: تتطابق دلالات الصرف والنظم القرآني على أن الاستمرار والمداومة شرط أساسي في تحقق التقوى.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القاعدة البيانية القطعية أن التعبير بالمضارع في (يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ) يوجب ديمومة الإيمان وتجدده بالعمل المستمر، ويبطل التدين الموسمي أو المنقطع.

المسألة الثامنة: قطعية اللفظ والنظم في الآية الثالثة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الدلالة والاعتقادات)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الثالثة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس دون أي تغيير في المدود أو الحركات أو إبدال الكلمات، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في صيغ الأفعال أو تدخل تسهيلات وإبدالات غير متواترة في (يُؤْمِنُونَ) بدعوى تعدد القراءات، مما يوقع الاختلاف في كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الهمزة في (يُؤْمِنُونَ) حرف أصلي من الجذر (أ م ن)، وتحقيقها في النطق يحفظ بنية الكلمة ويمنع التباسها بغيرها.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو تحقيق الهمزة في (يُؤْمِنُونَ) وإثبات الألفات والواوات وفق الرسم العثماني المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل قراءة تبدل الهمزة واواً خالصة أو تغير في حركات الإعراب والبناء الثابتة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن التواتر القطعي العياني للمصحف وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في كل زمان ومكان.

الخلاصة: القراءة الوحيدة الصحيحة هي قراءة المصحف المتواتر جيلاً عن جيل، وكل ما خالفها من روايات القراءات باطل لا حجية له.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الانضباط الصوتي الدقيق للكلمات في الآية يحفظ توازن الإيقاع بين الفواصل المتقاربة (بِالْغَيْبِ / الصَّلَاةَ / يُنفِقُونَ).

الدلالة البلاغية: وضوح المخارج وتحقيق الحروف يضفي على التلاوة قوة وجلالاً يليق بكلام رب العالمين.

الخلاصة: الوحدة الصوتية للنص القرآني تحمي كتاب الله من التعددية والاضطراب.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المنقول بالكافة عن

الكافة.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم مشروعية تعدد القراءات المتباينة في الأداء واللفظ.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 115)[لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] يمنع أي تبديل في حروف الكلمة أو أصواتها.

ثانياً: قوله تعالى: (الزمر: 28)[قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ] يثبت استقامة النظم ووحدته دون تعددية تثير الخلاف.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المعروف بين الناس.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة متواترة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة ولا قيمة لها ولا شرعية.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر (الْغَيْبِ) على القَدَر أو اللوح المحفوظ أو النبي محمد فقط (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تحصر معنى (الْغَيْبِ) في الآية في شيء جزئي واحد كالقَدَر فقط، أو تزعم أن المراد بالغيب هو النبي محمد حال غيبته، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وشمول مفهوم الغيب لكل ما غاب عن الحواس مما أخبر به الوحي.

الفهم الخاطئ: تضييق دلالة اللفظ القرآني العام بناءً على روايات آحادية أو تأويلات مذهبية تحجب شمولية الإيمان بالغيب.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النمل: 65)[قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ].

قوله تعالى: (الأنعام: 59)[وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 177)[وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ].

ب. قوله تعالى: (النساء: 136)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: دخول (أل) الجنسية والاستغراقية على لفظ (الْغَيْبِ) في اللسان العربي يفيد شمول كل فرد من أفراد هذا الجنس دون تخصيص.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) مطلقاً عاماً يوجب الإيمان بجميع أركان الغيب التي نص عليها القرآن الكريم.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم اللفظ بطلان كل رواية تقصر الغيب على فرد واحد وتخرج بقية أركان الإيمان الغيبية كالملائكة والبعث والجنة والنار.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاستغراق الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكل خبر غيبي ورد في التنزيل.

الخلاصة: الروايات التي تضيق معنى الغيب باطلة لتصادمها مع صيغة العموم والاستغراق في النص القرآني.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء اللفظ عاماً في مطلع السورة يناسب التأسيس الكلي للعقيدة قبل تفصيل أركانها في سائر السورة.

الدلالة البلاغية: الإطلاق في (الْغَيْبِ) يفتح أفق الإيمان ليستوعب كل ما وراء المادة، بينما تحجم الروايات الضيقة هذا الأفق الواسع.

الخلاصة: التعبير القرآني يعتمد الكليات الجامعة، والروايات المتكلفة تحاول تجزئة هذه الكليات وإفراغها من شمولها.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) تفسر مفردات الغيب الواجب الإيمان بها، وتبطل قصرها على أمر واحد.

ثانياً: آية سورة البقرة (177) ترفع توهم التخصيص، وتبين أن البر والتقوى يقومان على الإيمان بجميع هذه الحقائق الغيبية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التغابن: 6، 7)[زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ] يثبت أن البعث من أعظم حقائق الغيب.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنبياء: 19، 20)[وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ] يبين حقيقة الملائكة كجزء من عالم الغيب.

الخلاصة: تتطابق آيات القرآن على أن الغيب يشمل كل أركان العقيدة الغيبية، وتسقط الروايات التي تقصره على معنى جزئي ضيق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر (الْغَيْبِ) على معنى جزئي كالقَدَر أو شخص النبي حال غيبته، والقطع بشمول اللفظ لكل ما غاب عن الحواس مما أخبر به القرآن من أركان الإيمان.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في تحديد مقدار الإنفاق بـ (الزكاة المفروضة فقط) أو نسخ الصدقات بفرض الزكاة (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في التفسير التي تزعم أن قوله تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) منسوخ بآية الزكاة، أو أنه محصور في الزكاة المفروضة وحدها دون

سائر وجوه الإنفاق، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في استمرار فريضة الإنفاق وتعدد أبوابه.

الفهم الخاطئ: توهم أن أداء الزكاة السنوية يسقط عن المسلم واجب الإنفاق في سائر الأوقات والحاجات، أو القول بوقوع النسخ في آيات الإنفاق المحكمة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 177)[وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ].

قوله تعالى: (البقرة: 219)[وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 60)[إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ].

ب. قوله تعالى: (المنافقون: 10)[وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإنفاق اسم جنس مطلق يشمل كل بذل للمال في الخير، والزكاة نوع خاص من الإنفاق، والعام لا ينسخ بالخاص بل يشمله ويزيد عليه.

الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة العموم في (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يوجب البذل المستمر في وجوه البر والزكاة دون تقييد بنسبة محددة أو زمن منقضٍ.

الدلالة المفهومية: يلزم من عطف الزكاة على إيتاء المال لذوي القربى واليتامى في سورة البقرة أن الإنفاق أوسع من الزكاة وأنه غير منسوخ بها.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم أن في المال حقوقاً متعددة سوى الزكاة تفرضها حاجة المجتمع والجهاد وصلة الرحم.

الخلاصة: الروايات التي تدعي نسخ آيات الإنفاق بالزكاة أو قصرها عليها باطلة؛ لأن القرآن يجمع بينهما ويجعلهما صفتين متكاملتين للمتقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء الإنفاق في فاتحة السورة بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار ينفي ادعاء النسخ الذي يبطل العمل بالآية.

الدلالة البلاغية: إطلاق الإنفاق يربي في المؤمن روح الجود الدائم، بينما يقتله حصره في فريضة سنوية جامدة.

الخلاصة: التعبير القرآني يحفظ حيوية التكافل الاجتماعي، ويفضح زيف روايات النسخ التي تعطل نصوص القرآن.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية البر في سورة البقرة (177) التي جمعت بين إيتاء المال على حبه وبين إيتاء الزكاة في جملة واحدة تسحق دعوى نسخ الإنفاق بالزكاة.

ثانياً: آية الأمر بإنفاق العفو (قُلِ الْعَفْوَ) ترفع توهم الاكتفاء بالحد الأدنى من الزكاة عند وجود الفائض والحاجة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (البقرة: 261)[مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ] يحث على الإنفاق المطلق في كل حين.

ثانياً: قوله تعالى: (الليل: 5، 6، 7)[فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ] يجعل مطلق الإعطاء قرين التقوى.

الخلاصة: تتطابق نصوص القرآن على بطلان دعوى النسخ، وتؤكد أن الإنفاق فريضة مستمرة تشمل الزكاة وسائر وجوه البذل.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تزعم نسخ آية الإنفاق بالزكاة أو حصرها فيها، والقطع بأن الإنفاق في القرآن فريضة مستمرة تشمل الزكاة وجميع وجوه التكافل والبذل.

(البقرة: 4)

[وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الإيمان بوحدة الوحي الإلهي وشمولية التصديق بجميع الرسالات المنزلة (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الإيمان الحق يقوم على التصديق الجازم بوحدة المصدر الإلهي لجميع الكتب المنزلة، بحيث يؤمن المسلم بالقرآن المنزل على خاتم النبيين وبجميع الكتب السماوية السابقة في أصل إنزالها الرباني دون تفريق بين رسل الله.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن الإيمان بالقرآن يقتضي إنكار أصل الكتب السابقة، أو زعم أهل الكتاب أن الإيمان بكتبهم يغنيهم عن الإيمان بالقرآن المنزل على النبي محمد.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 285)[آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ].

قوله تعالى: (النساء: 136)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (آل عمران: 84)[قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ].

ب. قوله تعالى: (الشورى: 15)[وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإنزال في أصل الوضع اللغوي هو إلقاء الشيء من علو إلى سفل، ويستعمل في الوحي للدلالة على صدور الكلام من العلي الأعلى إلى رسله.

الدلالة المنطوقية: النطق بعطف (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) على (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) يوجب الجمع في الإيمان بين الوحي الخاتم والوحى السابق عليه.

الدلالة المفهومية: يلزم من اشتراط الإيمان بالوحيين معاً بطلان إيمان من يقبل بعض الوحي ويرد بعضه الآخر بدافع العصبية أو الهوى.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا العطف الإقرار بأن دين الله واحد في أصوله العقدية ومقاصده الكبرى عبر جميع العصور.

الخلاصة: الإيمان بالوحي لا يتجزأ، ويشترط لتحقق التقوى التصديق بالقرآن وبأصل الكتب المنزلة قبله.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية بعد ذكر الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق يحدد المرجعية المعرفية التي تضبط الغيب والعبادة، وهي الوحي الإلهي المتكامل.

الدلالة البلاغية: البناء للمجهول في الفعل (أُنزِلَ) في الموضعين يركز الانتباه على عظمة الفعل وحقيقة التنزيل ووضوح الفاعل وهو الله سبحانه، مع شمولية المفعول (مَا) لكل ما نزل.

الخلاصة: الصياغة التعبيرية تربط المؤمن بتاريخ النبوات الممتد، وتمنحه أفقاً إنسانياً عالمياً يتجاوز الانغلاق القومي أو الطائفي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) تفسر أن الإيمان بالكتب السابقة هو امتداد طبيعي للإيمان بوحدة الرسالة الإلهية.

ثانياً: آية سورة النساء (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...) ترفع توهم جواز الانتقاء بين الكتب السماوية وتجعل الكفر بواحد منها كفراً بالجميع.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (آل عمران: 3)[نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] يوضح أن القرآن جاء مصدقاً لأصل الوحي السابق.

ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 150، 151)[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا] يقطع بكفر من يفرق بين الرسالات.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرر أن الإيمان بجميع الكتب المنزلة ركن عقدي ثابت يجمع شمل المؤمنين تحت راية التوحيد الخالص.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن التقوى تقتضي الإيمان المطلق بوحدة مصدر الوحي، والتصديق الجازم بالقرآن المنزل وبأصل الكتب المنزلة من قبله دون تفريق أو جحود.

المسألة الثانية: حقيقة هيمنة القرآن على الكتب السابقة وحدود الإيمان بما أنزل من قبل (في الاعتقادات والأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: بيان أن الإيمان بما أنزل من قبل يعني التصديق بأصل إنزال التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى على أنها وحي حق من عند الله في أصلها، مع القطع بهيمنة القرآن ونسخه للأحكام الفرعية السابقة وبيانه لما وقع في أيدي أهل الكتاب من تحريف وتبديل.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن الإيمان بما أنزل من قبل يوجب العمل بشرائع التوراة والإنجيل المتداولة حالياً، أو الاستشهاد بنصوصها المحرفة في العقائد والأحكام.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المائدة: 48)[وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ].

قوله تعالى: (البقرة: 79)[فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 46)[مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ].

ب. قوله تعالى: (آل عمران: 85)[وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التعبير بـ (مَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) يخص الوحي الأصلي الذي أنزله الله تعالى على أنبيائه، ولا يشمل ما كتبته أيدي البشر أو حرفوه بعد ذلك.

الدلالة المنطوقية: النطق بالموصول (مَا أُنزِلَ) يقيد الإيمان بالمنزل الحقيقي من عند الله في زمنه، لا بالنسخ المحرفة المتأخرة.

الدلالة المفهومية: يلزم من تقييد الإيمان بالمنزل من عند الله انتفاء وجوب التصديق بما أدخله المحرفون في الكتب السابقة، ووجوب عرض كل خبر سابق على ميزان القرآن المهيمن.

الدلالة التضمنية: يتضمن تقديم (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) على (مَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) إثبات الصدارة والحاكمية للقرآن على سائر الكتب.

الخلاصة: نؤمن بأن الله أنزل كتباً قبل القرآن كانت هدى ونوراً في زمانها، ونتعبد الله بشريعة القرآن المهيمن وحده.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الآية في سياق تعريف المتقين المهتدين بالقرآن (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، مما يثبت أن المرجع العملي للهداية هو القرآن حصراً.

الدلالة البلاغية: استخدام لفظ (مِن قَبْلِكَ) يحدد البعد الزمني للكتب السابقة ويشير إلى انتهاء دورها التشريعي بمجيء الرسالة الخاتمة.

الخلاصة: البناء التعبيري يضع الكتب السابقة في إطارها التاريخي الصحيح، ويثبت المرجعية المطلقة للقرآن الحاضر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المائدة (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) تفسر علاقة القرآن بالكتب السابقة، وتقيد الإيمان بها بالتصديق الإجمالي مع حصر الحكم والعمل في القرآن.

ثانياً: آيات بيان تحريف الكلم عن مواضعه ترفع توهم عصمة الكتب المتداولة بين أهل الكتاب وتمنع الاحتجاج بها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 155)[وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ] يوجب حصر الاتباع العملي في القرآن الكريم.

ثانياً: قوله تعالى: (الأعراف: 157)[الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] يبين نسخ التكاليف الشاقة التي كانت في الشرائع السابقة.

الخلاصة: تتضافر الآيات لتقرر أن الإيمان بما أنزل من قبل هو تصديق بأصل النبوات والكتب المنزلة، مع حصر التشريع والاتباع في القرآن المهيمن.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع أن الإيمان بالكتب السابقة هو إيمان بأصل تنزيلها الرباني وتصديقها للقرآن، أما العمل والتشريع والحاكمية فمحصورة في القرآن المهيمن وحده.

المسألة الثالثة: حقيقة اليقين بالآخرة والفرق الجوهري بين الإيمان واليقين (في الدلالة والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن اليقين بالآخرة هو أعلى درجات العلم الجازم الذي لا يعتريه أدنى شك أو تردد، والذي يورث سكون القلب واستقامة السلوك، وبيان أن القرآن خص الآخرة بلفظ اليقين دون مجرد الإيمان لكونها الباعث الحقيقي على العمل والضابط الأعلى للأخلاق.

الفهم الخاطئ: التسوية المطلقة في الدلالة بين الإيمان واليقين، أو اختزال اليقين بالآخرة في مجرد الاعتراف النظري بوجود البعث دون أن يثمر ذلك خشيةً واستعداداً عملياً.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (التكاثر: 5، 6، 7)[كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ].

قوله تعالى: (الجاثية: 32)[وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ].

ثالثاً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النمل: 3)[الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 75)[وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اليقين في أصل اللسان هو استقرار العلم وثباته في القلب كاستقرار الماء في القرار الصافي بعد زوال الكدر والاضطراب.

الدلالة المنطوقية: الانتقال من فعل (يُؤْمِنُونَ) في صدر الآية إلى فعل (يُوقِنُونَ) في ختامها يدل على ارتقاء حال المتقين في شأن الآخرة إلى ذروة الجزم والوضوح.

الدلالة المفهومية: يلزم من اشتراط اليقين بالآخرة انتفاء التقوى عمن يعيش في غفلة أو شك وتردد في البعث والحساب.

الدلالة التضمنية: يتضمن اليقين بالآخرة الإيمان الجازم بالموت، والبعث، والحساب، والميزان، والجنة، والنار، وعدالة الجزاء الإلهي.

الخلاصة: اليقين بالآخرة هو العلم المستقر في القلب الذي يجعل الغيب المستقبلي كأنه مشهد ماثل أمام العين، فيضبط سلوك الإنسان.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام أوصاف المتقين بـ (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يجعل من اليقين بالآخرة المحرك الخفي والضامن لاستمرار الإيمان والصلاة والإنفاق.

الدلالة البلاغية: تقديم الجار والمجرور (وَبِالْآخِرَةِ) وتكرار الضمير المنفصل (هُمْ) يفيدان القصر والحصر، أي أن المتقين وحدهم هم الموقنون بالآخرة حق اليقين.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يبرز تفرد المتقين بيقينهم الراسخ باليوم الآخر في مقابل ارتياب الكافرين وتذبذب المنافقين.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الجاثية التي تذم المشركين بقولهم (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) تفسر أن علة الضلال والفساد في الأرض هي فقدان اليقين بالآخرة.

ثانياً: آية سورة النمل (وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) ترفع توهم الاكتفاء بالتصديق السطحي، وتؤكد تلازم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع اليقين بالآخرة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (البقرة: 46)[الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] يوضح أثر اليقين بلقاء الله في تسهيل الطاعات والخشوع.

ثانياً: قوله تعالى: (المطففين: 4، 5، 6)[أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] يربط بين التلاعب بالحقوق وبين غياب اليقين بالبعث.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على أن اليقين بالآخرة هو الركيزة الأخلاقية والرقابية التي تحفظ الإنسان من الظلم والانحراف.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد القاطع أن اليقين بالآخرة هو ثبات العلم بالبعث والجزاء في القلب ثباتاً لا يخالطه ريب، وهو الباعث الأعظم على التقوى والاستقامة في الدنيا.

المسألة الرابعة: دلالة الحصر والتوكيد في قوله تعالى (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) على بطلان دعوى اليقين عند المكذبين والمنافقين (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن التركيب البلاغي والنحوي في ختام الآية يختص المتقين وحدهم باليقين الحقيقي بالآخرة، ويسلب هذه الصفة عن كل من يكذب بالوحي أو يقتصر في دينه على المظاهر الدنيوية دون استعداد للدار الآخرة.

الفهم الخاطئ: ادعاء كل من ينتسب إلى دين أو ملة أنه موقن بالآخرة لمجرد قوله اللساني بذلك، دون أن يظهر أثر هذا اليقين في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 8)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ].

قوله تعالى: (الروم: 7)[يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المؤمنون: 74)[وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 113)[وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الضمير المنفصل (هُمْ) في اللسان العربي إذا وقع بين المفعول المقدم (بِالْآخِرَةِ) والفعل (يُوقِنُونَ) أفاد التخصيص والقصر والتأكيد الشديد.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يثبت اليقين للمتقين بأبلغ صيغ التوكيد، وينفيه عن أضدادهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من قصر اليقين على المتقين أن من أعرض عن الوحي ولم

يستعد للقاء الله فليس بموقن بالآخرة وإن زعم ذلك بلسانه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التوكيد أن اليقين الحقيقي له علامات عملية لا تتخلف، وهي المبادرة إلى الصالحات والتورع عن المظالم.

الخلاصة: صيغة الحصر تقيم البرهان على أن اليقين بالآخرة حقيقة عملية يختص بها المتقون، وتفضح كذب أدعياء الإيمان الغافلين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذا الحصر قبل آيات الكافرين والمنافقين مباشرة يرسم الحد الفاصل بين فريق الهداية وفريق الضلال والنفاق.

الدلالة البلاغية: التوكيد اللفظي والمعنوي يعطي الجملة قوة حاسمة تقرع أسماع المترددين وتوقظهم من غفلة الانغماس في الدنيا.

الخلاصة: الهندسة البلاغية للآية تجعل اليقين بالآخرة المحك الفاصل لصدق التدين.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية المنافقين في سورة البقرة (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) تفسر أن مجرد الادعاء اللساني باليوم الآخر لا يغني شيئاً عند انتفاء العمل واليقين القلبي.

ثانياً: آية سورة المؤمنون (عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) ترفع توهم اجتماع اليقين بالآخرة مع الانحراف المستمر عن صراط الله.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الفرقان: 11)[بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا] يبين عاقبة انتفاء اليقين بالآخرة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأعراف: 147)[وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ] يربط بين الإيمان بالآيات وبين اليقين بلقاء الآخرة.

الخلاصة: تتطابق النصوص القرآنية على قصر اليقين بالآخرة على المتقين العاملين، وإبطال دعاوى الغافلين والمكذبين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن قوله تعالى (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقصر اليقين الصادق باليوم الآخر على المتقين وحدهم، ويسلب هذه الصفة عن كل من يكذب بالوحي أو يغفل عن الاستعداد للقاء الله.

المسألة الخامسة: علاقة الرسالة الخاتمة بالرسالات السابقة وبطلان دعوى نسخ القرآن للتوحيد والأصول الأخلاقية (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الشرائع السماوية تتفق اتفاقاً مطلقاً في أصول العقيدة (التوحيد والنبوة والبعث) وفي مكارم الأخلاق (العدل والصدق والبر)، وأن النسخ والتبديل إنما يقع في الأحكام الفرعية والتشريعات العملية بحسب تطور البشرية، لا في أصول الدين الثابتة.

الفهم الخاطئ: توهم أن مجيء القرآن يلغي القيم الأخلاقية وأصول التوحيد التي جاء بها الأنبياء السابقون، أو الخلط بين ثبات الدين الواحد وبين تعدد الشرائع الفرعية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الشورى: 13)[شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ].

قوله تعالى: (الأنبياء: 25)[وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 48)[لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا].

ب. قوله تعالى: (آل عمران: 50)[وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الدين في أصل الوضع هو الخضوع والانقياد لله الواحد، والشرعة هي الطريق العملي المنظم للسلوك في كل عصر.

الدلالة المنطوقية: جمع الإيمان بالمنزل إلى النبي والمنزل من قبله في جملة واحدة يثبت اشتراكهما في الحقيقة الجوهرية للوحي والهداية.

الدلالة المفهومية: يلزم من وحدة المصدر الإلهي استحالة التناقض بين الرسالات في أصول التوحيد والعدل والأخلاق الفاضلة.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الترابط أن رسالة الإسلام هي التتويج النهائي والكمال التشريعي لمسيرة النبوات منذ آدم ونوح وإبراهيم.

الخلاصة: أصول العقيدة والأخلاق ثابتة في جميع الكتب المنزلة، وإنما اختلفت الفروع التشريعية رحمة بالعباد وتدرجاً حتى اكتمل الدين بالقرآن.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الربط المباشر بين (أُنزِلَ إِلَيْكَ) و(أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) بحرف العطف (الواو) يزيل أي حاجز نفسي أو فكري بين المسلم وبين أنبياء الله السابقين.

الدلالة البلاغية: الإسناد المباشر للنبي (إِلَيْكَ / قَبْلِكَ) يجعل النبي محمداً محور الارتكاز الذي تلتقي عنده وتكتمل به جميع الرسالات.

الخلاصة: السياق التعبيري يرسخ وحدة الرسالة السماوية ويجعل الإسلام الوارث الشرعي لكل هدى أنزله الله على البشر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الشورى (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) تفسر أن الدين الواحد هو الوصية المشتركة لجميع الأنبياء.

ثانياً: آية سورة المائدة (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) ترفع توهم التناقض عند اختلاف بعض الفروع العملية كالقبلة أو بعض المحرمات المؤقتة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (آل عمران: 19)[إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ] يثبت أن الإسلام بمعنى الاستسلام لله هو دين جميع الأنبياء.
ثانياً: قوله تعالى: (البقرة: 136)[قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] يوضح شمولية الإيمان والانتماء لملة التوحيد.
الخلاصة: تتلاحم الآيات لتؤكد وحدة الدين الإلهي في أصوله، وكمال الشريعة في القرآن الخاتم.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القاعدة العقدية الراسخة أن الدين عند الله واحد في توحيده وأخلاقه عبر جميع الكتب المنزلة، وأن القرآن جاء مصدقاً لتلك الأصول ومكملاً للشرائع ومهيمناً عليها.

المسألة السادسة: حقيقة توجيه الخطاب للنبي بقوله (إِلَيْكَ) وأثره في إثبات بشريته ورسالته معاً (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توجيه الخطاب إلى النبي بكاف الخطاب (إِلَيْكَ / قَبْلِكَ) يقرر كونه بشراً مرسلاً متلقياً للوحي من ربه، لا إلهاً ولا شريكاً في الربوبية، ولا مؤلفاً للكتاب من عند نفسه، مما يحقق التوازن التام في مقام النبوة.
الفهم الخاطئ: الغلو في ذات النبي برفعه عن مقام العبودية والرسالة، أو الجفاء بإنكار اصطفائه وتلقيه المباشر للوحي الإلهي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الكهف: 110)[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ].
قوله تعالى: (الأعراف: 188)[قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (النساء: 163)[إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن

بَعْدِهِ].

ب. قوله تعالى: (النجم: 10)[فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: حرف الجر (إِلَى) في أصل الوضع اللغوي يفيد انتهاء الغاية المكانية أو المعنوية، أي وصول الوحي من المتكلم (الله) إلى المتلقي (النبي).

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) يثبت وجود منزل (وهو الله) ومنزل عليه (وهو النبي) وشيء منزل (وهو القرآن)، مما يغاير بين الخالق والمخلوق.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون النبي منزلاً إليه الوحي أنه عبد مأمور بالتبليغ والاتباع، وليس مصدراً للتشريع من تلقاء نفسه.

الدلالة التضمنية: يتضمن تشريف النبي بالخطاب المباشر من ربه إثبات صدق نبوته وعصمته في تبليغ الرسالة.

الخلاصة: صيغة (أُنزِلَ إِلَيْكَ) تثبت للنبي شرف الرسالة والاصطفاء، وتبقيه في دائرة العبودية والبشرية المنزهة عن الغلو.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الالتفات من الغيبة في الآيات السابقة (لَا رَيْبَ فِيهِ / رَزَقْنَاهُمْ) إلى خطاب النبي مباشرة (إِلَيْكَ) يضفي حميمية وتشريفاً لمقام الرسول وتثبيتاً لقلبه.

الدلالة البلاغية: الخطاب المباشر للنبي يختصر المسافات ويجعل السامع يشعر بحضور الوحي وتنزله اللحظي.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يوازن بدقة متناهية بين تعظيم مقام الرسالة وبين صيانة التوحيد الخالص لله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الكهف (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ) تفسر حقيقة (أُنزِلَ إِلَيْكَ)

وتمنع كل صور الغلو في ذات الرسول.

ثانياً: آية سورة النساء (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ) ترفع توهم بدعية هذه الرسالة وتؤكد سيرها على سنة الأنبياء السابقين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يونس: 15)[إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ] يبين التزام النبي المطلق بما أنزل إليه.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 50)[إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ] يؤكد أن الوحي المنزل هو المرجع الوحيد للنبي وللأمة.

الخلاصة: تتطابق النصوص القرآنية على إثبات عبودية النبي ورسالته، وتنفي عنه صفات الألوهية كما تنفي عنه تهمة الاختلاق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن قوله تعالى (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) يثبت للنبي مقام الرسالة والتبليغ الأمين عن الله، ويحفظ عقيدة التوحيد من الغلو البشري في الأنبياء.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية الرابعة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الرابعة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس دون أي تغيير في المدود أو الهمزات أو صيغ الأفعال، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في بنية الكلمات أو تدخل إبدالات غير متواترة في (يُؤْمِنُونَ) و(يُوقِنُونَ) أو تفصل وتصل المدود على خلاف المصحف المتواتر، مما يوقع الاختلاف في كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل الجمعي المستمر جيلاً عن جيل الذي يورث العلم اليقيني ويمنع تواطؤ الأمة على الخطأ أو الاختلاف.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو تحقيق الهمزة في (يُؤْمِنُونَ) وإثبات همزات القطع في (أُنزِلَ) و(إِلَيْكَ) و(الْآخِرَةِ) وفق الرسم المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل قراءة تغير في الهمزات بالنقل أو الإبدال أو تغير في حركات الإعراب والبناء الثابتة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحفظ وحدة النص القرآني بين جميع المسلمين، وبطلان دعوى تعدد القراءات المتضاربة.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي ما في المصحف المعروف المنقول بالكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التناغم الصوتي المتكرر في الآية (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) يحفظ توازن النظم وجمال الإيقاع القرآني دون شذوذ صوتي.

الدلالة البلاغية: وضوح المخارج وتحقيق الحروف يمنح النص جلالاً وهيبة تليق بكلام الله المحفوظ من التبديل.

الخلاصة: الوحدة القرائية تصون كتاب الله من الاختلاف المنهي عنه وتحفظ للأمة مرجعيتها الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية الجمع بين العطف بالواو وتكرار الاسم الموصول (وَالَّذِينَ) في بناء أوصاف المتقين (في الدلالة وأقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن تكرار الاسم الموصول (وَالَّذِينَ) في الآية الرابعة وعطفه بالواو على الموصول الأول في الآية الثالثة يدل على أن الموصوفين طائفة واحدة جامعة

لجميع هذه الصفات، مع إبراز الأهمية العقدية الكبرى للإيمان بالوحي واليقين بالآخرة كأركان مستقلة في العظمة ومكملة لأركان العمل.

الفهم الخاطئ: زعم بعض المفسرين أن الموصول الأول (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) هم مؤمنو العرب، والموصول الثاني (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) هم مؤمنو أهل الكتاب خاصة، مما يجزئ صفات المتقين ويجعل كل طائفة غير مطالبة بصفات الطائفة الأخرى.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 5)[أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

قوله تعالى: (الحجرات: 10)[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 2، 3، 4)[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا].

ب. قوله تعالى: (المؤمنون: 1، 2، 3)[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: تكرار الاسم الموصول مع العطف في اللسان العربي يفيد مغايرة الصفات في الرتبة والأهمية مع اتحاد الموصوف في الذات، لتعظيم شأن كل صفة على حدة.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَالَّذِينَ) عطفاً على (الَّذِينَ) يجمع الصفات الخمس في الآيتين في حقيقة واحدة، ثم يختمها باسم الإشارة الجامع (أُولَٰئِكَ).

الدلالة المفهومية: يلزم من اتحاد الموصوفين في (أُولَٰئِكَ) أن كل متقٍ مطالب بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالكتب المنزلة، واليقين بالآخرة معاً.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التكرار البنائي نفي التمييز العرقي أو الطائفي بين

المؤمنين، وتوحيد معيار التقوى للجميع.

الخلاصة: الموصولان لموصوف واحد هم المتقون عامة، وتكرار الموصول لإبراز عظمة الإيمان بالرسالات واليقين بالآخرة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت الآيتان الثالثة والرابعة تفصيلاً لقوله (لِّلْمُتَّقِينَ) في الآية الثانية، وجاءت الآية الخامسة (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى) نتيجة للجميع، مما يثبت وحدة الموصوف.

الدلالة البلاغية: إطالة النفس في سرد الأوصاف مع تكرار الموصول يرفع من شأن المتقين ويعظم قدرهم في نفس السامع.

الخلاصة: البناء التعبيري يربط الآيات من الأولى إلى الخامسة في عقد واحد متماسك لا يقبل التفكيك إلى طوائف متفرقة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المؤمنون (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) تفسر أن تكرار (وَالَّذِينَ) في القرآن هو أسلوب مطرد في تعداد صفات الفئة الواحدة المفلحة.

ثانياً: آية سورة الأنفال ترفع توهم تعدد الطوائف بتكرار الموصول، وتؤكد أن الصفات كلها للمؤمنين حقاً.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحزاب: 35)[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...] يوضح أسلوب القرآن في تتابع الصفات المعطوفة لموصوف واحد.

ثانياً: قوله تعالى: (الفرقان: 63، 64)[وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا] يطابق تماماً أسلوب سورة البقرة في سرد أوصاف المتقين.

الخلاصة: يتضح من استقراء أسلوب القرآن أن تكرار (وَالَّذِينَ) لتعظيم الصفات وجمعها في كل متقٍ، لا لتقسيم المؤمنين إلى فئات.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الموصوفين في الآيتين الثالثة والرابعة هم جميع المتقين دون تفريق بين عربي وكتابي، وأن تكرار (وَالَّذِينَ) جاء لتفخيم شأن الإيمان بالوحي واليقين بالآخرة كأركان لازمة لكل مؤمن.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر الآية الرابعة على مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في أسباب النزول التي تزعم أن قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) نزل في نفر معينين من مؤمني أهل الكتاب دون سائر المؤمنين، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وعموم أحكامه وشمول الإيمان بالكتب السابقة لجميع الأمة.

الفهم الخاطئ: تصديق روايات أسباب النزول الضيقة التي تحصر الخطاب القرآني العام في حوادث وأشخاص تاريخيين، مما يعطل شمولية الآية ويجعل الإيمان بما أنزل من قبل خاصاً بأهل الكتاب فقط.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 285)[كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ].

قوله تعالى: (النساء: 136)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 136)[قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 90)[أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاسم الموصول (وَالَّذِينَ) من ألفاظ العموم التي تستغرق كل من اتصف بالصلة في أي زمان ومكان دون قصر على شخص معين.

الدلالة المنطوقية: النطق بالخطاب العام (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) يوجب شمول الحكم لكل مؤمن اتبع القرآن.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم اللفظ بطلان الروايات التي تقصر الآية على أفراد بأعيانهم؛ إذ لو كان الإيمان بالكتب السابقة خاصاً بهم لما أمر الله جميع المؤمنين به في سورة النساء وسورة البقرة.

الدلالة التضمنية: يتضمن تجريد النص من التخصيص الروائي حفظ عالمية الرسالة وخلود تشريعاتها لكل الأجيال.

الخلاصة: الروايات التي تحصر الآية في أشخاص معينين باطلة؛ لأن القرآن خطاب عام للمتقين كافة، والإيمان بجميع الكتب فرض على كل مسلم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السورة تؤسس في بدايتها القواعد الكلية للبشرية (المتقون، الكافرون، المنافقون) دون ذكر أي أسماء لأشخاص معينين، مما يثبت تجريد الخطاب.

الدلالة البلاغية: الإطلاق والتعميم يرفعان النص فوق الظروف التاريخية الضيقة ليكون دستوراً حياً يخاطب كل إنسان في كل عصر.

الخلاصة: السياق القرآني يأبى حصر المعاني الكبرى في وقائع فردية ضيقة ترويها كتب المأثورات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ...) تأمر جميع المؤمنين بالإقرار بما أنزل من قبل، فتسحق روايات التخصيص.

ثانياً: آية سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا...) تخاطب عموم المؤمنين بنفس مضمون الآية الرابعة، مما يبطل قصرها على أهل الكتاب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (آل عمران: 199)[وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ] يبين أن القرآن حين يريد تخصيص طائفة من أهل الكتاب يصرح بلفظهم بوضوح.

ثانياً: قوله تعالى: (القصص: 52، 53)[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ] يوضح أسلوب القرآن الدقيق عندما يتحدث عن مؤمني أهل الكتاب تحديداً.

الخلاصة: تتطابق شواهد القرآن على بطلان الروايات التي تقصر الآية الرابعة على نفر من أهل الكتاب، وتثبت عمومها لكل المتقين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر الآية الرابعة على أفراد بأعيانهم من أهل الكتاب، والقطع بأن الآية وصف عام لكل متقٍ يؤمن بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات عقائد من الإسرائيليات والتوراة المحرفة استناداً إلى قوله (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تستبيح رواية الإسرائيليات والأخبار المنسوبة للتوراة والإنجيل في العقائد والغيبيات وقصص الأنبياء بدعوى الإيمان بما أنزل من قبل، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في تحريف تلك الكتب واكتفاء الأمة بالقرآن المهيمن.

الفهم الخاطئ: توهم أن الإيمان بما أنزل من قبل يشرعن الأخذ عن كتب أهل الكتاب المتداولة أو تصديق رواياتهم في تفسير القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المائدة: 48)[وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ].

قوله تعالى: (آل عمران: 78)[وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 75)[وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 114)[أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإيمان بالشيء لغة هو التصديق بوجوده وصدقه في أصله، ولا يستلزم الأخذ من نسخ محرفة اختلط فيها الحق بالباطل.

الدلالة المنطوقية: النص في الآية يأمر بالإيمان بما أنزل الله من قبل، ولم يأمر بتلقي الدين أو التفسير من الكتب المحرفة بأيدي البشر.

الدلالة المفهومية: يلزم من شهادة القرآن بوقوع التحريف والكتابة بالأيدي في كتب أهل الكتاب تحريم الاعتماد عليها كمصدر معرفي أو تفسيري.

الدلالة التضمنية: يتضمن وصف القرآن بالتبيان لكل شيء استغناء الأمة التام عن كل موروث خارجي أو إسرائيلي.

الخلاصة: الروايات التي تجيز الأخذ من الإسرائيليات وتستدل بـ (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) باطلة متناً ومعنى؛ لأن القرآن كشف تحريفها وأغنى عنها.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية جاءت في معرض وصف المهتدين بالقرآن (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، مما يحصر مصدر الهداية في الكتاب الخالي من الريب دون الكتب التي دخلها التحريف والريب.

الدلالة البلاغية: المقابلة بين يقين القرآن وبين ظنون البشر تمنع تلويث صفاء الوحي القرآني بروايات أهل الكتاب المتناقضة.

الخلاصة: السياق القرآني يصون عقيدة الأمة من التلوث بالإسرائيليات ويحصر التلقي في الوحي المحفوظ.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة آل عمران (وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ) تبطل الثقة في الكتب المتداولة وتمنع نسبتها لله.

ثانياً: آية سورة الأنعام (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) ترفع توهم الحاجة إلى تفاصيل من الكتب السابقة لتفسير قصص القرآن.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يوسف: 3)[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ] يثبت كفاية القصص القرآني وكماله دون حاجة لإسرائيليات التوراة.

ثانياً: قوله تعالى: (النمل: 76)[إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] يبين أن القرآن هو الحكم الفصل فيما اختلف فيه أهل الكتاب وحرفوه.

الخلاصة: تتطابق آيات القرآن على إبطال الروايات التي تفتح باب الإسرائيليات، وتؤكد أن الإيمان بما أنزل من قبل هو تصديق بأصله المنزل فقط، مع حصر التلقي في القرآن المهيمن.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تشرعن الأخذ من الإسرائيليات والكتب المحرفة بدعوى الإيمان بما أنزل من قبل، والقطع بأن القرآن المهيمن هو المصدر الوحيد للحق واليقين.

(البقرة: 5)

[أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الاستعلاء والتمكن بالهداية في حرف الجر (عَلَىٰ) وأثره في ثبات المؤمن (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توظيف حرف الجر (عَلَىٰ) في قوله تعالى (عَلَىٰ هُدًى) يدل على تمكن المتقين من طريق الحق واستعلائهم به وركوبهم له كالمتمكن من مركوبه المستقيم، بحيث يضبط حركتهم في الحياة ويحميهم من التيه والانحراف.
الفهم الخاطئ: توهم أن الهداية مجرد معرفة نظرية هامشية أو حالة عاطفية عابرة لا تمنح صاحبها ثباتاً واقعياً ولا استعلاءً إيمانياً أمام فتن الحياة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (آل عمران: 139)[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ].
قوله تعالى: (الحج: 67)[لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (لقمان: 5)[أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].
ب. قوله تعالى: (الزخرف: 43)[فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: حرف الجر (عَلَىٰ) في أصل الوضع اللغوي يفيد الاستعلاء والتمكن والاستقرار فوق الشيء بحيث يحيط به المستعلي ويسير عليه بثبات.
الدلالة المنطوقية: النطق بـ (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى) يثبت أن المتقين الجامعين للأوصاف السابقة مستقرون فوق منهج الهداية متمكنون منه.

الدلالة المفهومية: يلزم من ثبوت استقرارهم على الهدى انتفاء الضلال والتخبط عن مسيرتهم، وبطلان كل دعوى تزعم أن التقوى تورث الضعف أو الضياع.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاستعلاء أن الهدى كالمركوب الأمين الذي يحمل صاحبه ويوصله إلى بر الأمان دون عناء أو انحراف.

الخلاصة: حرف الاستعلاء (عَلَىٰ) يصور الهداية طريقاً مرتفعاً واضحاً يعتليه المتقون فيبصرون الحقائق بوضوح ويسيرون نحو غايتهم بثقة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه النتيجة عقب تعداد صفات المتقين في الآيتين الثالثة والرابعة يربط السبب بالمسبب، فيجعل التمكن من الهداية ثمرة طبيعية للإيمان والعمل.

الدلالة البلاغية: التصوير الاستعاري الكامن في (عَلَىٰ هُدًى) يحول المعنى المجرد للهداية إلى طريق صلب ملموس يعتليه المؤمن، مما يبعث في النفس الطمأنينة والقوة.

الخلاصة: الأداء التعبيري يمنح المؤمن شعوراً بالعزة واليقين، ويجعله يرى نفسه في موقع الرؤية الواضحة فوق ضباب الشبهات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة آل عمران (وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) تفسر طبيعة الاستعلاء المستفاد من (عَلَىٰ)، وتبين أنه استعلاء بالحق والمنهج.

ثانياً: آية سورة الحج (إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ) ترفع توهم التردد في الطريق، وتؤكد استقامة هذا الهدى وخلوه من العوج.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 161)[قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا] يوضح أن الهداية هي الصراط المستقيم والدين القيم.

ثانياً: قوله تعالى: (الملك: 22)[أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] يقابل بين الضال المتعثر وبين المهتدي المستوي على الطريق.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن التمكن من الهداية يمنح المتقي استقامة السير ووضوح الرؤية والنجاة من التيه.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن حرف الاستعلاء (عَلَىٰ) في قوله تعالى (عَلَىٰ هُدًى) يثبت للمتقين التمكن التام والاستقرار الراسخ فوق منهج الحق، بحيث يوجه حياتهم ويحفظهم من الضلال.

المسألة الثانية: حقيقة تنكير لفظ (هُدًى) للتعظيم والإطلاق وإسناده إلى الربوبية (مِّن رَّبِّهِمْ) (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن تنكير لفظ (هُدًى) يفيد التفخيم والتعظيم والشمول، أي أنهم على هداية عظيمة لا يقدر قدرها ولا يحيط بوصفها بيان، وأن إسنادها إلى الربوبية الخاصة (مِّن رَّبِّهِمْ) يثبت رعاية الله الخاصة للمتقين وتولي تربيتهم وتوفيقهم.

الفهم الخاطئ: توهم أن التنكير يفيد التقليل أو التبعيض، أو الاعتقاد بأن الهداية جهد بشري ذاتي يستقل به الإنسان دون توفيق من ربه وتربيته.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (القصص: 56)[إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ].

قوله تعالى: (فاطر: 2)[مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (العنكبوت: 69)[وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا].

ب. قوله تعالى: (مريم: 76)[وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التنكير في سياق المدح والثناء في اللسان العربي يفيد التعظيم

والكمال، ولفظ الرب يدل على المالك المربي المصلح لشؤون عباده.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) ينسب الهداية في مصدرها ومادتها إلى الله تعالى بصفته ربهم المتولي لشؤونهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون الهداية صادرة من رب العالمين عصمتها من الخطأ والنقص البشري، وبطلان كل منهج وضعي ينسب لنفسه الهداية المطلقة.

الدلالة التضمنية: يتضمن إضافة الرب إلى ضميرهم (رَّبِّهِمْ) تشريف المتقين بعناية إلهية خاصة تزيدهم بصيرة وثباتاً كلما أقبلوا على الطاعة.

الخلاصة: الهداية الحقيقية منحة ربانية عظيمة لا تضاهيها هداية، ينالها المتقون بصدق سعيهم وتوفيق ربهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في الآية الثانية وصف الكتاب بأنه (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)، وفي الآية الخامسة أثبت أن المتقين صاروا (عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ)، مما يظهر ثمرة تفاعلهم مع الكتاب.

الدلالة البلاغية: تنكير (هُدًى) يطلق العنان للعقل ليتأمل في عظمة هذه الهداية التي تشمل الدنيا والآخرة والقلب والسلوك.

الخلاصة: السياق التعبيري يجمع بين كرامة العبد بقبول الحق وبين منة الرب بمنح التوفيق والهداية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة العنكبوت (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) تفسر سنة الله في منح الهداية من عنده لمن أخذ بأسبابها من الإيمان والعمل.

ثانياً: آية سورة القصص (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) ترفع توهم الاستغناء عن توفيق الله، وترد الفضل في الهداية إلى الرب سبحانه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 43)[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ

هَدَانَا اللَّهُ] يقرر اعتراف المؤمنين بأن الهداية محض فضل من ربهم.
ثانياً: قوله تعالى: (الحجرات: 17)[بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ] يثبت أن الهداية أعظم منن الرب على عباده.
الخلاصة: تتلاحم النصوص لتؤكد أن الهداية العظيمة التي ينالها المتقون هي ثمرة جهادهم مع توفيق ربهم وعنايته الخاصة بهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:
الاعتقاد الحق أن المتقين يحظون بهداية عظيمة كاملة مصدرها الله ربهم، تمنحهم البصيرة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو ما يوجب دوام الشكر والافتقار إليه.

المسألة الثالثة: حقيقة الفلاح القرآني وشموله لخيري الدنيا والآخرة (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن الفلاح (الْمُفْلِحُونَ) هو الظفر المطلق بالمطلوب الأعظم والنجاة التامة من المرهوب، وأنه يشمل الفلاح الدنيوي بطمأنينة النفس وصلاح المجتمع، والفلاح الأخروي برضوان الله ودخول الجنة والخلود فيها.
الفهم الخاطئ: حصر الفلاح في الثراء المادي والنفوذ الدنيوي عند الماديين، أو قصره على النجاة الأخروية مع إهمال بناء الحياة الدنيا وإعمارها بالحق عند المتواكلين.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (المؤمنون: 1، 10، 11)[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ].
قوله تعالى: (النحل: 97)[مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأعلى: 14، 15)[قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ].

ب. قوله تعالى: (الشمس: 9، 10)[قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفلاح مأخوذ من الجذر (ف ل ح) ومعناه في أصل اللسان الشق والقطع، ومنه الفلّاح الذي يشق الأرض للزراعة واستخراج الثمار، ثم استعمل للظفر بالخير والبقاء في النعيم.

الدلالة المنطوقية: النطق بالوصف المعرف (الْمُفْلِحُونَ) يثبت للمتقين تحقق الفوز الكامل والظفر بثمار إيمانهم وعملهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من تحقق الفلاح للمتقين أن غيرهم من المعرضين في خسران وخيبة مهما جمعوا من حطام الدنيا.

الدلالة التضمنية: يتضمن لفظ الفلاح معنى الغرس والحصاد؛ فمن زرع الإيمان والصلاة والإنفاق في الدنيا حصد الفلاح والنعيم في الدارين.

الخلاصة: الفلاح هو النجاح الحقيقي الشامل الذي يبدأ بسعادة القلب واستقامة الحياة في الدنيا، ويكتمل بالخلود في الجنة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام وصف المتقين بكلمة (الْمُفْلِحُونَ) يمثل الذروة النهائية للرحلة الإيمانية التي بدأت بتلقي الكتاب المبين.

الدلالة البلاغية: تعريف الخبر بأل (الْمُفْلِحُونَ) مع ضمير الفصل (هُمْ) يحصر حقيقة الفلاح الكامل في هؤلاء المتقين دون سواهم.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يصحح موازين النجاح والفشل في وعي الإنسان، ويربط الفلاح بالتقوى لا بالمال أو الجاه.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المؤمنون (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) تفسر أعلى مراتب الفلاح في الدار الآخرة.

ثانياً: آية سورة النحل (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) ترفع توهم اقتصار الفلاح على الآخرة، وتثبت تحققه في الدنيا بالحياة الطيبة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 21)[إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] يبين أن الظلم نقيض الفلاح، وأن العدل والتقوى هما شرطاه.

ثانياً: قوله تعالى: (القصص: 37)[إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] وقوله (يونس: 17)[إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ] يؤكدان استحالة الفلاح لمن فارق منهج الله.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن الفلاح هو الظفر بسعادة الدارين، وأنه حكر على المتقين المزكين لأنفسهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الفلاح هو الفوز الشامل بالحياة الطيبة في الدنيا وبالخلود في جنات النعيم في الآخرة، وهو النتيجة الحتمية لمن التزم صفات المتقين.

المسألة الرابعة: دلالة تكرار اسم الإشارة للبعيد (أُولَٰئِكَ) وأثره في تعظيم شأن المتقين وحصر النجاة فيهم (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن تكرار اسم الإشارة للبعيد (أُولَٰئِكَ) مرتين في آية واحدة جاء لإبراز سمو مرتبة المتقين وعلو منزلتهم عند الله، ولبيان استقلال كل من الهداية والفلاح ككرامة عظمى قائمة بذاتها، مع حصر هذه المراتب في المتصفين بتلك الأوصاف.

الفهم الخاطئ: الظن بأن تكرار اسم الإشارة مجرد توكيد لفظي عابر لا يضيف معنىً جديداً، أو توهم إمكانية نيل الفلاح دون المرور بطريق الهداية الربانية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 157)[أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ].

قوله تعالى: (الأعراف: 157)[فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 88)[أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

ب. قوله تعالى: (الحشر: 9)[وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اسم الإشارة (أُولَٰئِكَ) موضوع للجمع البعيد، ويستعمل في مقام المدح للدلالة على بعد المنزلة في الفضل والشرف وعلو القدر.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (أُولَٰئِكَ) مرتين في الجملتين المتعاطفتين يوجب استقلال كل جملة بالإخبار عن كرامة مستقلة للمتقين.

الدلالة المفهومية: يلزم من حصر الهداية والفلاح في المشار إليهم بـ (أُولَٰئِكَ) انتفاء الهداية الحقيقية والفلاح الكامل عمن لم يتصف بصفاتهم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب الترتيب المنطقي للجزاء؛ فكونهم على هدى في الدنيا هو السبب المباشر لكونهم المفلحين في الآخرة.

الخلاصة: تكرار اسم الإشارة يرفع قدر المتقين إلى أعلى عليين، ويقطع الطريق على كل من يطمع في الفلاح بغير طريق التقوى.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: بعد أن أشار الله للقرآن بالبعيد في قوله (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) تعظيماً له، أشار لحملة القرآن العاملين به بالبعيد (أُولَٰئِكَ) ليرفع قدرهم إلى أفق الكتاب الذي اتبعوه.

الدلالة البلاغية: التناظر البلاغي بين (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ) في البداية و(أُولَٰئِكَ) في النهاية يربط عظمة المتلقي بعظمة الوحي المتلقى.

الخلاصة: الهندسة البلاغية للآيات الخمس الأولى تخلق وحدة فنية ومعنوية تجعل المتقين في مقام الإشادة الإلهية الدائمة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) تفسر اطراد هذا الأسلوب القرآني في تكرار اسم الإشارة لتفخيم الجزاء.

ثانياً: آية سورة التوبة (أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ترفع توهم الزيادة اللفظية غير المقصودة، وتثبت أن التكرار لتثبيت استحقاق الفلاح.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المجادلة: 22)[أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ... أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] يوضح أن الفلاح مرتبط بالانتماء لمنهج الله.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 74)[أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] يبين كيف يميز القرآن أهل الحق باسم الإشارة للبعيد.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن تكرار (أُولَٰئِكَ) أسلوب قرآني محكم للتنويه بفضل المتقين وحصر الهداية والفلاح فيهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن تكرار اسم الإشارة (أُولَٰئِكَ) يفيد تعظيم منزلة المتقين عند ربهم، ويحصر الهداية الكاملة والفلاح الحقيقي فيمن جمع أوصافهم.

المسألة الخامسة: التلازم السببي بين الهداية الدنيوية والفلاح الأخروي واستحالة الفلاح بغير منهج (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الفلاح ليس هبة عشوائية ولا أمنية مجردة، بل هو نتيجة حتمية خاضعة لسنن الله الثابتة، حيث لا فلاح إلا لمن سار على هدى من ربه، ولا هداية إلا لمن حقق أركان التقوى.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد بالتواكل أو الاعتماد على الشفاعات المتوهمة والأماني الباطلة لنيل الفلاح دون التزام بمنهج الهداية والعمل الصالح.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 123)[لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ].

قوله تعالى: (الليل: 12، 13)[إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (طه: 123)[فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ].

ب. قوله تعالى: (النور: 52)[وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: العطف بالواو في (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يربط بين الوصف الأول (الاستقامة على الهدى) والوصف الثاني (تحقق الفلاح) ارتباط المقدمة بالنتيجة.

الدلالة المنطوقية: تقديم الكون على الهدى قبل الحكم بالفلاح يثبت الترتيب الطبيعي والشرعي للنجاة.

الدلالة المفهومية: يلزم من ربط الفلاح بالكون على الهدى انتفاء الفلاح عمن أعرض عن هدى الله واتبع هواه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التلازم عدالة الله المطلقة في الجزاء، حيث لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا يفلح من أفسد.

الخلاصة: سنة الله الجارية تربط الفلاح باتباع الهدى ربطاً محكماً لا يتخلف ولا يحابي أحداً.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الخامسة تمثل المحصلة النهائية للآيات الأربع الأولى، فتجعل الكتاب (الآية 2) والعمل به (الآيتان 3، 4) هما الطريق الوحيد للفلاح (الآية 5).

الدلالة البلاغية: الجملة الاسمية في الموضعين (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى / وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) تفيد الثبات والدوام، مما يؤكد رسوخ هذه السنة الإلهية.

الخلاصة: البناء التعبيري يغلق باب الأماني الكاذبة، ويفتح باب العمل الصالح المؤدي إلى الفلاح اليقيني.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ) تفسر أن الفلاح لا ينال بالانتساب الاسمي بل باتباع الهدى.

ثانياً: آية سورة طه (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) ترفع توهم شقاء المتقين، وتؤكد أن اتباع الهدى يضمن عدم الضلال في الدنيا وعدم الشقاء في الآخرة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المائدة: 16)[يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ] يبين أن اتباع رضوان الله هو سبيل الهداية والفلاح.

ثانياً: قوله تعالى: (الحج: 77)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] يوضح أن الفلاح مشروط بالعبادة وفعل الخير.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن الهداية والعمل هما السبب الشرعي والعقلي الوحيد لنيل الفلاح.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد القاطع أن الفلاح ثمرة حتمية للثبات على هدى الله والعمل بكتابه، وأنه لا نجاة ولا فوز لمن أعرض عن منهج الوحي مهما تعلّق بالأماني.

المسألة السادسة: حقيقة ضمير الفصل (هُمْ) في قوله تعالى (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ودلالته على قصر الفلاح الحقيقي (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توسيط ضمير الفصل (هُمْ) بين المبتدأ (أُولَٰئِكَ) والخبر المعرف (الْمُفْلِحُونَ) يفيد القصر الإضافي والحقيقي معاً، أي أن الفلاح الكامل الحقيقي مقصور على هؤلاء المتقين دون أعدائهم من الكافرين والمنافقين.

الفهم الخاطئ: توهم أن ضمير الفصل مجرد حرف زائد للربط النحوي لا أثر له في قصر الحكم وتخصيص الفلاح بأهل التقوى.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 13)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ].

قوله تعالى: (المجادلة: 19)[أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 4)[أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا].

ب. قوله تعالى: (النور: 51)[وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: ضمير الفصل في أصل الوضع النحوي والبلاغي هو ضمير يقع بين المعرفتين لتمييز الخبر عن التابع، وإفادة التوكيد والقصر.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يثبت الفلاح الكامل للمتقين بأقوى صيغ التخصيص والحصر.

الدلالة المفهومية: يلزم من قصر الفلاح على المتقين نفي الفلاح الحقيقي عن كل من خالف منهجهم من المكذبين والمنافقين، وإن ظهر لهم نجاح دنيوي زائل.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحصر الرد المسبق على زعم المنافقين في الآيات اللاحقة حين يقولون (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ).

الخلاصة: ضمير الفصل (هُمْ) يقطع بأن الفلاح الحقيقي منحصر في المتقين، وأن ما سواه هو الخسران المبين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذا القصر في ختام حديث القرآن عن الصنف الأول من الناس (المتقين) وقبل الانتقال للحديث عن الكافرين والمنافقين يضع حداً فاصلاً بين مصير الفريقين.

الدلالة البلاغية: الجرس الصوتي للضمير (هُمْ) مع تعريف الخبر (الْمُفْلِحُونَ) يقرع السمع بحقيقة نهائية لا تقبل الجدل.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحسم قضية المصير الإنساني ويحدد معيار الفوز والنجاة بدقة متناهية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المجادلة (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) تفسر المقابل الموضوعي لقصر الفلاح في المتقين، وهو قصر الخسران في حزب الشيطان.

ثانياً: آية سورة البقرة (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) ترفع توهم فلاح المنافقين بمكرهم، وتثبت أن الفلاح محصور في المؤمنين الصادقين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الزمر: 15)[قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] يبين حقيقة الخسران المقابل للفلاح.

ثانياً: قوله تعالى: (الحشر: 20)[لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ] يكرر نفس صيغة الحصر بضمير الفصل لإثبات الفوز لأهل

الطاعة.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن ضمير الفصل يفيد الحصر القطعي للفلاح في المتقين ونفيه عن غيرهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن ضمير الفصل (هُمْ) في قوله تعالى (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يفيد قصر الفلاح الحقيقي الكامل على المتقين وحدهم، ويسلب صفة الفلاح عن كل معرض عن كتاب الله.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية الخامسة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الخامسة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بمد المنفصل في (أُولَٰئِكَ) و(عَلَىٰ هُدًى) وإدغام التنوين في الميم في (هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) وإدغام النون في الراء كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في صيغ الكلمات أو تزيد وتنقص في الحروف أو تدخل وجوهاً صوتية متكلفة تخالف المصحف المتواتر بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر العياني القطعي هو النقل المستفيض الذي يضبط لفظ القرآن وحروفه ورسمه بحيث يستحيل تغييره أو تعدد صوره.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) بضم ميم الجمع في (هُمُ) لالتقاء الساكنين وكسر ميم (مِّن) لالتقاء الساكنين وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تخالف هذا الضبط أو تغير في حروف الكلمات وحركاتها.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التواتر وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في أقطار الأرض دون تفرق أو تنازع.

الخلاصة: القراءة الوحيدة الصحيحة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التماثل الصوتي بين شطري الآية (أُولَٰئِكَ... وَأُولَٰئِكَ) يخلق جرساً موسيقياً متوازناً يختم مقطع المتقين بأجمل إيقاع.

الدلالة البلاغية: وضوح النطق وسلامة المخارج يمنحان الآية جلالاً وهيبة تليق ببشارة الله لعباده المتقين.

الخلاصة: الوحدة القرائية تصون كتاب الله من التعددية والاضطراب وتحفظ للأمة مرجعيتها الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في التدرج التربوي من البيان إلى التطبيق ثم الجزاء (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة ترسم القانون التربوي والإصلاحي الكامل في الإسلام، والذي يبدأ بتقديم الدليل والمنهج الواضح (الكتاب)، ثم يحدد السلوك العملي المطلوب (الإيمان والصلاة والإنفاق)، ثم يختم بالنتيجة والجزاء المحفز (الهداية والفلاح).

الفهم الخاطئ: الفصل بين مراحل البناء التربوي، كالتركيز على الجزاء والترغيب دون بناء السلوك العملي، أو فرض التكاليف دون تأسيس القناعة العقلية بالمنهج.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (العصر: 1، 2، 3)[وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ].

قوله تعالى: (الكهف: 107)[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (طه: 2، 3)[مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ].

ب. قوله تعالى: (البقرة: 201)[رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الترتيب في الخطاب هو وضع كل جزء في موضعه اللائق به عقلاً ومنطقاً لتحقيق الغاية المقصودة من البيان.

الدلالة المنطوقية: الانتقال المتدرج من وصف الكتاب بالهداية إلى ذكر صفات المهتدين ثم إعلان فلاحهم يضع خارطة طريق واضحة لكل سالك.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الترتيب المحكم أن تحقيق الفلاح يتطلب المرور بمرحلة التلقي الصحيح للكتاب ومرحلة التطبيق العملي لأركانه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المنهج التربوي مراعاة الفطرة الإنسانية التي تحتاج إلى الإقناع العقلي، ثم التكليف العملي، ثم الحافز المستقبلي.

الخلاصة: الآيات الخمس الأولى تشكل دستوراً تربوياً متكاملاً ينقل الإنسان من الظلمات إلى النور بخطوات واضحة مترابطة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام هذا المقطع التأسيسي ببشارة الفلاح يعطي دفعة روحية هائلة للقارئ قبل أن يواجه مشاهد الكفر والنفاق في الآيات التالية.

الدلالة البلاغية: التوازن بين الإيجاز في تحديد المنهج، والتفصيل في ذكر الأعمال، والتوكيد في إعلان الجزاء يحدث تكاملاً بيانياً يأسر العقل والقلب.

الخلاصة: الهندسة البنائية لمطلع سورة البقرة تمثل قمة الإعجاز التربوي والنفسي في توجيه السلوك البشري.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: سورة العصر تفسر نفس المعادلة التربوية، حيث تربط النجاة من الخسران بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق.

ثانياً: آية سورة طه (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) ترفع توهم المشقة في التكاليف، وتبين أن غاية الوحي هي إسعاد الإنسان وتحقيق فلاحه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يونس: 58)[قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ] يبين أثر الفلاح بالقرآن في إشاعة الفرح الحقيقي في نفس المؤمن.

ثانياً: قوله تعالى: (الحديد: 12)[يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ] يصور المشهد النهائي للفلاح الموعود في الآية الخامسة.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن المنهج القرآني يبني الإنسان بناءً متوازناً يجمع بين العلم والعمل والجزاء الحسن.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الآية الخامسة تتوج المنهج التربوي لمطلع سورة البقرة، مؤكدة أن التلقي الصادق للقرآن والعمل بأركانه يثمر حتماً الهداية في الدنيا والفلاح في الآخرة.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر الفلاح في الآية الخامسة على طائفة مخصوصة أو الصحابة وحدهم دون سائر المتقين (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تزعم أن الإشارة في قوله تعالى (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) خاصة بطائفة تاريخية معينة أو بمن

آمن من أهل الكتاب وحدهم دون سائر المؤمنين في كل عصر، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وعموم وعده بالهداية والفلاح لكل متقٍ إلى يوم القيامة.

الفهم الخاطئ: تصديق روايات التخصيص التاريخي الضيقة التي تجعل بشارات القرآن حكراً على جيل أو فئة محددة، مما يحرم بقية الأمة من عموم الوعد الإلهي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 110)[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ].

قوله تعالى: (التوبة: 100)[وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 74)[وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا].

ب. قوله تعالى: (الجمعة: 3)[وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اسم الإشارة (أُولَٰئِكَ) يعود على الموصوفين بالأسماء الموصولة العامة في الآيتين السابقتين، والعائد على العام عام مثله في استغراق جميع الأفراد.

الدلالة المنطوقية: النطق بالحكم العام (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يشمل كل من حقق الإيمان والصلاة والإنفاق في أي زمان ومكان.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم اللفظ بطلان كل رواية تقصر البشارة على أشخاص بأعيانهم؛ إذ العبرة بعموم اللفظ واكتمال الوصف لا بخصوص السبب أو الزمان.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا العموم تحقيق العدالة الإلهية المطلقة، حيث يتساوى البشر في نيل الفلاح متى تساووا في تحقيق التقوى.

الخلاصة: الروايات التي تحصر الفلاح في فئة تاريخية ضيقة باطلة لتصادمها مع عموم الخطاب القرآني وعدالة الجزاء الإلهي.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السورة تضع في مطلعها القوانين الكلية للبشرية (المتقون، الكافرون، المنافقون)، وهي قوانين سارية في كل جيل وليست حكراً على زمن النزول.

الدلالة البلاغية: الإطلاق في الوصف والجزاء يحفز كل قارئ للقرآن في كل عصر ليكون من المشمولين بهذا الثناء الإلهي.

الخلاصة: السياق القرآني يفتح باب الهداية والفلاح لكل من اتصف بالتقوى، ويرفض احتكار الفضل لفئة دون دليل نصي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) تفسر امتداد الوعد الإلهي بالرضوان والفلاح لكل من سار على منهج الإيمان بإحسان.

ثانياً: آية سورة الجمعة (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) ترفع توهم انقطاع الفضل بانتهاء جيل النزول، وتؤكد شمول الرسالة للأجيال اللاحقة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الحديد: 10)[وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ] يثبت شمول وعد الله بالجنة والفلاح لجميع المؤمنين العاملين.

ثانياً: قوله تعالى: (الحجرات: 13)[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] يقرر أن المعيار الوحيد للرفعة والفلاح هو التقوى لا الزمان ولا النسب.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على بطلان الروايات التي تخصص الآية بفئة دون أخرى، وتؤكد عموم الفلاح لكل متقٍ.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر الهداية والفلاح في الآية الخامسة على طائفة معينة، والقطع بأن البشارة عامة لكل من اتصف بالتقوى في كل زمان ومكان.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في دخول غير المتقين الجنة والفلاح بمجرد الانتساب الاسمي أو الشفاعة دون عمل (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تفتح باب الفلاح والنجاة من النار لمن مات مصراً على الكبائر تاركاً للصلاة والإنفاق والتقوى بمجرد النطق باللسان أو الاعتماد على شفاعات متوهمة، لمصادمة ذلك الصريحة لحصر الفلاح في المتقين العاملين في قوله تعالى (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

الفهم الخاطئ: الاتكال على روايات الإرجاء والشفاعة المطلقة التي تهون من شأن الفرائض وتعد بالفلاح لمن لم يحقق شروط التقوى والهداية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 48)[وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ].

قوله تعالى: (المدثر: 48)[فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنبياء: 28)[وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ].

ب. قوله تعالى: (الزمر: 61)[وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الحصر البلاغي في (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يثبت الفلاح للمتقين

وينفيه عن أضدادهم نفياً قاطعاً.

الدلالة المنطوقية: القرآن جعل الفلاح نتيجة حتمية لمن جمع بين الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق واليقين بالآخرة، ولم يجعله لمن ترك هذه الأركان.

الدلالة المفهومية: يلزم من قصر الفلاح على المتقين بطلان الروايات التي تعد بالفلاح والجنة لمن لم يقم الصلاة ولم يتق الله بدعوى الشفاعة أو الإرجاء.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم صيانة الشريعة من العبث والاستهتار بالتكاليف الإلهية، وترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية الكاملة يوم الحساب.

الخلاصة: الروايات التي تعد بالفلاح لمن ترك التقوى والعمل الصالح باطلة متناً ومعنى؛ لأنها تهدم أركان الدين وتناقض حصر الفلاح في المتقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الخامسة تربط الفلاح مباشرة بالصفات المذكورة في الآيتين الثالثة والرابعة، فلو كان الفلاح ينال بدونها لكان ذكرها في مقدمة السورة لغواً لا فائدة منه.

الدلالة البلاغية: الجزم والحصر في ختام الآية يغلقان كل منافذ التواكل والاتكال على الأماني والروايات المخالفة لعدل الله.

الخلاصة: السياق القرآني يحمي العقيدة من التمييع الإرجائي، ويجعل التقوى والعمل هما السبيل الأوحد للفلاح.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) تسحق دلالة الروايات التي تجعل الشفاعة وسيلة لإدخال الفاسقين والمفرطين في الفرائض إلى الجنة.

ثانياً: آية سورة الزمر (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ) ترفع توهم نجاة غير المتقين، وتؤكد أن الفوز والنجاة مقصوران على أهل التقوى.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 70)[أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ

وَلَا شَفِيعٌ] يثبت أن كل نفس مرتهنة بعملها وكسبها.

ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 18)[وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ] يقرر عدالة الجزاء واستحالة تحمل أحد لأوزار المقصرين.

الخلاصة: تتطابق آيات القرآن على إبطال روايات الإرجاء والشفاعة المزعومة للعصاة، وتؤكد أن الفلاح مقصور على المتقين العاملين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تعد بالفلاح والجنة لغير المتقين عبر الأماني والشفاعات المتوهمة، والقطع بأن الفلاح محصور فيمن آمن وعمل صالحاً واتقى ربه.

(البقرة: 6)

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الكفر الاستكباري وعلاقته بعدم الانتفاع بالإنذار الإلهي (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن المراد بـ (الَّذِينَ كَفَرُوا) في هذه الآية هم المصممون على الجحود والعناد الذين أغلقوا قلوبهم وعقولهم باختيارهم عن قبول الحق، فاستوى عندهم وجود الإنذار وعدمه لفساد محل التلقي في نفوسهم، لا لقصور في البيان القرآني.

الفهم الخاطئ: ادعاء الجبرية أن عدم إيمان الكافرين قضاء إلهي قهري سلبهم القدرة على الاختيار، أو توهم أن عموم الكفار يستحيل إيمانهم ولو أقبلوا على التدبر.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الكهف: 29)[وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ].

قوله تعالى: (الإنسان: 3)[إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (يس: 10)[وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ].

ب. قوله تعالى: (يونس: 96، 97)[إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكفر في أصل الوضع اللغوي هو التغطية والستر، وسمي الجاحد كافراً لأنه يغطي نور الفطرة والدليل بستار العناد والكبر.

الدلالة المنطوقية: الإخبار بصيغة الماضي (كَفَرُوا) مع التوكيد بـ (إِنَّ) يصف حالة الاستقرار والرسوخ في الجحود التي بلغوها بإرادتهم قبل الإخبار عن عدم إيمانهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون الاستواء واقعاً (عَلَيْهِمْ) أي في تصوراتهم ومواقفهم أن المانع من الإيمان قائم في أنفسهم لا في النذير ولا في الوحي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الخبر تسلية النبي وتخفيف حزنه على إعراض المعاندين، وإبراء ساحة التبليغ من أي تقصير.

الخلاصة: عدم إيمان المعاندين نتيجة طبيعية لإصرارهم الاختياري على ستر الحق، وليس جبراً إلهياً ينافي التكليف والعدل.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الآية مقابلةً مباشرة لأوصاف المتقين المهتدين في الآيات الخمس الأولى، لترسم الصورة النقيضة للقلب المغلق أمام نور الكتاب.

الدلالة البلاغية: التصوير الذهني للتساوي المطلق بين طرفي النقيض (الإنذار وعدمه) يبرز مدى الجمود العقلي والوجداني الذي يوصله الكبر بصاحبه.

الخلاصة: البناء التعبيري يفضح جمود الكفر وعقمه، ويؤكد أن الإنسان هو المسؤول الأول عن تفعيل عقله أو تعطيله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الكهف (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) تقيد المتشابه في عدم

إيمانهم بكونه ثمرة لمشيئتهم الفاسدة واختيارهم الحر.

ثانياً: آية سورة يس (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ) ترفع توهم عبثية الإنذار، وتوضح أن الإنذار ينفع أصحاب القلوب الحية ويميزهم عن المعاندين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النمل: 14)[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا] يفسر السبب النفسي لاستواء الإنذار وعدمه وهو الظلم والعلو.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 25)[وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا] يبين أن المعاند لا يرفض الدليل لغموضه بل استكباراً عن الانقياد.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرر حرية الإرادة الإنسانية وعدالة الحساب، وأن الجحود المستمر يطمس بصيرة صاحبه حتى لا ينتفع بالنذر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الآية تصف حال المصممين على الكفر عناداً واستكباراً، مبينة أن إغلاقهم لقلوبهم باختيارهم هو الذي جعل الإنذار وعدمه سواءً لديهم، دون أدنى جبر إلهي.

المسألة الثانية: حقيقة الاستواء بين الإنذار وعدمه ووجوب استمرار الدعوة والتبليغ (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن إخبار الله بأن الإنذار وعدمه سواء على الكافرين المعاندين هو إخبار عن عاقبة حالهم، ولا يعني سقوط فريضة البلاغ والإنذار عن الرسل والدعاة؛ لأن وظيفة المبلّغ هي إقامة الحجة وإعذار النفس أمام الله.

الفهم الخاطئ: توهم جواز ترك الدعوة إلى الله والسكوت عن إنذار المنحرفين بدعوى أن الله أخبر بأنهم لا يؤمنون، أو ادعاء القدرة على معرفة الخواتيم الغيبية للناس.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المائدة: 99)[مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

تَكْتُمُونَ].

قوله تعالى: (النحل: 125)[ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأعراف: 164)[وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ].

ب. قوله تعالى: (الغاشية: 21، 22)[فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإنذار في أصل الوضع اللغوي هو الإعلام المقترن بالتخويف من عاقبة الشر لإيقاظ الغافل وتحذير المتهاون.

الدلالة المنطوقية: الآية صيغت بصيغة الجملة الخبرية (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) لا بصيغة النهي عن الإنذار، مما يبقي التكليف بالتبليغ قائماً ومستمراً.

الدلالة المفهومية: يلزم من اختصاص الله وحده بعلم من يموت على الكفر أن البشر مأمورون بإنذار الجميع دون استثناء أو يأس.

الدلالة التضمنية: يتضمن استمرار الإنذار إقامة الحجة القاطعة على المعاندين يوم القيامة حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

الخلاصة: إخبار الله بعدم إيمان المعاندين لا يسقط وجوب البلاغ والإنذار، بل يوجب على الدعاة الاستمرار لإقامة الحجة وإبراء الذمة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ورود الفعل (أَأَنذَرْتَهُمْ) مسنداً إلى النبي يدل على قيام النبي بواجب الإنذار فعلاً رغم معاندتهم.

الدلالة البلاغية: المعادلة اللفظية (أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) ترفع الحرج النفسي عن الداعي حين لا يرى استجابة فورية، وتثبته على طريق التبليغ.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحمي الدعاة من الإحباط واليأس، ويفصل بين واجب البلاغ وبين نتيجة الهداية التي يملكها الله وحده.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) تفسر الحكمة التشريعية من استمرار وعظ وإنذار من يظهر عليهم العناد.

ثانياً: آية سورة المائدة (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) ترفع توهم مسؤولية المبلغ عن هداية القلوب، وتحصر تكليفه في وضوح البيان.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 165)[رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] يوضح أن الإنذار شرط لقيام الحجة الإلهية.

ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 23)[إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ] يثبت أن صفة الإنذار ملازمة للرسالة لا تنفك عنها بحال.

الخلاصة: تتضافر النصوص على أن الإنذار والتبليغ فريضة دائمة لا تسقط بإعراض المعاندين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع أن الآية تصف عناد الكافرين ولا تمنع من إنذارهم، بل يظل التبليغ والإنذار واجباً شرعياً قائماً لإعذار النفس أمام الله وإقامة الحجة على الخلق.

المسألة الثالثة: دلالة همزة التسوية وأم المتصلة في قوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توظيف همزة التسوية الداخلة على الفعل الماضي (أَأَنذَرْتَهُمْ) مع حرف العطف (أَمْ) المتصلة يفيد المساواة المطلقة في انعدام الأثر النفسي والعقلي للإنذار لدى المعاندين، بحيث يستوي الفعل وتركه في ميزان استجابتهم.

الفهم الخاطئ: توهم أن الهمزة في (أَأَنذَرْتَهُمْ) للاستفهام الحقيقي الذي يطلب جواباً، أو الظن بأن الإنذار يزيدهم هداية نسبية وإن لم يؤمنوا.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المنافقون: 6)[سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ].

قوله تعالى: (التوبة: 80)[اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الشعراء: 136)[قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ].

ب. قوله تعالى: (إبراهيم: 21)[سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: لفظ (سَوَاءٌ) في أصل الوضع اللغوي مصدر بمعنى الاستواء والعدل والتماثل التام الذي لا رجحان فيه لأحد الطرفين على الآخر.

الدلالة المنطوقية: دخول همزة التسوية بعد لفظ (سَوَاءٌ) وعطف النفي (لَمْ تُنذِرْهُمْ) بـ (أَمْ) يحول الجملتين الفعليتين إلى مصدرين متعادلين في الحكم.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التعادل التام في جانب الكافرين انتفاء أي تفاوت في استجابتهم سواء كثر الإنذار أم قل.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب النحوي الدقيق كشف الحقيقة النفسية للكافر المستكبر الذي أغلق منافذ الإدراك بإحكام.

الخلاصة: التركيب النحوي بهمزة التسوية وأم المتصلة يقرر حقيقة التساوي المطلق في انعدام الانتفاع بالإنذار لدى الجاحدين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذا التركيب الخبري الحاسم بعد وصف فلاح المتقين يكشف

التباين الجذري بين قلب المتقي الحي وقلب الكافر الميت.

الدلالة البلاغية: الجرس الصوتي للهمزتين المتتابعتين في (أَأَنذَرْتَهُمْ) يقرع السمع بقوة لينبه المتلقي إلى خطورة الوصول إلى هذه المرحلة من التبلد الروحي.

الخلاصة: الأداء البلاغي ينفر الفطرة السليمة من العناد، ويحذر الإنسان من أن يصل إلى حالة يستوي فيها الوعظ وعدمه.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الشعراء (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ) تفسر أن هذا الاستواء نابع من إصرار المعاندين وتصريحهم برفض الحق.

ثانياً: آية سورة المنافقون (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ترفع توهم الاستفهام، وتؤكد أن هذا القالب القرآني يفيد القطع بانتفاء الأثر.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 193)[وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ] يوضح اطراد أسلوب التسوية في بيان عقم دعوة المعاندين.

ثانياً: قوله تعالى: (الطور: 16)[اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ] يبين أن التسوية في القرآن تأتي لحسم الموقف وإغلاق باب التوهم.

الخلاصة: تتطابق شواهد اللسان القرآني على أن همزة التسوية مع (أَمْ) تقطع باستواء طرفي النقيض في انعدام الجدوى بالنسبة للمعاند.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن همزة التسوية مع (أَمْ) في قوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) تقرر الاستواء المطلق في انعدام استجابة الكافرين للإنذار، وتحذر من خطورة التمادي في الجحود.

المسألة الرابعة: دلالة التعبير بالماضي في (كَفَرُوا) والمضارع المنفي في (لَا يُؤْمِنُونَ) على الاستمرار والرسوخ في الضلال (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن الجمع بين الفعل الماضي (كَفَرُوا) الدال على تحقق الكفر واستقراره، وبين المضارع المنفي (لَا يُؤْمِنُونَ) الدال على استمرار نفي الإيمان في الحال والاستقبال، يكشف أن هؤلاء قد رسخ كفرهم وتحول إلى طبع دائم يصدهم عن الإيمان مستقبلاً.

الفهم الخاطئ: الظن بأن الكفر مجرد زلة عارضة تزول بأدنى تنبيه، أو القول بأن كل من وقع في الكفر يوماً لا يمكن أن يتوب ويؤمن مطلقاً.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 137)[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ].

قوله تعالى: (التوبة: 74)[فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (آل عمران: 90)[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ].

ب. قوله تعالى: (الأنفال: 38)[قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفعل الماضي (كَفَرُوا) يفيد ثبوت الحدث وتحقق صفته في الزمن الماضي، ونفي المضارع بـ (لَا) يفيد نفي وقوع الحدث في الحال والاستقبال.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... لَا يُؤْمِنُونَ) يربط بين رسوخ الكفر الماضي وبين استمرار الامتناع عن الإيمان مستقبلاً.

الدلالة المفهومية: يلزم من تقييد الحكم بالذين استقر كفرهم وازدادوا عتواً أن من انتهى عن كفره وتاب فإن الله يقبل توبته ويغفر له.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التحول الصرفي التحذير من خطورة الإصرار على الباطل، لأن تكرار الجحود يحول المعصية إلى طبيعة راسخة تمنع التوبة.

الخلاصة: الآية تصف الكفار الذين استقر كفرهم وتصلبت قلوبهم، فاستمر امتناعهم عن الإيمان نتيجة إصرارهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في وصف المتقين استعمل القرآن المضارع الدال على التجدد (يُؤْمِنُونَ)، وفي وصف الكافرين استعمل الماضي (كَفَرُوا) الدال على التحجر والجمود، ثم نفى عنهم المضارع (لَا يُؤْمِنُونَ) لبيان حرمانهم من حيوية الإيمان.

الدلالة البلاغية: المقابلة الزمنية بين الماضي الثابت والمضارع المنفي ترسم صورة نفسية دقيقة لانغلاق الأفق أمام الكافر المعاند.

الخلاصة: الهندسة الصرفية للآية تبرز الفارق بين حيوية الإيمان المتجدد وبين جمود الكفر المتحجر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنفال (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم) تفسر أن باب التوبة مفتوح لمن ينتهي عن كفره، وتقيد آية البقرة بالمصرين الذين لا ينتهون.

ثانياً: آية سورة النساء (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) ترفع توهم التناقض، وتبين أن الحرمان من الإيمان يقع لمن ازداد كفراً وأغلق باب الرجوع.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الصف: 5)[فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ] يوضح أن الزيغ البشري السابق هو علة الحرمان اللاحق.

ثانياً: قوله تعالى: (المطففين: 14)[كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ] يبين كيف يغطي الكسب السيء المستمر على القلب فيمنعه من الإيمان.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن استمرار عدم الإيمان في الآية السادسة هو عاقبة طبيعية لرسوخ الكفر وازدياده في قلوب المعاندين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الجمع بين الماضي (كَفَرُوا) والمضارع المنفي (لَا يُؤْمِنُونَ) يبين خطورة رسوخ الكفر في النفس، بحيث يتحول الجحود السابق إلى حاجز دائم يمنع صاحبه من الإيمان مستقبلاً.

المسألة الخامسة: التقسيم الثلاثي للبشرية في مطلع سورة البقرة وحكمة إيجاز حديث الكافرين وإطالة حديث المنافقين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: إثبات أن سورة البقرة قسمت البشرية في مواجهة الوحي إلى ثلاثة أصناف واقعية (متقون، وكافرون، ومنافقون)، وأن إيجاز حديث الكافرين في آيتين وإطالة حديث المنافقين في ثلاث عشرة آية يرجع إلى أن الكفر الصريح مكشوف الخطر قليل الالتباس، بينما النفاق خفي الداء عظيم الفتنة داخل المجتمع المؤمن.

الفهم الخاطئ: ظن بعض المتأخرين أن قلة الآيات في وصف الكافرين تهون من خطر الكفر، أو إغفال خطورة النفاق باعتباره ظاهرة تاريخية انتهت بموت أصحابها.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المنافقون: 4)[هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 145)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 7)[خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ].

ب. قوله تعالى: (البقرة: 8)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التصنيف في الخطاب الحكيم هو رد الكثرة البشرية إلى أصولها العقدية والسلوكية لتسهيل الفهم وضبط التعامل.

الدلالة المنطوقية: الانتقال المباشر من صفات المتقين (الآيات 2-5) إلى صفات الكافرين (الآيتان 6-7) ثم المنافقين (الآيات 8-20) يحصر مواقف الناس من القرآن في هذه الأقسام الثلاثة.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الحصر الثلاثي الواقعي أن كل إنسان في كل عصر يندرج تحت أحد هذه الأصناف الثلاثة بحسب موقفه من الكتاب.

الدلالة التضمنية: يتضمن التفاوت في طول المقطع القرآني لكل صنف تنبيه الأمة إلى ضرورة اليقظة الفائقة تجاه الخطر الداخلي للنفاق.

الخلاصة: التقسيم الثلاثي قانون اجتماعي وعقدي دائم، وإيجاز حديث الكافرين سببه وضوح أمرهم وجمود موقفهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: وضع الكافرين الصرحاء في الوسط بين المتقين المخلصين وبين المنافقين المتلونين يبرز وضوح الطرفين الأول والثاني في مقابل التباس الطرف الثالث.

الدلالة البلاغية: الإيجاز البليغ في آيتي الكافرين يعكس بساطة معادلتهم النفسية (رفض مطلق وجحود مكشوف)، فلا يحتاجون إلى تطويل في كشف مكرهم.

الخلاصة: الهندسة البنائية لمطلع السورة تكشف عن بصر نفسي واجتماعي عميق بطبائع البشر في تلقي الرسالات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المنافقون (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) تفسر الحكمة من إطالة القرآن في كشف صفات المنافقين وتفصيل حيلهم بعد الإيجاز في شأن الكافرين.

ثانياً: آية الدرك الأسفل من النار (النساء: 145) ترفع توهم خفة جرم النفاق مقارنة بالكفر الصريح.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التغابن: 2)[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ] يقرر الانقسام الأساسي للبشرية إلى كفر وإيمان.

ثانياً: قوله تعالى: (الحديد: 13، 14)[يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ...] يوضح مآل المنافقين الذين اندسوا في صفوف المؤمنين.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن مطلع سورة البقرة يرسم الخارطة النفسية والاجتماعية للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الآية السادسة تفتتح القسم الثاني من أقسام البشرية في مطلع سورة البقرة، وقد أوجز القرآن حديث الكافرين الصرحاء لوضوح عنادهم، ليفرغ بعد ذلك لكشف خطورة النفاق المستتر.

المسألة السادسة: حقيقة العدالة الإلهية في إرسال النذر وقيام الحجة على الكافرين قبل العقاب (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الله تعالى لا يعذب أحداً ولا يحكم بكفره وعناده إلا بعد إرسال الرسل وإنذاره بالبيان الواضح، وأن استواء الإنذار وعدمه على الكافرين إنما وقع بعد بلوغ النذارة إليهم ورفضهم لها عن علم وقصد.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن الله يحاسب الناس على الجهل أو يعذبهم قبل قيام الحجة عليهم بالإنذار المبين.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الإسراء: 15)[وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا].

قوله تعالى: (الملك: 8، 9)[كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القصص: 59)[وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا].

ب. قوله تعالى: (طه: 134)[وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الحجة في أصل الوضع هو البرهان القاطع الذي يزيل العذر ويلزم المخاطب، والإنذار هو أداة إقامة هذه الحجة.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) يفترض سبق الإنذار ووجود النذير القائم بالتبليغ بينهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من تقديم الإنذار وبيان الحق أن الكافرين لم يبق لهم عذر يحتجون به أمام الله يوم الحساب.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المعنى كمال عدل الله ورحمته بعباده، حيث أعذر إليهم وأنذرهم قبل المؤاخذة.

الخلاصة: عدل الله يقتضي إقامة الحجة بالإنذار، واستواء الإنذار وعدمه يثبت أن العلة في عناد الكافر لا في تقصير البيان.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية بعد بيان وضوح الكتاب وانتفاء الريب عنه (لَا رَيْبَ فِيهِ) يثبت أن الحجة قائمة بأبين صورة.

الدلالة البلاغية: الإسناد المباشر للنبي (أَأَنذَرْتَهُمْ) يشهد للنبي بأداء الأمانة وإبلاغ النذارة على أكمل وجه.

الخلاصة: التعبير القرآني يبرئ ساحة الوحي والرسول، ويلقي تبعة الكفر كاملة على عاتق المعاندين.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الإسراء (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) تفسر القاعدة الإلهية الثابتة في العدل قبل العقاب.

ثانياً: آية سورة الملك (قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا) ترفع توهم ظلم الكافرين، وتثبت اعترافهم بوصول النذارة وتكذيبهم لها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 131)[ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ] ينفي الظلم عن الله ويؤكد التنبيه قبل العقاب.

ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 37)[أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ] يجمع بين منحة العمر والعقل وبين مجيء النذير لقطع كل عذر.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن الله أقام الحجة بالقرآن والنذير، وأن إصرار الكافرين على الجحود يسقط عنهم كل عذر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن عدالة الله المطلقة اقتضت إرسال النذر لإقامة الحجة، وأن استواء الإنذار وعدمه لدى الكافرين يثبت قيام الحجة عليهم واستحقاقهم للجزاء العادل.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية السادسة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية السادسة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بتحقيق الهمزتين في (أَأَنذَرْتَهُمْ) وإخفاء النون الساكنة في الذال وضبط الحركات والمدود كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بإبدال أو تسهيل أو إدخال ألف بين الهمزتين.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في نطق الهمزتين في (أَأَنذَرْتَهُمْ) بالإبدال أو التسهيل أو الفصل بألف زائدة بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وصوته المجمع عليه بين الأمة جيلاً بعد جيل دون تباين.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو تحقيق الهمزتين في (أَأَنذَرْتَهُمْ) وإسكان ميم الجمع في (عَلَيْهِمْ) و(أَأَنذَرْتَهُمْ) و(تُنذِرْهُمْ) وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تغير في تحقيق الهمزتين أو تضم ميم الجمع أو تزيد حروفاً غير مرسومة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التواتر وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في كل الأقطار، وصيانة النص من اللهجات الشاذة.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الجرس القوي لتحقيق الهمزتين المتجاورتين في (أَأَنذَرْتَهُمْ) يتناغم مع قوة الإنذار وقرعه للأسماع، وهو ما يضعف عند التسهيل أو الإبدال.

الدلالة البلاغية: الثبات اللفظي والصوتي للنص يضفي عليه مهابة وجلالاً يليق بكلام الله المحفوظ من التغيير.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحمي كتاب الله من التعددية والاختلاف المنهي عنه وتحفظ للأمة مرجعيتها الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في تشخيص الأمراض النفسية والعقلية المانعة من قبول الحق (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية السادسة تكشف قانوناً نفسياً وعقلياً ثابتاً، وهو أن الكبر والتعصب والأهواء المسبقة تعطل أدوات الإدراك عند الإنسان وتجعله أعمى عن رؤية الأدلة الواضحة مهما بلغت قوتها.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد بأن إنكار الحقائق الدينية والعقلية يرجع دائماً إلى نقص الأدلة أو غموضها، مع إغفال دور العوائق النفسية والأخلاقية في صد العقل عن الإذعان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأعراف: 146)[سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا].

قوله تعالى: (الجاثية: 23)[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 111)[وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ].

ب. قوله تعالى: (الزخرف: 78)[لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكفر والإنذار والإيمان عمليات عقلية ووجدانية ترتبط بسلامة الفطرة وصفاء القصد من العوائق النفسية.

الدلالة المنطوقية: إثبات عدم الإيمان مع وجود الإنذار يقطع بأن المشكلة تكمن في نفس الكافر التي رفضت الانقياد لا في قصور الحجة.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التشخيص القرآني أن إصلاح القلب وتنقيته من الكبر والهوى شرط أساسي لسلامة التفكير والوصول إلى الحق.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان كشف زيف مطالبات المعاندين بالمعجزات الحسية؛ لأن من رفض الدليل العقلي والبياني لن يؤمن بالمعجزة الحسية.

الخلاصة: العائق الحقيقي أمام الإيمان هو الكبر والهوى، فإذا استحكما في النفس استوى عندها وجود الدليل وعدمه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية بعد وصف الكتاب بأنه (لَا رَيْبَ فِيهِ) يثبت أن الوضوح التام في النص يقابله انغلاق تام في نفس الجاحد.

الدلالة البلاغية: الإطلاق في (لَا يُؤْمِنُونَ) يصور حالة الشلل الفكري التام الذي يصيب المتكبر حين يصر على باطله.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يربط بين الأخلاق والمعرفة، ويثبت أن الاستقامة الأخلاقية هي بوابة الإدراك الصحيح.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) تفسر الآلية النفسية والسننية التي تجعل المعاند لا يؤمن ولو رأى كل آية.

ثانياً: آية سورة الزخرف (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) ترفع توهم الجهل، وتؤكد أن كراهية الحق وتكاليفه هي سبب الإنكار.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (فصلت: 5)[وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ] ينقل اعتراف المعاندين بإغلاقهم لوسائل التلقي.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 23)[وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ] يبين أن وجود الخير والاستعداد الفطري هو شرط الانتفاع بالإنذار.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن القرآن يعالج جذور الإنكار في النفس الإنسانية، ويبين أن الكبر والهوى هما أصل كل ضلال.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية السادسة تضع قانوناً نفسياً ومعرفياً ثابتاً، وهو أن الكبر والهوى يفسدان قابلية العقل والقلب، فيستوي لدى المعاند وجود الإنذار وعدمه.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر الآية السادسة على أشخاص معينين من مشركي قريش أو اليهود دون عموم المعاندين (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في أسباب النزول التي تزعم أن قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) نزل في أفراد بأعيانهم كأبي جهل وأبي لهب أو نفر من رؤساء اليهود دون غيرهم، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وعموم سننه النفسية والاجتماعية في كل عصر.

الفهم الخاطئ: تصديق روايات التخصيص التاريخي التي تجعل الآية مجرد خبر تاريخي عن أشخاص ماتوا، مما يعطل دلالتها الدائمة في كشف طبيعة الكفر الاستكباري في كل زمان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 82)[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

قوله تعالى: (البقرة: 185)[هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (يس: 10)[وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 25)[وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاسم الموصول (الَّذِينَ) من أعم صيغ العموم في اللسان العربي، وهو يستغرق كل من اتصف بالصلة في كل زمان ومكان.

الدلالة المنطوقية: النطق بالصيغة العامة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) دون ذكر أسماء لأشخاص معينين يثبت أن الحكم معلق بوصف الكفر المستقر لا بالذوات التاريخية.

الدلالة المفهومية: يلزم من تجريد النص من الأسماء الشخصية بطلان الروايات التي تحصره في أفراد معينين؛ إذ لو أراد الله تخصيصهم لذكرهم كما ذكر أبا لهب في سورته.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التعميم بقاء الآية قانوناً حياً يفسر ظاهرة العناد والجحود في كل عصر وجيل.

الخلاصة: الروايات التي تحصر الآية في نفر من المشركين أو اليهود باطلة لتصادمها مع عموم الاسم الموصول وحكمة القرآن في تقرير السنن الكلية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السورة تضع في مطلعها القواعد الكلية لأصناف البشر (المتقون، الكافرون، المنافقون) بأسلوب تجريدي مطلق خالٍ من الأسماء، مما يثبت عالمية التصنيف.

الدلالة البلاغية: الإطلاق يرفع النص فوق الحوادث الجزئية ليكون ميزاناً دائماً لتمييز المواقف الإنسانية من الوحي.

الخلاصة: السياق القرآني يأبى حصر القوانين البشرية العامة في وقائع فردية ترويها كتب المأثورات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: تكرار نفس الآية في سورة يس المكية (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يسحق روايات قصرها على نفر من يهود المدينة.

ثانياً: آية سورة الأنعام ترفع توهم التخصيص الفردي، وتؤكد أن هذه سنة مطردة في كل من أعرض واستكبر.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الزخرف: 58)[بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] يصف الطبيعة الجدلية المعاندة كظاهرة بشرية متكررة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنبياء: 1، 2)[اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ] يخاطب عموم الناس المعرضين بذات المنهج الكلي.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على بطلان الروايات التي تخصص الآية السادسة بأفراد معينين، وتثبت عمومها لكل معاند مستكبر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر الآية السادسة على أشخاص تاريخيين بأعيانهم، والقطع بأن الآية قانون عام يصف حال كل كافر معاند استوى عنده الإنذار وعدمه.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات الجبر القدري وأن الله خلق أناساً للكفر ومنعهم من الإيمان قهراً (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات الجبرية التي تستدل بقوله تعالى (لَا يُؤْمِنُونَ) على أن الله خلق طائفة من البشر مجبورين على الكفر وسلبهم القدرة على الإيمان قبل أن يكفروا، لمصادمة ذلك الصريحة لمحكم القرآن في عدل الله وحرية اختيار الإنسان ونفي الظلم عن رب العالمين.

الفهم الخاطئ: اعتقاد أن الإنسان مسير مجبور في إيمانه وكفره كالريشة في مهب الريح، بناءً على روايات تخالف صريح القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (فصلت: 46)[مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ].

قوله تعالى: (النساء: 40)[إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 148)[سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا... قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ].

ب. قوله تعالى: (الزمر: 7)[إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الجبر في اللغة هو الإكراه على الفعل بغير إرادة، وهو يناقض التكليف والثواب والعقاب عقلاً وشرعاً.

الدلالة المنطوقية: القرآن أسند فعل الكفر إلى البشر أنفسهم في قوله (الَّذِينَ كَفَرُوا)، وجعل عدم إيمانهم نتيجة لكفرهم السابق لا قهراً ابتدائياً من الله.

الدلالة المفهومية: يلزم من نفي الظلم عن الله وعدم رضاه بالكفر لعباده بطلان كل رواية تزعم أن الله أجبر أحداً على الكفر ثم يعذبه عليه.

الدلالة التضمنية: يتضمن التكليف بالإنذار والبيان أن الإنسان يملك القدرة الكاملة على الاختيار بين الإيمان والكفر.

الخلاصة: الروايات التي تثبت الجبر وتحتج بالآية السادسة باطلة متناً ومعنى؛ لأن القرآن يرد مقولة المشركين (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) ويعدها ظناً وخرصاً.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية السادسة تقابل الآيات السابقة التي أثبتت كسب المتقين وجهادهم في الإيمان والصلاة والإنفاق، فكما استحق المتقون الفلاح بسعيهم، استحق الكافرون الخسران بكفرهم.

الدلالة البلاغية: إسناد الكفر إليهم بصيغة الفاعل (كَفَرُوا) يحمّلهم التبعة الأخلاقية والقانونية الكاملة عن اختيارهم.

الخلاصة: السياق القرآني ينزه الله عن الجبر والظلم، ويثبت عدالة الجزاء بناءً على حرية الإرادة الإنسانية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنعام (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) تسحق عقيدة الجبر وتفضح كونها حجة المشركين لتبرير باطلهم.

ثانياً: آية سورة الزمر (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) ترفع توهم إرادة الله الشرعية لكفر العباد وتؤكد مسؤوليتهم عن أفعالهم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الشمس: 7، 8، 9، 10)[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا] يثبت قدرة الإنسان على التزكية والتدسية.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 44)[إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] يقطع بأن الإنسان هو الظالم لنفسه باختياره للكفر.

الخلاصة: تتطابق آيات القرآن على إبطال روايات الجبر، وتثبت عدل الله وحرية الإنسان في اختيار طريق الهداية أو الضلال.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات الجبرية التي تزعم إكراه الله للعباد على الكفر، والقطع بأن عدم إيمان الكافرين في الآية السادسة هو نتيجة لاختيارهم الحر وإصرارهم على الجحود، والله منزه عن الظلم.

(البقرة: 7)

[خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]

المسألة الأولى: حقيقة الختم الإلهي على القلوب والأسماع وعلاقته بكسب الإنسان وعدالة الجزاء (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الختم على القلوب والأسماع هو عقوبة سننية عادلة يوقعها الله على المعاندين جزاءً لإصرارهم الاختياري على الكفر وإغلاقهم لمنافذ الهداية بأيديهم، بحيث يصير الختم تثبيتاً للحالة التي اختاروها لأنفسهم، وليس فعلاً قهرياً ابتدائياً يمنعهم من الإيمان قبل كفرهم.

الفهم الخاطئ: ادعاء الجبرية أن الله يختم على قلوب طائفة من الناس ابتداءً دون سبب منهم ثم يعذبهم على عدم إيمانهم، مما يناقض عدل الله المطلق.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (فصلت: 46)[مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ].

قوله تعالى: (الصف: 5)[فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 155)[بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا].

ب. قوله تعالى: (المنافقون: 3)[ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الختم في أصل الوضع اللغوي هو الاستيثاق من الشيء ووضع الطابع عليه بعد ملئه أو إغلاقه، لئلا يدخله شيء أو يخرج منه شيء.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) يثبت أن الختم فعل

إلهي واقع على قلوب وأسماع الذين كفروا واستووا في رفض الإنذار.

الدلالة المفهومية: يلزم من ترتيب هذه الآية على الآية السادسة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أن كفرهم وعنادهم كانا سابقين في الوجود على ختم الله لقلوبهم.

الدلالة التضمنية: يتضمن الختم الإلهي حرمان المعاند من نور البصيرة وتوفيق الانتفاع بالآيات عقوبةً له على تعطيل فطرته وعقله.

الخلاصة: الختم على القلوب والأسماع جزاء عادل مترتب على الإصرار على الكفر، وليس جبراً ابتدائياً ينافي التكليف.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية استئنافاً بيانياً يوضح علة استواء الإنذار وعدمه في الآية السابقة، فيكشف أن السبب الباطن لعدم استجابتهم هو انغلاق منافذ الإدراك لديهم.

الدلالة البلاغية: التصوير الاستعاري للقلب والسمع بالوعاء المختوم يبرز مدى الاستحكام والانغلاق الذي يصيب النفس حين تتمرس على الباطل.

الخلاصة: البناء التعبيري يصور العاقبة النفسية الخطيرة للتمادي في الكفر، ويحذر الإنسان من الوصول إلى نقطة اللاعودة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) تفسر سبب الختم والطبع بباء السببية، فتقطع بأن كفرهم هو علة الطبع على قلوبهم.

ثانياً: آية سورة الصف (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ترفع توهم الجبر الابتدائي، وتثبت أن زيغ العبد يسبق عقوبة الله له بالزيغ والختم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 101)[تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ] يوضح أن الطبع سنة إلهية في المكذبين المعاندين.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 110)[وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ] يربط الحرمان اللاحق برفض الإيمان في البداية.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتؤكد عدل الله المطلق، وأن الختم على القلوب هو تثبيت لاختيار الكافر الفاسد بعد قيام الحجة عليه.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الختم على القلوب والأسماع في الآية السابعة هو عقوبة سننية عادلة أوقعها الله على المعاندين بسبب كفرهم السابق وإصرارهم على رفض الإنذار، والله منزه عن الظلم.

المسألة الثانية: الفارق الدلالي بين الختم على القلوب والأسماع وبين الغشاوة على الأبصار (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن القرآن فرق بدقة بالغة بين أثر الكفر على القلب والسمع وبين أثره على البصر؛ فجعل على القلوب والأسماع ختماً يمنع نفوذ الحق إلى الداخل، وجعل على الأبصار غشاوة تحجب رؤية آيات الله الكونية والبيانية، لأن القلب والسمع محل الوعي والتلقي، بينما البصر أداة المشاهدة الخارجية.

الفهم الخاطئ: التسوية المطلقة في الوظيفة والتأثير بين الختم والغشاوة، أو ظن أن الختم والغشاوة يعنيان الصمم والعمى العضوي المادي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحج: 46)[فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ].

قوله تعالى: (الأعراف: 179)[لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الجاثية: 23)[وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً].

ب. قوله تعالى: (النحل: 108)[أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الغشاوة في أصل الوضع اللغوي هي الغطاء والستار الرقيق الذي يوضع على الشيء فيحجب الرؤية الصحيحة له، بينما الختم هو الإغلاق المحكم للمنافذ.

الدلالة المنطوقية: النطق بتسليط الختم على القلوب والأسماع، ورفع لفظ (غِشَاوَةٌ) بالابتداء لبيان استقرارها على الأبصار يفرق بين طبيعة العائق في كل حاسة.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التفريق الدقيق أن المعاند يدرك الأصوات والمشاهدات بحواسه المادية، لكنه محروم من فقهها والاعتبار بها لوجود الختم والغشاوة المعنوية.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الترتيب استيعاب جميع وسائل المعرفة الإنسانية (السمع والبصر والفؤاد) وبيان تعطلها عن وظيفتها في الهداية بسبب الكفر.

الخلاصة: الختم يغلق منافذ الفقه والتلقي في القلب والسمع، والغشاوة تحجب رؤية دلائل الحق بالبصر، وكلاهما تعطل معنوي لا عضوي.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء وسائل الإدراك الثلاث (القلوب، السمع، الأبصار) في هذه الآية يقابل قوله في سورة النحل (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، فيظهر عاقبة كفران النعمة بتعطل وظائفها.

الدلالة البلاغية: التنوع في التصوير بين الختم والغشاوة يثري المشهد الذهني، ويصور الكافر كأنه محبوس في ظلمة دامسة لا ينفذ إليها نور من داخل ولا من خارج.

الخلاصة: الأداء البلاغي يعكس دقة التشخيص القرآني لآليات الإدراك البشري وكيفية تعطلها بالمعاصي والكبر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الحج (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ) تفسر أن المراد بالختم والغشاوة هو العمى والصمم المعنوي عن الحق لا فقدان الحواس.

ثانياً: آية سورة الجاثية (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ترفع توهم المادية في الغشاوة، وتؤكد أن اتباع الهوى هو الذي يضع الغطاء على البصر.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 25)[وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا] يوضح أن أثر الأكنة والوقر هو منع الفقه والاستجابة.

ثانياً: قوله تعالى: (فصلت: 17)[فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ] يبين أن الغشاوة والعمى المعنوي اختيار بشري آثره الكافرون على الهدى.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن الختم والغشاوة عقوبتان معنويتان تصيبان أدوات المعرفة فتفقدها القدرة على الانتفاع بالآيات.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن القرآن فرق بدقة بين الختم على القلوب والأسماع (إغلاق منافذ الفقه والتلقي) وبين الغشاوة على الأبصار (حجب رؤية الدلائل الكونية)، وكلاهما تعطيل معنوي لإدراك الحق جزاءً على الكفر.

المسألة الثالثة: علاقة الوقف المعنوي والإعرابي في قوله تعالى (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) ببناء المعنى (في الدلالة وأقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: إثبات أن الوقف التام المتواتر هو على قوله تعالى (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) لتتم جملة الختم، ثم الابتداء بقوله (وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) كجملة اسمية مستقلة من جار

ومجرور خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، وبيان فساد الوقف على (قُلُوبِهِمْ) وجعل السمع والأبصار محلاً للغشاوة معاً.

الفهم الخاطئ: وصل (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) بما بعده على أن السمع والأبصار عليهما غشاوة، مما يخالف نظيرتها في سورة الجاثية التي نصت على أن الختم واقع على السمع والقلب معاً.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المزمل: 4)[وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا].

قوله تعالى: (الجاثية: 23)[وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 46)[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم].

ب. قوله تعالى: (النحل: 108)[أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: العطف بالواو في (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) يربط الجار والمجرور بالفعل (خَتَمَ) السابق، بينما تكرار (وَعَلَىٰ) مع الابتداء بجملة جديدة يفصل حكم الأبصار.

الدلالة المنطوقية: النطق بالوقف على (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) يجعل الختم شاملاً للقلوب والأسماع، ويجعل الغشاوة مختصة بالأبصار وحدها.

الدلالة المفهومية: يلزم من مطابقة هذه الآية لآية سورة الجاثية (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) تعين الوقف على (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ).

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التوزيع الدقيق تناسب الوسيلة مع العارض؛ فالختم يناسب القلب والسمع، والغشاوة والغطاء يناسبان العين والبصر.

الخلاصة: الوقف الصحيح المتوافق مع نظائر القرآن هو على (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ)، وتبدأ بعده جملة (وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ).

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الفصل بين الجملة الفعلية (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) وبين الجملة الاسمية (وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) يحدث تنوعاً أسلوبياً يجمع بين تحدد العقوبة وثبات الحجاب.

الدلالة البلاغية: تنكير (غِشَاوَةٌ) مع تأخيرها يفيد التهويل والتعظيم، أي غشاوة كثيفة مطبقة تمنع نفاذ أي شعاع من نور الهداية.

الخلاصة: الفواصل الوقفية الدقيقة تحفظ دقة المعنى البلاغي وتمنع تداخل الوظائف الحسية والعقلية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الجاثية (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) تفسر موضع الوقف الصحيح في آية البقرة وتقطع النزاع فيه.

ثانياً: تناسق التعبيرين في السورتين يرفع توهم جواز إدخال السمع في الغشاوة، لأن الغطاء والغشاوة من خصائص العين المبصرة لغة وعرفاً.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (ق: 22)[فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] يربط الغطاء والحجاب بالبصر تحديداً.

ثانياً: قوله تعالى: (الإسراء: 46)[وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا] يبين أن لكل حاسة ما يناسبها من الموانع المعنوية.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على أن الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار، وأن الوقف على (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) هو الحق المبين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الوقف التام في الآية السابعة هو على قوله تعالى (وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ)، ليكون الختم واقعاً على القلوب والأسماع، وتستقل جملة (وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) ببيان الحجاب المضروب على الأبصار.

المسألة الرابعة: إفراد لفظ (سَمْعِهِمْ) وجمع لفظي (قُلُوبِهِمْ) و(أَبْصَارِهِمْ) في نظام النظم المعجز (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن إفراد لفظ (سَمْعِهِمْ) مع إضافته إلى ضمير الجمع، في مقابل جمع (قُلُوبِهِمْ) و(أَبْصَارِهِمْ)، جارٍ على سنن اللسان العربي الفصيح لأن السمع في الأصل مصدر والمصدر لا يجمع غالباً، كما يدل على أن مسموعهم واحد وهو كلام الله المتلو، بينما تتعدد القلوب والأبصار بتعدد أصحابها وتباين أهوائهم.

الفهم الخاطئ: ظن أن إفراد السمع يرجع لقصور لغوي أو أن لكل الكافرين أذناً واحدة، أو إغفال اللطيفة البيانية الكامنة وراء هذا التغاير الصرفي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النحل: 78)[وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ].

قوله تعالى: (المؤمنون: 78)[وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 20)[وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ].

ب. قوله تعالى: (فصلت: 20)[حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: لفظ (السمع) في أصل الوضع اللغوي مصدر للفعل (سمع)، والمصادر تدل على الجنس والماهية الكلية فتؤدي معنى الجمع عند الإضافة دون حاجة لتثنية أو جمع.

الدلالة المنطوقية: النطق بإفراد (سَمْعِهِمْ) وجمع (قُلُوبِهِمْ) و(أَبْصَارِهِمْ) يلتزم بأدق قواعد الفصاحة العربية المطردة في جميع آيات القرآن.

الدلالة المفهومية: يلزم من إفراد السمع وإضافته إلى الجمع استغراق سمع كل فرد من أفراد الكافرين بالختم، مع الإشارة إلى وحدة الصوت المسموع وهو القرآن.

الدلالة التضمنية: يتضمن جمع القلوب والأبصار الإشارة إلى تفرق أهواء الكافرين وتشتت نظراتهم، بينما يتحد موقفهم في سد أسماعهم عن الحق.

الخلاصة: إفراد السمع وجمع القلوب والأبصار قمة في الفصاحة اللسانية والدقة المعنوية، وهو قانون مطرد في التنزيل.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الصيغة في سياق كشف موقف المعاندين من الإنذار الصوتي (أَأَنذَرْتَهُمْ)، فناسب إفراد السمع للإشارة إلى وحدة النداء القرآني الذي رفضوه.

الدلالة البلاغية: التوازن الموسيقي بين المفرد المضاف للجمع (سَمْعِهِمْ) وبين الجمع المضاف للجمع (قُلُوبِهِمْ / أَبْصَارِهِمْ) يمنح الآية إيقاعاً صوتياً فريداً.

الخلاصة: الأداء التعبيري يطوع القواعد الصرفية لخدمة المعنى العقائدي والنفسي بأوجز عبارة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النحل (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) تفسر أن هذا الاستعمال الصرفي سنة ثابتة في القرآن كله.

ثانياً: آية سورة فصلت (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ) ترفع توهم أي شذوذ في الإفراد، وتثبت أن المفرد المضاف يعم جميع الأفراد.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (يونس: 31)[أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ] يكرر ذات المطابقة الصرفية بين إفراد السمع وجمع الأبصار.

ثانياً: قوله تعالى: (السجدة: 9)[وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ] يؤكد اطراد هذا القانون البياني في مختلف السور.

الخلاصة: تتطابق النصوص القرآنية على إفراد السمع وجمع القلوب والأبصار، مما يبرهن على وحدة المصدر الإلهي وإحكام نظمه.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن إفراد (سَمْعِهِمْ) وجمع (قُلُوبِهِمْ) و(أَبْصَارِهِمْ) يجسد قمة الإعجاز البياني واللساني، حيث راعى القرآن طبيعة المصدر في السمع، وأشار إلى تشتت قلوب الكافرين وأبصارهم في مقابل وحدة النداء الإلهي الذي أعرضوا عنه.

المسألة الخامسة: حقيقة العذاب العظيم الموعود للكافرين وعدالة التناسب بين الجرم والجزاء (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقرر جزاءً أخروياً دائماً ومؤلماً يناسب عظم جريمة الكفر بالله وجحود آياته والاستكبار عن هدايته، مع القطع بعدالة الله المطلقة في تقدير هذا العذاب.

الفهم الخاطئ: ادعاء أن العذاب الأخروي الأبدي لا يتناسب مع عمر الإنسان المحدود في الدنيا، أو التهوين من شأن الكفر بالله واعتباره مجرد رأي فكري لا يستوجب العقاب.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأنعام: 160)[مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ].

قوله تعالى: (النحل: 111)[يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 39)[وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ].

ب. قوله تعالى: (النساء: 56)[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اللام في (وَلَهُمْ) لام الاختصاص والاستحقاق، والعذاب هو الألم الشديد المستمر، وتنكير (عَذَابٌ) ووصفه بـ (عَظِيمٌ) يفيدان التهويل وتجاوز الوصف.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يثبت استحقاق الكافرين المعاندين لعقوبة بالغة الشدة في الدار الآخرة.

الدلالة المفهومية: يلزم من عظم العذاب عظم الجرم الذي ارتكبوه وهو الكفر بالخالق المنعم وردّ رسالته والصد عن سبيله.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الوعيد القاطع إقامة التوازن الكوني والعدالة المطلقة؛ إذ لا يستوي في ميزان العدل من آمن واتقى ومن كفر وطغى.

الخلاصة: العذاب العظيم جزاء عادل ومستحق لمن جحد ربه وعاند رسله، لأنه أفسد غاية وجوده وظلم نفسه وغيره.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام آيتي الكافرين بـ (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقابل ختام آيات المتقين بـ (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ليكتمل ميزان الترهيب والترغيب في مطلع السورة.

الدلالة البلاغية: الجملة الاسمية المبدوءة بالخبر المقدم (وَلَهُمْ) تفيد ثبوت هذا العذاب واستقراره وملازمته لهم كأنه حق مكتسب بكفرهم.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يضع الإنسان أمام عاقبة اختياره بوضوح تام، ليكون حذراً من مغبة الجحود والاستكبار.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) تفسر ماهية العذاب العظيم وتبين أنه عذاب النار والخلود فيها.

ثانياً: آية سورة الأنعام (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ترفع توهم القسوة أو الظلم في العقوبة، وتؤكد أن الجزاء من جنس العمل وعظم الجرم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الجاثية: 21)[أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] يبين أن العدل العقلي يقتضي التفريق في الجزاء.

ثانياً: قوله تعالى: (الزمر: 71)[وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا... قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ] يثبت اعتراف الكافرين باستحقاقهم للعذاب.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن العذاب العظيم هو العاقبة العادلة للكفر، وأن الكافر هو الذي جنى على نفسه باختياره.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن قوله تعالى (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقرر عدالة الجزاء الإلهي، حيث يستحق المعاندون الجاحدون عذاباً هائلاً في الآخرة يتناسب مع فداحة كفرهم بالله وإفسادهم في الأرض.

المسألة السادسة: حقيقة إسناد الختم إلى لفظ الجلالة (خَتَمَ اللَّهُ) وتنزيه الله عن خلق الكفر في عباده (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن إسناد فعل الختم إلى الله تعالى هو إسناد لخلق الأثر السنني والعقوبة القدرية المترتبة على كفر العبد، وهو مظهر من مظاهر ربوبية الله وسيطرته على القلوب والسنن الكونية، مع تنزيه الله تعالى عن إرادة الكفر شرعاً أو إكراه العبد عليه.

الفهم الخاطئ: توهم أن إسناد الختم لله يعني أن الله هو الذي يخلق الكفر في قلب العبد ابتداءً، أو نفي فعل الله في عقوبة القلوب بالختم وتأويله بأنه مجرد وصف مجازي لا حقيقة له.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأنفال: 24)[وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ].

قوله تعالى: (الزمر: 7)[وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 125)[فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 127)[صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي في اللسان العربي يثبت أن الموجد للأثر هو الفاعل المذكور وفق سننه وحكمته.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) يثبت أن الله هو الذي أوقع الختم على قلوبهم بقدرته وسننه حين أصروا على الكفر.

الدلالة المفهومية: يلزم من الجمع بين إثبات الختم لله وبين نفي رضاه بالكفر أن الختم عقوبة عادلة على الكفر السابق لا خلقاً ابتدائياً للكفر.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الإسناد تذكير البشر بسلطان الله المطلق على القلوب، وتحذيرهم من التلاعب بآيات الله لئلا يعاقبوا بسلب التوفيق.

الخلاصة: الله هو خالق الأسباب والمسببات، وقد أجرى سنته أن من كفر وعاند عاقبه الله بالختم على قلبه جزاءً وفاقاً.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التصريح بالاسم الأعظم (اللَّهُ) فاعلاً للختم يضفي رهبة شديدة تحذر السامع من مغبة التمادي في العناد حتى لا يقع تحت طائلة العقوبة الإلهية.

الدلالة البلاغية: إسناد الفعل لله مباشرة يقطع رجاء المعاندين في أن يجدوا مخرجاً من ظلمتهم ما داموا مصرين على حرب الحق.

الخلاصة: التعبير القرآني يوازن بدقة بين إثبات قدرة الله المطلقة وسننه في القلوب وبين إثبات عدله وحرية اختيار الإنسان.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) تفسر سبب صرف الله وختمه على القلوب بكونهم أعرضوا عن الفقه.

ثانياً: آية سورة الأنفال (أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) ترفع توهم استقلال الإنسان بقلبه استغناءً عن ربه، وتوجب المسارعة للاستجابة قبل أن يحال بين المرء وقلبه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الكهف: 57)[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ] يربط الجعل الإلهي للأكنة بإعراض العبد السابق.

ثانياً: قوله تعالى: (الإسراء: 46)[وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً... وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا] يبين أن نفورهم من التوحيد هو الذي استجلب هذه العقوبة.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن الختم فعل إلهي سنني عادل يقع عقوبة للمعاندين، مع تنزيه الله عن إكراه أحد على الكفر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن الله تعالى هو الذي يوقع الختم على قلوب الكافرين عقوبةً عادلة على كفرهم وإعراضهم، وهو منزه عن الظلم وعن خلق الكفر في عباده ابتداءً.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية السابعة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية السابعة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس برفع لفظ (غِشَاوَةٌ) وإظهار التنوين قبل الواو إدغاماً بغنة وإسكان ميم الجمع في (قُلُوبِهِمْ) و(سَمْعِهِمْ) و(أَبْصَارِهِمْ) و(وَلَهُمْ) كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بنصب (غِشَاوَةً) أو ضم ميم الجمع.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في إعراب (غِشَاوَةٌ) بالنصب بتقدير فعل محذوف أو تضم ميم الجمع وتصلها بواو لفظية بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وإعرابه

المجمع عليه بين الأمة جيلاً بعد جيل دون تباين.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو رفع (غِشَاوَةٌ) على الابتداء، وإسكان ميم الجمع في المواضع الأربعة وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تنصب (غِشَاوَةً) أو تضم ميم الجمع أو تزيد حروفاً غير مرسومة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التواتر وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في أقطار الأرض، وصيانة النص من التلاعب النحوي واللهجات الشاذة.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الجرس الصوتي المتزن لإسكان ميمات الجمع المتتابعة ورفع (غِشَاوَةٌ) يحفظ للنص جزالته وقوته البيانية دون ثقل أو تطويل متكلف.

الدلالة البلاغية: الثبات الإعرابي والصوتي للنص يضفي عليه مهابة وجلالاً يليق بكلام الله المحفوظ من التبديل.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحمي كتاب الله من التعددية والاضطراب وتحفظ للأمة مرجعيتها الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه أو حركات إعرابه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في التحذير من التبلد الروحي وتعطيل الحواس عن وظيفتها الإيمانية (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية السابعة تقرر قاعدة تربوية ونفسية كبرى، وهي أن الحواس الإنسانية (القلب والسمع والبصر) إنما خُلقت لتكون منافذ للهداية وشكر النعم، فإذا عطلها الإنسان عن وظيفتها الفطرية وأصر على الباطل فقدت قدرتها على الإدراك السليم وصارت وبالاً على صاحبها.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد بأن سلامة الحواس المادية تكفي وحدها لإدراك الحقائق الكبرى، مع إغفال الحاجة إلى تزكية القلب وتوجيه السمع والبصر نحو آيات الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الإسراء: 36)[إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا].

قوله تعالى: (الأعراف: 179)[أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (السجدة: 9)[ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ].

ب. قوله تعالى: (الملك: 10)[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التزكية في أصل الوضع هي التطهير والنماء، وتعطيل الحواس هو إهمالها وإفساد قابليتها الفطرية عن طريق الكبر والهوى.

الدلالة المنطوقية: النطق بوقوع الختم والغشاوة على وسائل الإدراك الثلاث يحذر السامع من مصير من أهمل نعم الله المعرفية.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التحذير وجوب المبادرة إلى استثمار السمع والبصر والقلب في تدبر القرآن والكون قبل أن تصاب بالصدأ والختم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان أن الإنسان مسؤول أمام الله عن كيفية استخدام حواسه وعقله في الدنيا.

الخلاصة: الحواس منافذ للهداية، ومن عطلها عن قبول الحق عوقب بانغلاقها التام وحرمانه من نور اليقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام الحديث عن الكافرين بهذه الصورة القاتمة يثير في نفس المؤمن الرهبة والحرص على صيانة قلبه وسمعه وبصره من شوائب الجحود.

الدلالة البلاغية: المقابلة الضمنية بين استنارة حواس المتقين بالهدى وبين انطماس حواس الكافرين بالختم والغشاوة تبرز قيمة الإيمان في إحياء الإنسان.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحول الآية إلى إنذار تربوي دائم يوقظ الضمير الإنساني من الغفلة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الملك (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) تفسر أن

عدم الانتفاع بالسمع والعقل هو السبب المباشر لدخول النار.

ثانياً: آية سورة الأعراف (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) ترفع توهم المساواة الإنسانية لمن عطل قلبه وسمعه وبصره عن آيات الله.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (ق: 37)[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] يبين شروط الانتفاع بالحواس وهو حضور القلب وإلقاء السمع.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 22)[إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ] يوضح خطورة التعطيل الاختياري لأدوات الإدراك.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن حفظ الحواس وتفعيلها في طاعة الله هو طريق النجاة، وتعطيلها يفضي إلى الختم والعذاب العظيم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية السابعة تقرر أن تعطيل الإنسان لقلبه وسمعه وبصره عن قبول الحق يؤدي إلى عقوبة الختم والغشاوة، مما يوجب المبادرة إلى شكر هذه النعم باستثمارها في طاعة الله.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في تجسيد الختم والطبع بنقطة سوداء مادية تغطي القلب مع كل ذنب (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تصور الختم والرين على القلب تصويراً مادياً حسياً كأنه حبر أسود يتراكم على عضلة القلب مع كل ذنب حتى يسودّ القلب مادياً ويطبع عليه، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في أن القلب المقصود في خطاب التكليف هو محل الفقه والإدراك المعنوي والنفسي لا المضغة الجسدية، وأن الختم عقوبة معنوية في البصيرة لا تلويناً عضوياً.

الفهم الخاطئ: حمل النصوص المعنوية على الحس المادي الصرف بناءً على روايات تخلط بين القلب العضوي وبين الفؤاد المعنوي محل العقل والإيمان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحج: 46)[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ].

قوله تعالى: (الشورى: 52)[وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المطففين: 14)[كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 25)[وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: القلب في خطاب الوحي يطلق على لطيفة الإدراك والعقل والوجدان التي تفقه وتؤمن وتكفر، والختم والغشاوة استعارة معنوية لحجب البصيرة.

الدلالة المنطوقية: القرآن قرن الختم على القلوب بالختم على السمع والغشاوة على البصر، ومعلوم بالمشاهدة أن أذن الكافر وعينه وقلبه العضوي لا يوجد عليها طابع مادي ولا غطاء جلدي.

الدلالة المفهومية: يلزم من انتفاء الغطاء المادي عن عين الكافر وأذنه انتفاء النقطة السوداء المادية عن قلبه، وبطلان الروايات التي تجسد الختم تجسيداً حسياً.

الدلالة التضمنية: يتضمن الفهم المعنوي الصحيح صيانة خطاب القرآن من السذاجة المادية التي يصطدم بها الواقع التشريحي والحسي للإنسان.

الخلاصة: الروايات التي تجسد الختم بنقطة سوداء مادية باطلة متناً ومعنى؛ لأن الختم والغشاوة حالتان معنويتان تصيبان البصيرة والفقه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية تتحدث عن عدم الإيمان وعدم الانتفاع بالإنذار، وهي قضايا عقدية ونفسية محضة لا علاقة لها بلون العضلات والأنسجة الجسدية.

الدلالة البلاغية: الاستعارة القرآنية بالختم والغشاوة تهدف لتقريب المعنى العقلي المجرد

للذهن، لا لتحويل المعاني النفسية إلى أجسام مادية.

الخلاصة: السياق القرآني يرتفع بالبيان إلى مستوى البصيرة والوعي، ويرفض التجسيد المادي السطحي للرموز البلاغية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنعام (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) تفسر حقيقة الختم والأكنة بأنها مانع من الفقه والإدراك المعنوي.

ثانياً: آية سورة الحج (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ) ترفع توهم المادية في العمى والغشاوة والختم، وتثبت أنها أوصاف للوعي والتمييز.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (محمد: 24)[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] يوضح أن الأقفال والختم هي موانع التدبر العقلي والروحي.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 122)[أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ] يثبت أن الحياة والموت والنور والظلمة في القلب معانٍ إيمانية وعقلية.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال روايات التجسيد المادي للختم، وتؤكد أن الختم والغشاوة حقائق معنوية تتعلق بفقه الحق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تجسد الختم على القلب بنقطة سوداء مادية، والقطع بأن الختم والغشاوة في القرآن حالتان معنويتان تصيبان الإدراك والبصيرة فتحرمان الكافر من فقه الآيات.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات يأس الكافر من التوبة بعد نزول هذه الآية أو استثناء من آمن منهم بنسخ الآية (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في التفسير التي تزعم أن هذه الآية حكمت بامتناع إيمان كل كافر عاصر النبي، ثم لما آمن بعضهم زعم الرواة أن الآية خُصصت أو نُسخت، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في عدم وقوع النسخ في الأخبار الإلهية وفتح باب التوبة لكل كافر ما لم يمت على كفره.

الفهم الخاطئ: تصديق روايات التناقض والنسخ في الأخبار القرآنية، أو القول بأن من وصفهم الله بالختم هم أشخاص معينون آمن بعضهم لاحقاً فبطل عموم الآية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

قوله تعالى: (الزمر: 53)[قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 38)[قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ].

ب. قوله تعالى: (النساء: 18)[وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الخبر الصادق في اللسان والعقل لا يدخله النسخ أبداً؛ لأن نسخ الخبر يعني تكذيبه وتغيير الواقع المخبر به، وهو مستحيل في حق الله العليم.

الدلالة المنطوقية: الآية خبر محكم عن صنف محدد من الكفار وهم الذين استمروا على كفرهم وماتوا عليه، لا عن كل من تلبس بالكفر مؤقتاً ثم تاب.

الدلالة المفهومية: يلزم من عصمة القرآن من التناقض والاختلاف بطلان كل رواية تدعي أن الآية شملت من آمن لاحقاً أو أن حكمها قد نُسخ.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التحقيق أن الختم الحقيقي المانع من الرجوع إنما يحكم به الله على من علم أزلاً أنه يختار الكفر ويصر عليه حتى الموت.

الخلاصة: الروايات التي تدعي شمول الآية لمن آمنوا لاحقاً أو وقوع النسخ فيها باطلة متناً ومعنى؛ لأن أخبار الله صادقة مطلقة لا تتخلف.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية تصف الكافرين بوصفهم المقابل للمتقين في المصير الأخروي (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، مما يقطع بأن المراد هم الذين يختمون حياتهم بالكفر.

الدلالة البلاغية: الإطلاق الوصفي يحدد الفئة التي تستحق العذاب العظيم بدقة دون أن يغلق باب التوبة أمام من أراد الرجوع إلى الله.

الخلاصة: السياق القرآني منزه عن التناقض والاضطراب، ويحفظ للخبر الإلهي صدقه المطلق عبر كل العصور.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) تفسر أن الموصوفين بالختم والعذاب العظيم هم الذين يموتون على كفرهم.

ثانياً: آية سورة الأنفال (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم) ترفع توهم القنوط، وتثبت أن باب الإيمان مفتوح لكل كافر ينتهي عن جحوده.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] يقطع بصدق جميع أخبار القرآن واستحالة تبديلها.

ثانياً: قوله تعالى: (طه: 82)[وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ] يؤكد قبول التوبة من كل تائب مهما بلغ كفره السابق.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال روايات النسخ والتخصيص المتكلف، وتثبت أن الآية السابعة خبر صادق عن المصممين على الكفر حتى الممات.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تزعم وقوع النسخ أو التخلف في خبر الآية

السابعة، والقطع بأن الموصوفين بالختم والعذاب العظيم هم الذين يصرون على الكفر حتى الموت، بينما يظل باب التوبة مفتوحاً لكل من رجع إلى الحق.

(البقرة: 8)

[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ]

المسألة الأولى: حقيقة النفاق العقدي والفرق الجوهري بين الإقرار اللساني والتصديق القلبي (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الإيمان الحقيقي في ميزان الوحي هو مواطأة القلب والعمل للسان، وأن مجرد التلفظ بالشهادة والإقرار اللساني بالله واليوم الآخر مع خلو الباطن من التصديق والإذعان هو نفاق مخرج من دائرة الإيمان أصلاً.
الفهم الخاطئ: ادعاء الكرامية والمرجئة أن الإيمان هو مجرد الإقرار باللسان وحده، بحيث يعد المنافق مؤمناً في الظاهر والباطن لمجرد نطقه بكلمة الإيمان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الحجرات: 14)[قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ].
قوله تعالى: (المنافقون: 1)[إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (آل عمران: 167)[يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ].
ب. قوله تعالى: (النساء: 142)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: القول في أصل اللسان هو النطق بالألفاظ الصادرة عن الفم، بينما

الإيمان هو التصديق القلبي المستقر المورث للانقياد.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (مَن يَقُولُ آمَنَّا... وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) يثبت وقوع القول اللساني وينفي حقيقة الإيمان نفياً باتاً في آن واحد.

الدلالة المفهومية: يلزم من سلب صفة الإيمان عن القائلين بألسنتهم بطلان كل مذهب يكتفي بالنطق اللساني لتحقيق مسمى الإيمان عند الله.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا النفي انقسام الإيمان إلى ظاهر يراه الناس وباطن يحكم عليه رب الناس بعلمه المحيط.

الخلاصة: الإيمان حقيقة قلبية وعملية، ولا يغني النطق باللسان شيئاً إذا كذبه الباطن وخالفه السلوك.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية افتتاحاً لبيان الصنف الثالث من البشرية (المنافقين) بعد المتقين والكافرين يكشف خطورة التناقض بين الظاهر والباطن.

الدلالة البلاغية: المقابلة الحادة بين الجملة الفعلية (يَقُولُ آمَنَّا) الدالة على الحدوث اللساني العابر وبين الجملة الاسمية المنفية بالباء الزائدة للتوكيد (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) تقطع بانتفاء الإيمان عنهم ثبوتاً واستقراراً.

الخلاصة: الهندسة البلاغية تفضح زيف الشعارات الكلامية، وتقيم البرهان على أن الله لا ينظر إلى الأقوال المجردة عن الصدق.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المنافقون (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) تفسر علة نفي الإيمان عنهم في سورة البقرة، وهي كذبهم في دعوى الموافقة القلبية.

ثانياً: آية سورة الحجرات (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) ترفع توهم ترادف القول اللساني مع الإيمان القلبي، وتحدد القلب محلاً أصيلاً للإيمان.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المائدة: 41)[مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ] يطابق

تماماً التشخيص الوارد في آية البقرة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 2)[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] يبين علامة الإيمان القلبي الصادق في مقابل ادعاء المنافقين.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن الإيمان محله القلب وتصدقه الجوارح، وأن القول اللساني المجرد لا ينجي صاحبه من حكم النفاق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن النفاق العقدي هو إظهار الإيمان باللسان وإبطان الكفر في الجنان، وأن القرآن يسلب عن المنافقين صفة الإيمان كلياً رغم جريان كلمة الإيمان على ألسنتهم.

المسألة الثانية: أحكام التعامل الدنيوي مع مظهري الإيمان ووجوب إجراء الأحكام على الظاهر (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن الشريعة الإسلامية تجري أحكام الدنيا من العصمة والمواريث والمناكحة والمعاملات على الظاهر المعلن باللسان، وتكل السرائر والبواطن إلى الله تعالى وحده، فلا يجوز لأحد من البشر أن يحكم بكفر من أظهر الإسلام بناءً على الظن أو التخرص بالبواطن.

الفهم الخاطئ: تجويز التنقيب عن ضمائر الناس وتكفير المسلمين بناءً على الظنون والتهم، أو إهدار عصمة دماء وأموال من أظهر الإسلام بحجة الخوف من نفاقه.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 94)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا].

قوله تعالى: (التوبة: 11)[فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ].

ثالثاً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المجادلة: 16)[اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ].

ب. قوله تعالى: (البقرة: 204)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التبين في اللسان هو التثبت والوقوف عند حدود الظاهر المعلوم دون تجاوز إلى الغيب المستور في الصدور.

الدلالة المنطوقية: النطق بوصف المنافقين بأنهم يقولون آمنا يثبت أنهم اندسوا في المجتمع المسلم وحقنوا دماءهم وأموالهم بهذا القول الظاهر.

الدلالة المفهومية: يلزم من اختصاص الله وحده بالاطلاع على القلوب والحكم عليها بقوله (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) أن البشر ممنوعون من الحكم على البواطن إلا بوحي أو بينة قاطعة.

الدلالة التضمنية: يتضمن إجراء الأحكام على الظاهر صيانة المجتمع من الفوضى والفتنة واستباحة الدماء بالظنون والتأويلات.

الخلاصة: أحكام الدنيا مبنية على الظاهر المعلن، وحساب السرائر موكول إلى عالم الغيب والشهادة وحده.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الآية كاشفة لوجود طائفة داخل الصف المسلم تتستر بلفظ الإيمان، مما يعلم المؤمنين التمييز بين التعامل القانوني الظاهر وبين الحذر القلبي واليقظة.

الدلالة البلاغية: الإخبار بصيغة المضارع (يَقُولُ) يدل على تكرار إعلانهم للإيمان أمام الناس ليأمنوا جانبهم ويحققوا مصالحهم الدنيوية.

الخلاصة: السياق القرآني يربي الأمة على الانضباط القانوني في التعامل مع الظاهر، مع الوعي التام بطبيعة الخطر الباطن.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) تقيد حق البشر في الحكم وتلزمهم بقبول الظاهر.

ثانياً: آية سورة المجادلة (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ترفع توهم سذاجة المؤمنين، وتوضح أن المنافقين استغلوا هذا القانون الشرعي العادل لحماية أنفسهم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحزاب: 60)[لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ... لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ] يبين أن المؤاخذة الدنيوية لا تقع إلا عند الجهر بالعداوة والإفساد الظاهر.

ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 141)[فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] يقطع بأن الفصل النهائي في أمر النفاق الباطن مرجعه إلى الله يوم الحساب.

الخلاصة: تتطابق النصوص الفقهية والعقدية في القرآن على وجوب إجراء أحكام الدنيا على الظاهر وتفويض البواطن لله.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع أن البشر مأمورون في الدنيا بقبول الظاهر المعلن ممن أظهر الإسلام وعدم التفتيش في القلوب، بينما يختص الله وحده بالحكم على حقيقة الإيمان في الباطن.

المسألة الثالثة: دلالة التبعيض في (وَمِنَ النَّاسِ) وشمول ظاهرة النفاق للمجتمعات البشرية في كل عصر (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن حرف الجر (مِنْ) في قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ) يفيد التبعيض الواقعي، وأن إسناد الظاهرة إلى جنس (النَّاسِ) المطلق يدل على أن النفاق مرض اجتماعي ونفسي متجذر في بعض البشر كلما قامت للخير دولة أو ظهر للحق سلطان، وليس ظاهرة عابرة انتهت بموت جيل معين.

الفهم الخاطئ: حصر مدلول (وَمِنَ النَّاسِ) في نفر محدودين عاشوا في المدينة المنورة زمن النزول، مما يعطل فاعلية الآية في كشف المنافقين في كل زمان ومكان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 204)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا].

قوله تعالى: (الحج: 11)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ].

ثالثاً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (العنكبوت: 10)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 101)[وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: لفظ (النَّاسِ) اسم جنس جمعي مستغرق لبني آدم، ودخول (مِنْ) التبعيضية عليه يقتضي وجود طائفة من البشر تتصف بهذا السلوك باستمرار.

الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ) بصيغة المضارع يثبت استمرار وجود هذه الفئة وتجددها في المجتمعات الإنسانية.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم لفظ الناس وتجريد الخطاب عن الأسماء التاريخية أن الآية قانون اجتماعي دائم يطبق على كل من تلبس بصفة النفاق.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان تحذيراً دائماً للمؤمنين في كل عصر لئلا يغتروا

بكثرة المنتسبين أو ينخدعوا بالظواهر البراقة.

الخلاصة: النفاق ظاهرة بشرية متكررة في كل مجتمع يظهر فيه الحق، والقرآن يعطي الأمة المنهج الدائم لاكتشافها.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الانتقال من وصف المتقين (الآيات 2-5) والكافرين (الآيتان 6-7) إلى (وَمِنَ النَّاسِ) يكشف أن هذا الصنف الثالث يتخفى بين الناس ولا يعلن هويته الحقيقية.

الدلالة البلاغية: الإبهام المقصود في الاسم الموصول (مَن يَقُولُ) يثير اليقظة والانتباه لدى القارئ، ليتأمل في الصفات لا في الأسماء.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحول الآية إلى مرآة كاشفة لنفسيات المنافقين في كل جيل.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة العنكبوت (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ...) تفسر الدافع النفسي للنفاق وهو الخوف على المصالح الدنيوية والجبن عند الابتلاء.

ثانياً: آية سورة الحج (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) ترفع توهم انقراض النفاق، وتبين أنه مرتبط بطبيعة النفوس النفعية المترددة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 143)[مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ] يصف الحالة النفسية المتأرجحة لهذا الصنف من الناس.

ثانياً: قوله تعالى: (المنافقون: 4)[وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ] يحذر من الانخداع بمظهرهم وفصاحة ألسنتهم.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن (وَمِنَ النَّاسِ) يقرر سنة اجتماعية دائمة في وجود طائفة تنافق لتحقيق مصالحها.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن التعبير بـ (وَمِنَ النَّاسِ) يفيد التبعيض المستمر في الجنس البشري، مثبتاً أن النفاق مرض اجتماعي وعقدي يتكرر في كل عصر كلما قوي سلطان الحق.

المسألة الرابعة: دلالة التعبير بالمفرد في (مَن يَقُولُ) ثم الجمع في (آمَنَّا) و(وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن إفراد الفعل (يَقُولُ) مراعاةً للفظ الموصول (مَنْ) المفرد، ثم الانتقال إلى الجمع في (آمَنَّا) و(وَمَا هُم) مراعاةً لمعنى الكثرة التي يدل عليها (مَنْ)، يكشف عن طبيعة المنافقين النفسية؛ فهم أفراد متفرقون في الهوى والمصلحة، لكنهم يتكتلون في ترديد الشعارات الجماعية للتستر في صفوف المؤمنين.

الفهم الخاطئ: ظن أن هذا التحول من الإفراد إلى الجمع مجرد التفات نحوي لا يحمل دلالة نفسية أو اجتماعية مقصودة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحشر: 14)[تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ].

قوله تعالى: (التوبة: 56)[وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (يونس: 42)[وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ].

ب. قوله تعالى: (الطلاق: 11)[وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ... قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاسم الموصول (مَنْ) في لسان العرب مشترك يقع على المفرد والمثنى

والجمع، فيجوز في ضميره مراعاة اللفظ المفرد أو مراعاة المعنى الجمعي.

الدلالة المنطوقية: النطق بإفراد (يَقُولُ) وجمع (آمَنَّا) و(وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) يوظف كلتا الخاصيتين اللغويتين في جملة واحدة بإحكام معجز.

الدلالة المفهومية: يلزم من حكاية قولهم بصيغة الجمع (آمَنَّا) أنهم يتعمدون الاندماج اللغوي في جماعة المؤمنين لإيهام السامعين بأنهم جزء أصيل من الأمة.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التغاير كشف تشتت أفرادهم في الواقع مقابل تظاهرهم بالوحدة والانتماء الجماعي.

الخلاصة: الانتقال من الإفراد إلى الجمع يحقق الفصاحة اللسانية ويفضح حيلة المنافقين في الاحتماء بصيغة الجماعة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت صيغة الجماعة في قولهم (آمَنَّا) محاكاةً لنداء المؤمنين، فجاء الرد الإلهي بالجمع أيضاً (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) ليفضح جماعتهم ويسلبهم الانتماء الذي ادعوه.

الدلالة البلاغية: التدرج من الفردية (مَن يَقُولُ) إلى الجماعية (آمَنَّا) ثم كشف زيف الجماعة (وَمَا هُم) يحدث إيقاعاً درامياً يكشف المؤامرة خطوة بخطوة.

الخلاصة: الأداء البلاغي يصور بدقة كيف يتخفى الفرد المنافق خلف شعارات الجماعة، وكيف يفضح الوحي هذا التستر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الحشر (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) تفسر حقيقة اجتماعهم الظاهري وتفرقهم الباطني.

ثانياً: آية سورة التوبة (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ) ترفع توهم صدق انتمائهم عند استخدامهم ضمير المتكلمين (آمَنَّا).

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (البقرة: 14)[وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا] يوضح الموقف العملي

الذي يرددون فيه هذه الكلمة بصيغة الجمع.
ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 141)[الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ] يبين استغلالهم لصيغة الجماعة لتحقيق المكاسب.
الخلاصة: تتطابق النصوص على أن المنافقين يتسترون بشعارات الجماعة، وأن القرآن يميزهم ويفضح زيف ادعائهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن التغاير بين الإفراد في (مَن يَقُولُ) والجمع في (آمَنَّا) و(وَمَا هُم) يجمع بين دقة اللسان العربي وبين كشف حيلة المنافقين في التستر خلف الانتماء الجماعي للمؤمنين.

المسألة الخامسة: حقيقة اقتصار دعوى المنافقين على الإيمان بالله واليوم الآخر دون ذكر الرسالة والعمل (في الدلالة والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن اقتصار المنافقين في دعواهم على القول بـ (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) مع إغفال الإيمان بالرسالة والوحي والالتزام بالتكاليف يكشف أن إيمانهم المدعى هو إيمان نظري مفرغ من الطاعة والاتباع، وهو عين الإيمان الذي يرتضيه المنافقون في كل عصر ليتحللوا من شريعة الله.
الفهم الخاطئ: ظن أن الإيمان بالله واليوم الآخر وحده يكفي للنجاة دون الإيمان بالرسول وما أنزل إليه من شرائع وأحكام.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (النساء: 150، 151)[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا].
قوله تعالى: (النور: 47، 48)[وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 60، 61)[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ].

ب. قوله تعالى: (آل عمران: 31)[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاقتصار في الخطاب على ذكر بعض الأركان وإسقاط ما يترتب عليها من التزامات يدل على التهرب من تبعات التكليف.

الدلالة المنطوقية: النطق بقولهم (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) يثبت أنهم يختزلون الدين في فكرتين مجملتين يسهل ادعاؤهما دون التزام بشريعة الرسول.

الدلالة المفهومية: يلزم من بطلان إيمانهم مع نطقهم بهاتين الكلمتين أن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يصح ولا يقبل إلا مقروناً بالإيمان بالرسول وطاعة الوحي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاختزال النفاقي محاولة التحايل على الدين لتفريغه من مضمونه التشريعي والأخلاقي.

الخلاصة: لا إيمان بالله واليوم الآخر دون الإيمان بالرسالة والانقياد لأحكام الكتاب، ومن فصل بينهما فهو كافر منافق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في وصف المتقين ذكر الله الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالكتب المنزلة، واليقين بالآخرة، بينما اختصر المنافقون كل ذلك في جملة عائمة (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ).

الدلالة البلاغية: الفقر الدلالي في مقولة المنافقين مقارنة بالثراء العملي والعقدي في وصف المتقين يفضح سطحية إيمانهم وهشاشته.

الخلاصة: السياق التعبيري يقارن بين الدين الحقيقي المتكامل وبين التدين الشكلي الانتقائي الذي يروجه المنافقون.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (يُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) تفسر حكم من يدعي الإيمان بالله ويفصله عن الرسالة والاتباع.

ثانياً: آية سورة النور (وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) ترفع توهم صحة الإيمان عند التولي عن طاعة الرسول وحكم الكتاب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الفتح: 13)[وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا] يثبت التلازم الحتمي بين الإيمان بالله والإيمان برسوله.

ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 65)[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ] يقطع بانتفاء الإيمان عمن يرفض التحاكم للوحي.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن إيمان المنافقين بالله واليوم الآخر دعوى باطلة لتجردها من الاتباع والطاعة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن اختزال الدين في دعوى الإيمان بالله واليوم الآخر مع إهمال الرسالة والتكاليف هو مسلك المنافقين في كل عصر، وقد حكم القرآن ببطلان إيمانهم.

المسألة السادسة: دلالة الباء الزائدة للتوكيد في (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) على السلب المطلق للإيمان عن المنافقين (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن دخول الباء الجارة في خبر (ما) الحجازية العاملة عمل ليس في قوله تعالى (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) يفيد توكيد النفي واستغراقه، بحيث ينفي عنهم أصل الإيمان وكماله معاً، ويقطع دابر أي تأويل يحاول إثبات درجة من درجات الإيمان لهم.

الفهم الخاطئ: توهم أن المنافقين يملكون إيماناً ناقصاً أو ضعيفاً، أو أن الباء في الآية لا تفيد سوى الزيادة اللفظية دون أثر عقدي في سلب مسمى الإيمان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 145)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا].

قوله تعالى: (التوبة: 84)[وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 41)[وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا... قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 67)[الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الباء الجارة الداخلة على خبر النفي في اللسان العربي تسمى باء التوكيد، وتؤتى لتقوية النفي وتثبيته وإزالة كل احتمال لثبوت الخبر.

الدلالة المنطوقية: النطق بالجملة الاسمية المنفية بـ (ما) والمؤكدة بالباء (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) يقطع بانتفاء وصف الإيمان عنهم ثبوتاً واستمراراً.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا النفي المؤكد استواء المنافقين مع الكافرين الصرحاء في الخلود في النار، بل أشد عذاباً لجمعهم بين الكفر والخداع.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم الإلهي تكذيب المنافقين في شهادتهم لأنفسهم، وإثبات علم الله المحيط بالسرائر.

الخلاصة: الباء المؤكدة في خبر النفي تسلب عن المنافقين كل ذرة من الإيمان، وتقرر كفرهم الباطن بأبلغ عبارة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الجملة الاسمية المنفية رداً مباشراً على جملتهم الفعلية

(يَقُولُ آمَنَّا)، لتنسف دعواهم العارضة بحكم إلهي ثابت.

الدلالة البلاغية: الجرس الصوتي للباء المكسورة المتصلة باسم الفاعل (بِمُؤْمِنِينَ) يقرع السمع بقوة الحسم، ليغلق باب الجدل في حقيقة أمرهم.

الخلاصة: الأداء البلاغي يوظف أدوات التوكيد النحوية لإصدار حكم عقدي نهائي لا يقبل المراجعة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) تفسر النفي المؤكد في (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) وتصرح بكفرهم التام.

ثانياً: آية الدرك الأسفل من النار (النساء: 145) ترفع توهم وجود إيمان ناقص يشفع لهم، وتثبت أنهم في أسوأ منازل الكفار.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التوبة: 54)[وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ] يثبت بطلان أعمالهم لانتفاء أصل الإيمان.

ثانياً: قوله تعالى: (المنافقون: 3)[ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا] يقطع بتحقق الكفر في حقهم بعد تظاهرهم بالإيمان.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن النفي المؤكد بالباء يخرج المنافقين من دائرة الإيمان كلياً ويثبت كفرهم الباطن.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن قوله تعالى (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) المؤكد بالباء يسلب عن المنافقين صفة الإيمان سلباً مطلقاً، ويثبت أنهم كفار في الباطن مستحقون لأشد العذاب.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية الثامنة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الثامنة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بإثبات المد المنفصل في (آمَنَّا بِاللَّهِ) وكسر الباء في (بِاللَّهِ) و(بِالْيَوْمِ) و(بِمُؤْمِنِينَ) وتحقيق الهمزة في (بِمُؤْمِنِينَ) كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بإبدال الهمزة واواً أو تغيير الحركات.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تبدل همزة (بِمُؤْمِنِينَ) واواً خالصة أو تغير في صيغة الأفعال والأسماء بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وصوته المجمع عليه بين الأمة جيلاً بعد جيل دون تباين.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو تحقيق الهمزة في (بِمُؤْمِنِينَ) وإسكان ميم الجمع في (هُم) وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تبدل الهمزة واواً أو تضم ميم الجمع أو تغير في حركات الكلمات الثابتة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التواتر وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في أقطار الأرض، وصيانة النص من اللهجات الشاذة.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التطابق الصوتي التام بين (يُؤْمِنُونَ) في الآية الثالثة و(بِمُؤْمِنِينَ) في الآية الثامنة بتحقيق الهمزة يحفظ وحدة الجذر الصوتي والدلالي في السورة.

الدلالة البلاغية: وضوح المخارج وتحقيق الحروف يمنح النص جلالاً وهيبة تليق بكلام الله المحفوظ من التبديل.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحمي كتاب الله من التعددية والاضطراب وتحفظ للأمة مرجعيتها الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس،

وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في تحليل النفسية النفاقية وكشف الدوافع النفسية والاجتماعية للتظاهر بالإيمان (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية الثامنة تؤسس لعلم النفس الاجتماعي القرآني، حيث تكشف أن النفاق ينشأ حين يضعف اليقين مع وجود مصلحة دنيوية أو خوف اجتماعي يدفع الإنسان للتظاهر بما لا يعتقد، مما يورث انقسام الشخصية وفساد الضمير.

الفهم الخاطئ: النظر إلى النفاق كمجرد كذب لساني عابر دون إدراك جذوره النفسية المتمثلة في الجبن والانتهازية وحب الدنيا.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 141)[الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ].

قوله تعالى: (التوبة: 42)[لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 52)[فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ].

ب. قوله تعالى: (المنافقون: 2)[اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الانتهازية هي استغلال الظروف لتحقيق المنافع الخاصة دون التزام بمبدأ، وهي جوهر السلوك النفاقي.

الدلالة المنطوقية: إثبات أنهم يقولون آمنا مع انتفاء الإيمان يكشف عن ازدواجية متعمدة بين القول والاعتقاد.

الدلالة المفهومية: يلزم من كشف هذه الازدواجية أن قوة الحق وظهور المؤمنين يدفعان ضعاف النفوس إلى التلون والنفاق لحماية مصالحهم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التحليل دعوة المؤمنين إلى قياس صدق الانتماء بالمواقف العملية والتضحيات لا بالأقوال والشعارات.

الخلاصة: النفاق سلوك نفعي ناتج عن الجبن وحب الدنيا، والقرآن يعري هذا السلوك ليحمي المجتمع من المخادعين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء وصف المنافقين مباشرة بعد وصف الكافرين الصرحاء يبين أن النفاق هو الوجه المستتر للكفر عندما يعجز الكافر عن المواجهة المكشوفة.

الدلالة البلاغية: التناقض الحاد بين صدر الآية وعجزها يعكس التمزق الداخلي الذي يعيشه المنافق بين ما يعلنه وما يضمره.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يضع ميزاناً دقيقاً لكشف زيف المظاهر وحماية الوعي الجمعي للأمة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ) تفسر الدافع النفسي للنفاق وهو التربص وانتظار المغانم دون تحمل المغارم.

ثانياً: آية سورة المائدة (يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) ترفع توهم أي دافع شريف للنفاق، وتؤكد أن الجبن والخوف على المصالح هما محركاه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (محمد: 20)[فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ] يبين انهيار قناع النفاق عند التكاليف الشاقة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأحزاب: 19)[أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ] يوضح أن الشح والبخل بالتضحية من أبرز سمات النفسية النفاقية.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن القرآن يقدم تشريحاً نفسياً واجتماعياً دقيقاً للنفاق ليكون المؤمنون على بصيرة دائمة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية الثامنة تؤسس لمنهج كشف الازدواجية النفسية والاجتماعية، مبينة أن النفاق نتاج الجبن والانتهازية، وأن الشعارات اللسانية لا قيمة لها عند تخلف الصدق العملي.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر الآية الثامنة على عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه دون غيرهم (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في أسباب النزول التي تزعم أن قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) نزل في شخص معين هو عبد الله بن أبيّ بن سلول ونفر معه دون سائر المنافقين، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وتجريده للخطاب عن الأسماء التاريخية ليكون قانوناً عاماً سارياً في كل عصر.

الفهم الخاطئ: تصديق روايات التخصيص التاريخي الضيقة التي تحبس الآية في حادثة تاريخية منقضية، مما يجعل الأمة تغفل عن وجود المنافقين بينها في كل زمان.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 82)[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

قوله تعالى: (البقرة: 185)[هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 101)[وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ].

ب. قوله تعالى: (الأحزاب: 12)[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: لفظ (النَّاسِ) مع الاسم الموصول (مَنْ) من أعم صيغ العموم التي تستغرق كل فرد اتصف بهذه الصفة في كل عصر ومصر.

الدلالة المنطوقية: القرآن جرد الآية من أي اسم لشخص معين، وعبر بصيغة المضارع المستمر (مَن يَقُولُ) ليدل على استمرار الظاهرة.

الدلالة المفهومية: يلزم من تجريد النص عن الأسماء الشخصية بطلان الروايات التي تحصره في أفراد بأعيانهم؛ إذ القرآن كتاب هداية عالمي لا سجل أسماء تاريخي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التعميم حماية الأمة في كل جيل من الانخداع بالمنافقين الذين يكررون ذات المقولة.

الخلاصة: الروايات التي تحصر الآية في شخص معين باطلة لتصادمها مع عموم اللفظ ومقاصد التنزيل في تقرير القوانين الاجتماعية الدائمة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السورة تضع في مطلعها القواعد الكلية لأصناف البشر (المتقون، الكافرون، المنافقون) بأسلوب تجريدي مطلق خالٍ من الأسماء، مما يثبت شمولية التصنيف.

الدلالة البلاغية: الإطلاق والتعميم يرفعان النص فوق الحوادث الجزئية ليكون دستوراً حياً يميز الصادق من المخادع في كل جيل.

الخلاصة: السياق القرآني يأبى حصر القوانين البشرية العامة في وقائع فردية ترويها كتب المأثورات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) تسحق روايات تعيين أسماء المنافقين، وتثبت أن الله أخفى أعيانهم ليختبر الناس بالصفات والأعمال لا بالأسماء.

ثانياً: آية سورة الأحزاب ترفع توهم التخصيص الفردي، وتؤكد أن النفاق تيار متعدد الأفراد في كل مجتمع.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (محمد: 30)[وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ] يوضح أن معرفة المنافقين تكون بلحن القول ومواقفهم لا بروايات الأسماء.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 49)[إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ] يبين استمرار مقولاتهم في كل أزمة.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على بطلان الروايات التي تخصص الآية الثامنة بأشخاص معينين، وتثبت عمومها لكل منافق في كل عصر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر الآية الثامنة على أفراد تاريخيين بأعيانهم، والقطع بأن الآية قانون عام يصف كل منافق يتظاهر بالإيمان بلسانه ويكفر بقلبه في كل زمان.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في جواز التظاهر بالكفر أو ترك الفرائض تحت ستار التقية المطلقة دون إكراه ملجئ (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تشرعن ازدواجية العقيدة والسلوك وتجيز التظاهر بالباطل أو ترك شعائر الإسلام بدعوى التقية والمصلحة دون وجود

إكراه حقيقي يهدد الحياة، لمصادمة ذلك الصريحة لذم القرآن للانفصام بين القول والاعتقاد في قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ).

الفهم الخاطئ: توسيع باب الرخصة الاستثنائية للإكراه لتصبح منهجاً عاماً يبرر النفاق الاجتماعي والمداهنة في الدين لتحقيق المكاسب الدنيوية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النحل: 106)[مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ].

قوله تعالى: (الصف: 2، 3)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (آل عمران: 28)[لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً].

ب. قوله تعالى: (النساء: 97)[إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الصدق في اللسان هو مطابقة الظاهر للباطن والقول للعمل، والنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن طلباً للسلامة الدنيوية أو المنفعة.

الدلالة المنطوقية: القرآن يذم التناقض بين الظاهر والباطن في آية المنافقين، ويقصر رخصة النطق بخلاف الاعتقاد في سورة النحل على حالة الإكراه القهري الملجئ مع اطمئنان القلب بالإيمان.

الدلالة المفهومية: يلزم من حصر الرخصة في الإكراه الملجئ بطلان الروايات التي تجيز التلون والتظاهر بغير الحقيقة بدعوى التقية في غير مواطن الإكراه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم صيانة شخصية المسلم من الازدواجية والجبن، وتربيته على الصدق والشجاعة في إعلان الحق.

الخلاصة: الروايات التي تبرر الازدواجية والتلون في الدين بغير إكراه ملجئ باطلة؛ لأنها تفتح باب النفاق الذي حاربه القرآن.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الثامنة تفتتح فضح المتلونين الذين يغيرون أقوالهم بحسب مصالحهم، فجعل التلون فضيلة تحت أي مسمى يقلب موازين القرآن رأساً على عقب.

الدلالة البلاغية: الجزم بانتفاء الإيمان عمن يظهر خلاف ما يبطن يرسخ قيمة الوضوح والشفافية كأصل أصيل في العقيدة.

الخلاصة: السياق القرآني يربي المؤمن على وحدة الظاهر والباطن، ويفضح زيف الروايات التي تشرعن التلون والمداهنة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الصف (كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) تسحق دلالة الروايات التي تهون من مخالفة القول للعمل والاعتقاد.

ثانياً: آية سورة النساء (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) ترفع توهم جواز الإقامة على التظاهر بالباطل وتوجب الهجرة عند العجز عن إظهار الدين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحزاب: 70)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] يوجب استقامة القول ومطابقته للحق دائماً.

ثانياً: قوله تعالى: (التوبة: 119)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] يحصر الولاية والنجاة في الصدق التام ظاهراً وباطناً.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال الروايات التي تشرعن الازدواجية، وتؤكد أن المؤمن صادق موحد الظاهر والباطن لا يتلون إلا عند الإكراه القهري الصريح.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تبيح الازدواجية والتلون في الدين دون إكراه ملجئ، والقطع بأن التناقض بين الظاهر والباطن هو جوهر النفاق المذموم في الآية الثامنة.

(البقرة: 9)

[يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة مخادعة المنافقين لله وتنزيه الذات الإلهية عن الانخداع (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن إسناد المخادعة إلى المنافقين في قوله تعالى (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) يعني إتيانهم بأفعال المخادعين ومحاولتهم التحايل على أحكام الله وشرعه، مع القطع بتنزيه الله تعالى عن أن يُخدع أو يُمكر به لإحاطة علمه المطلق بالسرائر والضمائر.
الفهم الخاطئ: توهم أن صيغة المفاعلة (يُخَادِعُونَ) تقتضي إمكانية انخداع الله تعالى بحيل المنافقين أو جهله ببواطنهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الملك: 14)[أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ].
قوله تعالى: (آل عمران: 5)[إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 142)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ].
ب. قوله تعالى: (الأنفال: 30)[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: المخادعة في أصل الوضع اللغوي هي إظهار الخير وإضمار الشر بقصد إيقاع الغير في الغفلة، وتأتي صيغة (فاعل) في اللسان العربي للمحاولة وبذل

الجهد في الفعل دون اشتراط وقوعه من الطرفين.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) يثبت سعي المنافقين الدؤوب للتحايل على شريعة الله وعلى جماعة المؤمنين.

الدلالة المفهومية: يلزم من إحاطة علم الله بكل شيء استحالة انخداعه سبحانه، فينصرف الفعل إلى محاولتهم الفاشلة واستهانتهم برقابة الخالق.

الدلالة التضمنية: يتضمن قرن الله بالمؤمنين في (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) أن التحايل على المؤمنين والتلاعب بأحكام الشرع هو في حقيقته محاربة ومخادعة لله.

الخلاصة: المنافقون يتعاملون مع الله بمكرهم كأنهم يخادعون بشراً، والله عالم بسرائرهم ومبطل لمكرهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية استئنافاً بيانياً بعد كشف كذبهم في (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) يوضح الدافع الخفي وراء ترديدهم لكلمة الإيمان، وهو قصد الخداع والتحايل.

الدلالة البلاغية: التعبير بالمضارع (يُخَادِعُونَ) يصور استمرارهم في حبك المؤامرات وتجديد حيلهم كلما انكشفت حيلة.

الخلاصة: البناء التعبيري يعري جوهر النفاق، ويثبت أنه جريمة عقلية وأخلاقية تقوم على التلاعب بالحقائق.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) تفسر مآل هذه المخادعة، وتبين أن الله يجازيهم من جنس عملهم بإبطال كيدهم واستدراجهم إلى حتفهم.

ثانياً: آية سورة آل عمران (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ) ترفع توهم غفلة الله عن حيلهم، وتؤكد كمال العلم الإلهي.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الرعد: 42)[وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ] يثبت انفراد الله بالتدبير الكامل وإحاطته بكل كسب.

ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 43)[وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] يقرر السنة الإلهية في ارتداد الخداع والمكر على صاحبه.

الخلاصة: تتطابق النصوص لتقرر تنزيه الله عن الانخداع، وتثبت أن محاولة مخادعة الله هي قمة الجهل بصفات الربوبية.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن المنافقين يحاولون التحايل على أحكام الله ورسوله كأنهم يخادعون الله، والله منزه عن الانخداع لعلمه المطلق، وإنما يرتد خداعهم تدميراً على أنفسهم.

المسألة الثانية: حقيقة خداع المؤمنين وحرمة الغش والخديعة في المعاملات والعلاقات (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن الخداع والغش والتدليس محرم تحريماً قطعياً في شريعة الإسلام، سواء وقع في العقيدة أم في المعاملات المالية والاجتماعية، وأن المؤمن الصادق مأمور باليقظة والحذر حتى لا يكون فريسة لمكر المنافقين والمخادعين.

الفهم الخاطئ: ظن أن حسن الظن بالمنافقين أو الفاسقين يقتضي الغفلة والسذاجة، أو التهاون في تحريم الغش والخداع في المعاملات الدنيوية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المطففين: 1، 2، 3)[وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 58)[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 107)[وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا].

ب. قوله تعالى: (الأنفال: 58)[وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الخداع في أصل اللغة هو التلبيس وإخفاء العيب وإظهار خلاف الحقيقة لإلحاق الضرر بالآخرين أو سلب حقوقهم.

الدلالة المنطوقية: ذم القرآن للمنافقين بوصف المخادعة يقرر حرمة الخداع بجميع صوره ومستوياته في الشريعة.

الدلالة المفهومية: يلزم من تحريم مخادعة المؤمنين وجوب الصدق والأمانة والوضوح في جميع المعاملات، وتحريم الغش والتزوير والتدليس.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان مشروعية أخذ المؤمنين حذرهم من أهل الريبة دون ظلم أو عدوان.

الخلاصة: الخديعة والغش من أخلاق المنافقين المحرمة شرعاً، والمؤمن مطالب بالصدق الكامل وبالفطنة التي تحميه من مكر الخائنين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: عطف (وَالَّذِينَ آمَنُوا) على لفظ الجلالة في معرض المخادعة يرفع من قدر المؤمنين، ويجعل الاعتداء عليهم بالخديعة جريمة كبرى.

الدلالة البلاغية: الجمع بين مخادعة الله ومخادعة المؤمنين في فعل واحد يبرز قدسية حقوق المؤمنين وعصمة أموالهم وأعراضهم من الغش.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يرسخ مبدأ النزاهة والشفافية كركيزة أساسية في بناء المجتمع المسلم.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) تفسر حكم الله في كل

من يمارس الخداع والخيانة في السر والعلن.

ثانياً: آية سورة الأنفال (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) ترفع توهم وجوب الاستسلام للخداع، وتشرع الحذر واليقظة القانونية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 102)[وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ] يوجب على المؤمنين اليقظة الدائمة تجاه مكائد الأعداء والمنافقين.

ثانياً: قوله تعالى: (الحجرات: 6)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا] يضع المنهج العملي للوقاية من خداع الفاسقين والمنافقين.

الخلاصة: تتطابق النصوص الفقهية في القرآن على تحريم الخداع بشتى أنواعه، وإلزام المؤمنين بالصدق والفطنة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع هو تحريم الخداع والغش والتدليس في الدين والدنيا باعتباره من خصائص المنافقين، ووجوب التزام المؤمن بالصدق التام مع اليقظة والحذر من كيد المخادعين.

المسألة الثالثة: قانون ارتداد المكر والخداع على صاحبه في قوله تعالى (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الخداع والمكر السيئ محكوم عليهما بسنة إلهية كونية لا تتخلف، وهي ارتداد عاقبتهما وبالاً وخسراناً على صاحبهما وحده، بحيث يكون المخادع هو الضحية الحقيقية لخداعه في الدنيا بالفضيحة والقلق، وفي الآخرة بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد بأن المكر والخداع وسيلة ذكية لتحقيق المكاسب الدائمة والنجاة من العواقب، أو الظن بأن المخادع ينتصر على الصادقين في نهاية المطاف.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (فاطر: 43)[وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا].

قوله تعالى: (يونس: 23)[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 123)[وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ].

ب. قوله تعالى: (آل عمران: 54)[وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) يفيد قصر نتيجة الخداع وآثاره المدمرة على ذات الفاعل دون غيره.

الدلالة المنطوقية: النطق بحصر الخداع في أنفسهم ينفي وصول الضرر الحقيقي المستمر إلى الله أو إلى المؤمنين الصادقين.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الحصر القاطع أن كل حيلة يدبرها المنافق لإيذاء المؤمنين تتحول إلى حجة عليه وسبب في هلاكه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا القانون الإلهي طمأنة المؤمنين بأن مكر أعدائهم محكوم بالفشل الذريع مهما بدا في الظاهر متقناً.

الخلاصة: المخادع يظن أنه يضر غيره، وهو في الحقيقة يدمر نفسه ويهدم مستقبله الأبدي بيده.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الانتقال من (يُخَادِعُونَ) بصيغة المفاعلة الدالة على المحاولة إلى (يَخْدَعُونَ) بصيغة الفعل المجرد الدالة على التحقق والوقوع يثبت أن المحاولة في حق

الغير فشلت، والوقوع الفعلي تم في حق أنفسهم.

الدلالة البلاغية: المفارقة الصارخة بين قصد المنافق إيقاع الأذى بغيره وبين وقوع الأذى في نفسه تثير السخرية من غبائه الفكري والروحي.

الخلاصة: الصياغة البلاغية تفضح قصر نظر المخادعين، وتؤكد أن الحق محروس بعناية الله.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنعام (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) تفسر اطراد هذه السنة في كل مجتمع يظهر فيه المكر والخداع.

ثانياً: آية سورة فاطر (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) ترفع توهم نجاة الماكرين، وتؤكد حتمية ارتداد السوء على صاحبه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 107)[إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ] يثبت أن الخيانة والخداع هما في الحقيقة خيانة للنفس وتدمير لها.

ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 145)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ] يبين النتيجة النهائية التي جنوها على أنفسهم بخداعهم.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرير سنة كونية ثابتة، وهي أن الخداع والمكر يرتدان بالوبال على صاحبهما وحده.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن قوله تعالى (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) يقرر سنة إلهية قطعية، وهي أن مكر المنافقين وخداعهم لا يضر الله ولا المؤمنين شيئاً، بل يرتد هلاكاً وخسراناً على أنفسهم وحدهم.

المسألة الرابعة: الفرق الصرفي والدلالي الدقيق بين صيغتي (يُخَادِعُونَ) و(يَخْدَعُونَ) في الآية الواحدة (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن العدول من صيغة (يُخَادِعُونَ) على وزن يفاعلون إلى صيغة (يَخْدَعُونَ) على وزن يفعلون في آية واحدة هو قمة الإعجاز اللساني؛ لأن (يُخَادِعُونَ) تفيد المحاولة والمغالبة غير المتحققة مع الله والمؤمنين، بينما (يَخْدَعُونَ) تفيد تحقق الخداع ونفوذه الفعلي في أنفسهم وحدهم.

الفهم الخاطئ: ظن أن الصيغتين مترادفتان تماماً في المعنى، أو إغفال السر البياني الكامن في تغيير الوزن الصرفي داخل الجملة الواحدة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الزمر: 28)[قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ].

قوله تعالى: (هود: 1)[كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 142)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 182، 183)[وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: وزن (فَاعَلَ / يُفَاعِلُ) في الصرف العربي يدل على السعي والمحاولة والمغالبة بين طرفين، بينما وزن (فَعَلَ / يَفْعَلُ) يدل على إيقاع الفعل وتحقق أثره في المفعول.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (يُخَادِعُونَ) في الشطر الأول ثم (يَخْدَعُونَ) في الشطر الثاني يفرق لفظياً بين مجرد المحاولة وبين تحقق النتيجة.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التغاير الصرفي أن محاولتهم خداع الله والمؤمنين لم تتحقق، وأن الخداع الفعلي لم يقع إلا على أنفسهم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الإحكام الصرفي دقة التعبير القرآني الذي يضع كل حرف ووزن في موضعه الدقيق دون حشو أو اضطراب.

الخلاصة: صيغة (يُخَادِعُونَ) تثبت جرم المحاولة، وصيغة (يَخْدَعُونَ) تثبت خيبة النتيجة وارتدادها على الفاعل.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت الصيغتان متقابلتين في جملة واحدة لترسما المشهد الكامل للمؤامرة؛ البداية بمحاولة ذكية في ظنهم، والنهاية بوقوعهم في الفخ الذي نصبوه.

الدلالة البلاغية: التجانس الصوتي مع التغاير الصرفي بين الكلمتين يولد إيقاعاً بيانياً يشد انتباه السامع إلى المفارقة العجيبة في مصير المنافقين.

الخلاصة: الأداء البلاغي يوظف علم الصرف لإبراز التناقض بين وهم المنافقين وحقيقة واقعهم.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) تفسر أن الله يجازيهم على محاولتهم بإيقاع الخداع الفعلي بهم.

ثانياً: آية سورة الأعراف (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) ترفع توهم نجاح حيلهم، وتبين أن إمهال الله لهم هو عين استدراجهم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنفال: 30)[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ] يوضح أسلوب القرآن في مقابلة محاولة العبد بتقدير الرب.

ثانياً: قوله تعالى: (النمل: 50)[وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] يطابق تماماً مشهد الغفلة عن عاقبة المكر.

الخلاصة: تتطابق شواهد اللسان القرآني على أن التغاير بين (يُخَادِعُونَ) و(يَخْدَعُونَ) إعجاز بياني يفصل بين المحاولة الفاشلة وبين العقوبة الواقعة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن القرآن فرق بدقة متناهية بين محاولة الخداع غير المتحققة تجاه الله والمؤمنين بصيغة (يُخَادِعُونَ)، وبين وقوع الخداع الفعلي على أنفسهم بصيغة (يَخْدَعُونَ).

المسألة الخامسة: حقيقة فقدان الشعور والوعي البصيري في قوله تعالى (وَمَا يَشْعُرُونَ) وأثر المعاصي في طمس الإدراك (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن النفاق والخداع يورثان صاحبهما عمىً في البصيرة وتبلداً في الشعور، بحيث يفقد القدرة على إدراك خطورة ما يصنع وعواقبه المدمرة على نفسه، فيظن أنه يربح وهو يخسر، ويظن أنه ينجو وهو يهلك.

الفهم الخاطئ: ظن أن فقدان الشعور يعني عذر المنافق بالجهل ورفع التكليف عنه، أو أن الذكاء الدنيوي والمكر يغنيان عن البصيرة الإيمانية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الكهف: 103، 104)[قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا].

قوله تعالى: (الأعراف: 179)[أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 12)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ].

ب. قوله تعالى: (الزخرف: 37)[وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الشعور في أصل الوضع اللغوي هو الإدراك الدقيق اللطيف الذي يصل إلى دقائق الأمور وبواطنها، ومنه سمي الشاعر لدقة فطنته.

الدلالة المنطوقية: النطق بنفي الشعور عنهم بـ (وَمَا يَشْعُرُونَ) يثبت غفلتهم التامة عن حقيقة ما يجلبونه على أنفسهم من الهلاك.

الدلالة المفهومية: يلزم من نفي الشعور الدقيق عنهم أنهم يملكون إدراكاً سطحياً للمصالح الدنيوية العاجلة، لكنهم فاقدون للبصيرة التي تدرك العواقب.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الوصف أن الإصرار على الخداع والنفاق يطمس الفطرة السليمة ويعاقب صاحبه بسلب التمييز الصحيح.

الخلاصة: فقدان الشعور لدى المنافقين هو عقوبة ناتجة عن مكرهم، وهو غفلة تزيد في جرمهم ولا تعذرهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام الآية بـ (وَمَا يَشْعُرُونَ) يفسر سر استمرارهم في الخداع رغم فشله؛ لأنهم مخدرون بغرورهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم.

الدلالة البلاغية: الإطلاق في نفي الشعور (وَمَا يَشْعُرُونَ) دون ذكر مفعول به يفيد عموم بلادتهم وانعدام إحساسهم بكل حقائق الوجود والمصير.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يصور المنافق في صورة مخيفة لإنسان يحفر قبره بيده وهو يضحك ويظن أنه يبني قصراً.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الكهف (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) تفسر طبيعة هذا اللاشعور، وتبين أنه وهم نفسي يقلب الموازين في عقل المنحرف.

ثانياً: آية سورة البقرة (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) ترفع توهم ذكاء المنافقين، وتؤكد أن النفاق عين الغفلة والسفه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 44)[حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ] يبين كيف يغفل الماكرون عن الاستدراج حتى يفاجئهم الهلاك.

ثانياً: قوله تعالى: (الحديد: 14)[وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

الْأَمَانِيُّ] يوضح العوامل النفسية التي أذهبت شعورهم بالحق.
الخلاصة: تتطابق النصوص على أن النفاق يفسد البصيرة ويسلب الإنسان الشعور السليم بعواقب أفعاله.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن قوله تعالى (وَمَا يَشْعُرُونَ) يكشف عن عمى البصيرة الذي يصيب المنافقين جزاءً لمكرهم، بحيث يظنون أنهم يخدعون غيرهم بينما هم يدمرون أنفسهم دون وعي.

المسألة السادسة: حقيقة التفريق بين الذكاء الدنيوي الماكر وبين العقل الرشيد المورث للشعور بالحق (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن المهارة في الحيل الدنيوية والقدرة على الخداع والتلون ليست عقلاً حقيقياً ولا حكمة في ميزان القرآن، بل هي سفه وحمق وغفلة؛ لأن العقل الحقيقي هو ما أرشد صاحبه إلى طاعة الله والنجاة في الآخرة.
الفهم الخاطئ: تمجيد المكر والخداع في الثقافة البشرية واعتبار المنافقين المخادعين أذكياء ودهاة، مقابل وصف المؤمنين الصادقين بالبساطة والسذاجة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (البقرة: 13)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ].
قوله تعالى: (الأنفال: 22)[إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (الروم: 7)[يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ].
ب. قوله تعالى: (النساء: 142)[يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: العقل في أصل الوضع اللغوي مأخوذ من العقال الذي يربط صاحبه ويمنعه من الوقوع في المهالك، بينما المكر هو التحايل الأعمى عن العواقب.

الدلالة المنطوقية: وصف المخادعين بأنهم يخدعون أنفسهم ولا يشعرون يسلب عنهم صفة التعقل والرشد رغم تخطيطهم ومكرهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من سلب الشعور والعلم عن المخادعين أن الذكاء المنفصل عن هداية الله وطاعته هو عين الغباء والانتحار الروحي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الميزان القرآني تصحيح المفاهيم الاجتماعية، وإعلاء قيمة الصدق والأمانة بوصفهما قمة العقل والحكمة.

الخلاصة: العقل الحقيقي هو ما أورث الخشية والشعور بالمسؤولية أمام الله، أما دهاء الخداع فهو غفلة وسفه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: المنافقون يظنون أنهم أذكى من المؤمنين لأنهم يأخذون منافع الدنيا بلسانهم ويحتفظون بكفرهم في قلوبهم، فجاءت الآية لتصفهم بعدم الشعور.

الدلالة البلاغية: المقابلة الضمنية بين ظنهم الذكاء وبين حكم الله عليهم بالجهل واللاشعور تحطم غرورهم النفسي.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يعيد تعريف الذكاء والنجاح وفق معايير الحق والخلود لا وفق معايير الخداع العابر.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الروم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) تفسر الفارق بين الذكاء السطحي وبين الوعي الشامل.

ثانياً: آية سورة البقرة (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) ترفع توهم رجاحة عقول المنافقين، وتثبت أن المخادع سفيه يضر نفسه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأعراف: 182)[سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ] يبين أن غفلتهم عن مكر الله هي قمة الجهل.
ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 10)[وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ] يثبت بوار وهلاك كل تخطيط قائم على الخداع.
الخلاصة: تتطابق النصوص على أن المكر والخداع جهل وسفه، وأن العقل الرشيد لا ينفك عن الصدق والإيمان.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن المهارة في الخداع والتحايل ليست عقلاً ولا ذكاءً في ميزان الوحي، بل هي عمىً وغفلة وسفه يورد صاحبه المهالك وهو لا يشعر.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية التاسعة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية التاسعة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بلفظ (يُخَادِعُونَ) في الموضع الأول وبلفظ (وَمَا يَخْدَعُونَ) بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال في الموضع الثاني، وإثبات المد المنفصل في (إِلَّا أَنفُسَهُمْ) كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بقراءة (وَمَا يُخَادِعُونَ) أو (يُخَدِّعُونَ) في الموضع الثاني.
الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في صيغة الفعل الثاني إلى (وَمَا يُخَادِعُونَ) أو (وَمَا يُخَدِّعُونَ) بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يطمس الفارق الدلالي المعجز بين المحاولة في الأول والوقوع الفعلي في الثاني.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].
قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وصوته وصيغه الصرفية المجمع عليها بين الأمة جيلاً بعد جيل.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو (يُخَادِعُونَ) بالألف في الأول، و(وَمَا يَخْدَعُونَ) بغير ألف وبفتح الياء والدال في الثاني وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تزيد ألفاً في (يَخْدَعُونَ) أو تشدد الدال أو تغير حركات الفعل.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط المتواتر صيانة المعنى البلاغي المعجز القائم على التغاير بين المحاولة والوقوع.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: التباين الصوتي والصرفي بين (يُخَادِعُونَ) و(يَخْدَعُونَ) في المصحف المتواتر يحدث جرساً بيانياً يحسم المعنى، وهو ما يضيع لو تشابه اللفظان.

الدلالة البلاغية: الثبات اللفظي للنص يضفي عليه إحكاماً لغوياً لا يدانيه كلام بشر.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحفظ كتاب الله من الاختلاف وتصون دقائقه البلاغية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو صيغه الصرفية.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس بلفظ (يُخَادِعُونَ) ثم (وَمَا يَخْدَعُونَ)، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في إثبات الحصانة الذاتية للحق وأهله تجاه مؤامرات المبطلين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية التاسعة ترسخ قاعدة إيمانية وحضارية كبرى، وهي أن دين الله وحزبه المؤمن الصادق محصنان من مكائد المنافقين ومؤامراتهم الخفية، وأن كل محاولة لاختراق الصف أو التحايل على الشرع تنتهي بفضيحة المخادعين وبقاء الحق نقياً ظاهراً.

الفهم الخاطئ: تضخيم قدرات المنافقين والمخادعين وإشاعة الخوف والانهزام النفسي في صفوف المؤمنين من مؤامراتهم الخفية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 120)[وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ].

قوله تعالى: (الأنفال: 18)[ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 141)[وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا].

ب. قوله تعالى: (محمد: 30)[وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الحصانة هي المنعة والوقاية التي تمنع وصول الأذى إلى المحصن وترد كيد المعتدي في نحره.

الدلالة المنطوقية: حصر أثر الخداع في أنفس المنافقين (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) يثبت سلامة دين الله وجماعة المؤمنين من الأثر المدمر لمكرهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من إحاطة الله بمكرهم وفضحهم في كتابه أن المؤمنين متى التزموا التقوى واليقظة فلن يضرهم كيد المخادعين.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا البيان إشاعة الطمأنينة والثقة بنصر الله في قلوب أهل الإيمان.

الخلاصة: دين الله محفوظ والمؤمنون الصادقون في حصن منيع ما داموا متمسكين بالكتاب، وكيد المنافقين واهن ومرتد عليهم.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية بعد بيان اندساس المنافقين في الصف المسلم يطمئن المؤمنين بأن هذا الاندساس تحت رقابة الله وعلمه ولن يفسد مسيرة الدعوة.

الدلالة البلاغية: القصر المطلق بالنفي والاستثناء يحجم خطر المنافقين ويقصره على هلاك أنفسهم، مما يبدد أوهام قوتهم الخفية.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يبني مناعة نفسية وفكرية في الأمة تجاه حروب الخداع والتضليل.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة آل عمران (وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) تفسر شرط التحصن من خداع المنافقين وهو الصبر والتقوى.

ثانياً: آية سورة الأنفال (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) ترفع توهم غلبة المكر، وتؤكد أن سنة الله إضعاف وإبطال كيد المبطلين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التوبة: 47)[لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا... وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] يبين أن الله يكشف نواياهم ويحمي المؤمنين من شرهم.

ثانياً: قوله تعالى: (الصف: 8)[يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ] يقرر بقاء نور الوحي رغم كل محاولات الخداع والتشويه.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن الحق محصن بعناية الله، وأن محاولات المخادعين لا تزيدهم إلا خسراناً.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية التاسعة تمنح المؤمنين يقيناً ثابتاً بحصانة الحق وأهله، وتؤكد أن مؤامرات المخادعين واهنة ومقصورة في ضررها على أنفسهم وحدهم.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات صفة الخداع والمكر لله على وجه الحقيقة التشبيهية أو نسبة السخرية اللفظية (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تفسر مخادعة الله للمنافقين في نظائر هذه الآية بأن الله يخادعهم بمثل حيلهم في الدنيا أو يفتح لهم باباً إلى الجنة ثم يغلقه سخريةً بهم، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في تنزيه الله عن العبث والخداع والظلم، وبيان أن الجزاء الإلهي هو عدل محض وإبطال لمكرهم.

الفهم الخاطئ: حمل صيغ المقابلة والمشاكلة اللفظية في القرآن على ظاهرها التشبيهي البشري بناءً على روايات تجسم أفعال الله وتنسب إليه الخداع والسخرية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الشورى: 11)[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ].

قوله تعالى: (النحل: 60)[وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 142)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ].

ب. قوله تعالى: (البقرة: 15)[اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الخداع في وضع البشر مذموم لأنه قائم على الكذب والغش ونقص القدرة، والله منزه عن كل نقص ومشابهة للمخلوقين، وإنما يسمى جزاؤه العادل على الخداع خداعاً من باب المشاكلة اللفظية والعدل في العقوبة.

الدلالة المنطوقية: الآية التاسعة في سورة البقرة أسندت الخداع للمنافقين وحدهم ونزّهت الله عنه بقولها (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ).

الدلالة المفهومية: يلزم من تنزيه الله عن مشابهة الخلق وله المثل الأعلى بطلان كل رواية تصف الله بالتحايل البشري أو فتح أبواب وهمية للجنة للتلاعب بالعباد.

الدلالة التضمنية: يتضمن التنزيه الصحيح إثبات كمال حكمة الله وعدله في إبطال مكر المنافقين وإيقاع العقوبة العادلة بهم.

الخلاصة: الروايات التي تنسب لله الخداع الحقيقي أو التلاعب بالعباد باطلة؛ لأن الله عزيز حكيم لا يظلم ولا يخدع.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية تفضح سفه المنافقين في ظنهم إمكانية خداع الله، فلو كان الله يخادعهم بمثل أسلوبهم لكان ذلك تشبيهاً للخالق بالمخلوق المذموم.

الدلالة البلاغية: المشاكلة في نظائر الآية (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) تعني مجازاتهم على خداعهم بإبطال كيدهم، لا اتصاف الله بصفة الخداع المذمومة.

الخلاصة: السياق القرآني يصون جلال الذات الإلهية عن أوصاف النقص البشري ويفضح زيف روايات التجسيم والتشبيه.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الشورى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) تسحق دلالة الروايات التي تشبه أفعال الله بمكر البشر وخداعهم.

ثانياً: آية سورة النحل (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) ترفع توهم اتصاف الله بأي صفة نقص أو تحايل، وتثبت أن جزاءه عدل وحكمة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (فاطر: 43)[وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] يبين أن الجزاء الإلهي هو حيق المكر بأهله بعدل وحكمة.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا] يقطع بأن كل فعل وقول لله هو صدق محض وعدل مطلق.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على تنزيه الله عن الخداع والعبث، وإبطال الروايات التي تنسب لله أفعالاً تشبه حيل البشر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تنسب لله الخداع الحقيقي أو العبث بالعباد، والقطع بأن الله منزه عن مشابهة الخلق، وأن جزاءه للمنافقين هو عدل محض وإبطال لمكرهم.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في جواز استخدام الكذب والخداع المطلق في الحروب والخصومات استناداً إلى أسلوب المقابلة (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تشرعن الكذب والخداع والغدر ونقض العهود في الخصومات والمعاملات بدعوى أن الحرب خدعة أو أن خداع المخادع جائز مطلقاً، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في تحريم الخيانة والغدر وإيجاب الوفاء بالعهود والصدق المطلق حتى مع الأعداء.

الفهم الخاطئ: توسيع مفهوم التورية والمناورة الحربية المشروعة لتشمل الكذب الصريح والغدر ونقض المواثيق، بناءً على روايات تخالف صريح القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المائدة: 8)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ].

قوله تعالى: (الأنفال: 58)[وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النحل: 91)[وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا].

ب. قوله تعالى: (النحل: 105)[إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الصدق والوفاء أصلان قطعيان في الشرع، بينما الكذب والغدر والخداع من كبائر الذنوب وصفات المنافقين التي لا تباح بحال.

الدلالة المنطوقية: القرآن ذم الخداع والمخادعين في الآية التاسعة ذماً مطلقاً، وأمر في سورة الأنفال بنبذ العهد على سواء وإعلام العدو قبل القتال منعاً للغدر والخداع.

الدلالة المفهومية: يلزم من تحريم الله للخيانة والغدر والكذب بطلان كل رواية تبيح للمؤمن أن يكون كذاباً أو مخادعاً أو غادراً مع أي إنسان.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المبدأ السامي سمو أخلاق الإسلام التي لا تبيح الوسائل القذرة لتحقيق الغايات، بل تلتزم بالحق والعدل في السلم والحرب.

الخلاصة: الروايات التي تبيح الكذب والخداع والغدر باطلة؛ لأن الإسلام يحرم الخيانة والكذب تحريماً مطلقاً ويجعل الخداع صفة للمنافقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية التاسعة تجعل الخداع سمة ملازمة للمنافقين الذين هم أعداء الإيمان، فكيف يشرع الإسلام لأهله التخلق بأخلاق المنافقين؟

الدلالة البلاغية: التنفير الشديد من الخداع وبيان ارتداده على صاحبه يربي المؤمن على الشفافية والنزاهة في كل مواقفه.

الخلاصة: السياق القرآني ينزه المؤمن عن التلوث بأخلاق الخداع والكذب، ويرسخ مبدأ العدل والوفاء المطلق.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنفال (فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) تسحق دلالة الروايات التي تبيح الغدر والخداع في الحرب.

ثانياً: آية سورة النحل (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ترفع توهم جواز الكذب، وتقطع بأن الكذب ينافي الإيمان بآيات الله.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 105)[وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا] ينهى عن الدفاع عن الخداع والخيانة بأي مبرر.

ثانياً: قوله تعالى: (التوبة: 4)[فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] يوجب الوفاء التام حتى مع المشركين.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على تحريم الكذب والخداع والغدر، وإبطال الروايات التي تجيز التلاعب بالأقوال والعهود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تشرعن الكذب والخداع والغدر في الخصومات والحروب، والقطع بأن الخداع صفة مذمومة محرمة على المؤمن في كل حال، وأن العدل والوفاء هما شريعة الله الثابتة.

(البقرة: 10)

[فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة المرض القلبي وعلاقته بالشك والريبة في الاعتقاد (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن المراد بـ (مَّرَضٌ) في قلوب المنافقين هو الفساد المعنوي والعقدي المتمثل في الشك، والريبة، والحقد، وحب الرئاسة والشهوات، والذي يخرج القلب عن صحته الفطرية في التوحيد والصدق، وليس مرضاً عضوياً في الجسد.
الفهم الخاطئ: توهم أن المرض القلبي علة جسدية ترفع التكليف أو تبرر السلوك المنحرف، أو ظن أنه مجرد ضعف إيماني بسيط يجامع صحة العقيدة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الشعراء: 88، 89)[يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ].

قوله تعالى: (الحج: 53)[لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المدثر: 31)[وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا].

ب. قوله تعالى: (الأحزاب: 12)[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: المرض في أصل الوضع اللغوي هو خروج الشيء عن حد الاعتدال والصحة إلى الفساد والاضطراب المؤدي للهلاك، ويستعمل في القلوب لفساد التصور والإرادة.

الدلالة المنطوقية: النطق بتقديم الجار والمجرور (فِي قُلُوبِهِم) وتنكير المبتدأ (مَّرَضٌ) يثبت استقرار هذا الفساد العقدي والنفسي في أعماق قلوبهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من ثبوت مرض الشك والنفاق في قلوبهم انتفاء السلامة القلبية التي هي شرط النجاة يوم القيامة.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الوصف أن فطرة الإنسان السليمة هي الإيمان واليقين، وأن الكفر والنفاق انحراف مرضي طارئ على تلك الفطرة.

الخلاصة: مرض القلوب هو الشك والرياء وحب الدنيا الذي يفسد إدراك الإنسان للحق ويورده المهالك.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية استئنافاً بيانياً بعد كشف خداعهم في الآية السابقة يوضح الباعث الداخلي الذي دفعهم للخداع، وهو اعتلال قلوبهم بالشك.

الدلالة البلاغية: تصوير الشك والنفاق بالمرض الفتاك يثير في النفس السليمة النفور والاشمئزاز، ويدفعها لطلب العلاج بالوحي.

الخلاصة: البناء التعبيري يشخص داء النفاق تشخيصاً دقيقاً يربط انحراف السلوك الظاهر بفساد القلب الباطن.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الشعراء (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) تفسر نقيض القلب المريض، وتثبت أن السلامة القلبية هي البراءة من الشرك والنفاق.

ثانياً: آية سورة الأحزاب (مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) ترفع توهم المرض العضوي، وتبين أن أثر مرض القلب هو الشك في وعد الله.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التوبة: 125)[وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ] يفسر أن المرض القلبي رجس معنوي يتضاعف عند نزول الآيات.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 57)[وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ] يبين أن القرآن هو الدواء الحقيقي لأمراض الشك والنفاق لمن أقبل عليه بصدق.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرر أن مرض القلوب هو اعتلال العقيدة بالشك والنفاق، وهو داء مهلك لا يشفى إلا بالإيمان الصادق.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن المرض المذكور في قوله تعالى (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) هو مرض الشك والريبة والنفاق الذي يفسد فطرة القلب ويخرجه عن صحة التوحيد واليقين.

المسألة الثانية: حقيقة الزيادة الإلهية للمرض (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) وعدالة الجزاء من جنس العمل (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن زيادة الله للمنافقين مرضاً هي عقوبة سننية عادلة مترتبة على اختيارهم الفاسد وكذبهم المستمر، وذلك بأن يفتح الله عليهم أبواب الفتن والآيات التي تفضح شكهم وتضاعف حيرتهم جزاءً لإعراضهم، مع تنزيه الله تعالى عن ظلمهم أو إجبارهم على الكفر.

الفهم الخاطئ: ادعاء الجبرية أن الله يخلق الكفر والمرض في قلوب الناس ابتداءً دون سبب منهم، أو تأويل الزيادة بأنها مجرد خبر كاذب أو مجاز لا حقيقة له.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 40)[إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ].

قوله تعالى: (الصف: 5)[فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 125)[وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ].

ب. قوله تعالى: (الإسراء: 82)[وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفاء في (فَزَادَهُمُ) هي فاء السببية والترتيب، والزيادة هي إلحاق مثل الشيء به وتنميته بناءً على أصل موجود فيه سلفاً.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) يثبت أن وجود أصل المرض باختيارهم سبق فعل الزيادة الإلهية وكان سبباً مباشراً لها.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون الزيادة مسببة عن مرضهم السابق وكذبهم انتفاء الظلم والجبر عن الله سبحانه، وثبوت عدالة الجزاء من جنس العمل.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا القانون السنني أن آيات الله ونعمه تزيد الصادقين نوراً وهداية، وتزيد المعاندين حيرة ومرضاً لاختلاف قابلية القلوب.

الخلاصة: الله يجازي من اختار الشك والنفاق بمضاعفة حيرته واضطرابه، وهي سنة كونية عادلة في جميع المخلوقات.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الربط المباشر بالفاء بين مرضهم الذاتي وبين زيادة الله لهم مرضاً يظهر سرعة ترتب العقوبة القلبية على الانحراف العقدي.

الدلالة البلاغية: تكرار لفظ (مَرَضٌ / مَرَضًا) يبرز أن العقوبة من جنس الجرم ذاته، فمن رضي بالمرض القلبي عوقب باستفحاله.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحذر الإنسان من الاستهانة ببدايات الشك والنفاق؛ لأنها تستجلب عقوبة الزيادة والانتكاس.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) تفسر كيفية وقوع الزيادة الإلهية، وهي أن السور والآيات المنزلة تكشف نفاقهم فتزداد قلوبهم حقداً وشكاً.

ثانياً: آية سورة الإسراء (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ترفع توهم الظلم عن الله، وتبين أن الوحي الواحد يثمر الشفاء للمؤمن والخسار للظالم بحسب حال القلب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (مريم: 75)[قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا] يقرر سنة الإمداد في الضلال لمن أصر عليه.

ثانياً: قوله تعالى: (البقرة: 15)[وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] يؤكد أن الإمداد والزيادة عقوبة قدرية للمستكبرين.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن زيادة الله للمنافقين مرضاً هي جزاء عادل على كفرهم وكذبهم، تتحقق بتجدد التكاليف والآيات التي تضاعف غيظهم وحيرتهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن قوله تعالى (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) يقرر سنة إلهية عادلة، حيث يعاقب الله أصحاب القلوب المريضة بمضاعفة شكهم وحيرتهم جزاءً لإصرارهم على النفاق والكذب.

المسألة الثالثة: حقيقة الكذب وخطورته بوصفه سبباً مباشراً للعذاب الأليم وسقوط المروءة والإيمان (في الأحكام الفقهية والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الكذب في القول والاعتقاد هو جريمة كبرى تناقض أصل الإيمان، وأنه العلة المباشرة لاستحقاق المنافقين العذاب الأليم، مما يوجب تحريم الكذب بجميع أنواعه في الشريعة وتجريمه باعتباره أساس النفاق والفساد.

الفهم الخاطئ: التهوين من شأن الكذب واعتباره ذنباً صغيراً أو وسيلة مقبولة في

التعاملات الاجتماعية والسياسية، أو حصر الوعيد في الكذب على الله دون الكذب على الناس.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النحل: 105)[إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ].

قوله تعالى: (الحج: 30)[فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المنافقون: 1)[وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ].

ب. قوله تعالى: (الزمر: 3)[إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكذب في أصل الوضع اللغوي هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع، والباء في (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) للسببية المحضة، وما مصدرية.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) يعلق استحقاق العذاب الموجع على مداومتهم على فعل الكذب.

الدلالة المفهومية: يلزم من تعليل العذاب الأليم بالكذب أن الصدق هو أساس النجاة والإيمان، وأن الكذب ينافي حقيقة الإيمان ويجلب سخط الله.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم تحريم الكذب في الدعاوى العقدية وفي الشهادات والمعاملات اليومية كافة.

الخلاصة: الكذب رذيلة مهلكة وجريمة عقدية وأخلاقية تجلب العذاب الأليم، وهو العلامة الفارقة لأهل النفاق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: ختام وصف المنافقين في هذه الآية ببيان علة عذابهم وهو الكذب يربط بين ادعائهم الأول (يَقُولُ آمَنَّا) وبين حقيقتهم ككاذبين محترفين.

الدلالة البلاغية: الجمع بين الفعل الماضي الناقص (كَانُوا) والفعل المضارع (يَكْذِبُونَ) يفيد استمرار الكذب وتحوله إلى سجية ملازمة لهم في حياتهم.

الخلاصة: الصياغة التعبيرية تنفر الفطرة من الكذب، وتجعله قريناً للأوثان والرجس في استجلاب العذاب.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النحل (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) تفسر التنافي المطلق بين الإيمان الصادق وبين افتراء الكذب.

ثانياً: آية سورة الزمر (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) ترفع توهم اجتماع الهداية مع الكذب، وتؤكد أن الكذب طريق للضلال والعذاب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (التوبة: 77)[فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ] يطابق تماماً تعليل النفاق والعذاب بالكذب.

ثانياً: قوله تعالى: (التوبة: 119)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] يأمر بلزوم الصدق للنجاة من مصير الكاذبين.

الخلاصة: تتطابق النصوص الفقهية والعقدية على تحريم الكذب تحريماً قاطعاً وجعله سبباً مباشراً للعذاب الأليم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي والعقدي القاطع هو حرمة الكذب بجميع صوره ودرجاته، وإثبات أن احتراف الكذب وملازمته هو جوهر النفاق والعلة المباشرة لاستحقاق العذاب الأليم.

المسألة الرابعة: الفرق الدلالي بين وصف عذاب الكافرين بـ (عَذَابٌ عَظِيمٌ) وعذاب المنافقين بـ (عَذَابٌ أَلِيمٌ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن وصف عذاب الكافرين الصرحاء بالعظمة في الآية السابعة ووصف عذاب المنافقين بالألم في الآية العاشرة يحمل دقة بيانية ونفسية فائقة؛ لأن الكافرين استكبروا وتعاظموا على الحق فقوبل تعاظمهم بعذاب عظيم يكسر كبرياءهم، بينما المنافقون تظاهروا بالإيمان طلباً للراحة واللذة الدنيوية والأمان، فقوبل تنعمهم وخداعهم بعذاب أليم يوجع نفوسهم وأبدانهم أشد الإيلام.

الفهم الخاطئ: ظن أن الوصفين مترادفان دون حكمة بلاغية في التوزيع، أو توهم أن عذاب المنافقين أخف من عذاب الكافرين لعدم وصفه بالعظمة هنا.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 145)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا].

قوله تعالى: (النساء: 138)[بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 7)[خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 74)[وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ... يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: العظيم هو ما كبر قدره وجاوز الحد في الهول والضخامة، بينما الأليم هو المؤلم الموجع الذي ينفذ وجعه إلى أعماق النفس والبدن.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (عَذَابٌ أَلِيمٌ) في حق المنافقين يثبت لهم عذاباً شديد الإيلام والوجع في الدنيا بالقلق والفضيحة وفي الآخرة بالنار.

الدلالة المفهومية: يلزم من الجمع بين آية البقرة وآية النساء في الدرك الأسفل أن عذاب المنافقين أليم وعظيم معاً، بل هو أشد أنواع العذاب إيلاماً.

الدلالة التضمنية: يتضمن اختيار لفظ (أَلِيمٌ) هنا التناسب الدقيق مع لفظ (مَّرَضٌ)؛ لأن المرض يورث الألم، فناسبه العذاب الأليم.

الخلاصة: وصف عذاب المنافقين بالأليم يطابق مرض قلوبهم، ويكسر وهمهم في طلب الراحة الدنيوية بالنفاق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاء ذكر العذاب الأليم بعد ذكر مرض القلوب وزيادته، ليكتمل التصوير الطبي والنفسي؛ مرض يتفاقم في الدنيا وينتهي بألم لا يطاق في الآخرة.

الدلالة البلاغية: التناسب المعنوي بين (مَرَضٌ) و(أَلِيمٌ) يمثل قمة التلاحم البياني في الآية الواحدة.

الخلاصة: الأداء البلاغي يوظف أدق الألفاظ لتحقيق التناغم الداخلي في الآية وتوجيه الرسالة النفسية المناسبة لكل صنف.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) ترفع توهم خفة عذاب المنافقين، وتقطع بأنهم في أشد طبقات الجحيم.

ثانياً: آية سورة التوبة (يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) تفسر شمول هذا الألم لقلقهم النفسي في الدنيا وعذابهم في الآخرة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 140)[إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا] يثبت اشتراك الفريقين في المصير المظلم.

ثانياً: قوله تعالى: (التوبة: 68)[وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا] يؤكد خلود المنافقين في العذاب الأليم.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن عذاب المنافقين أليم وعظيم، وأن تخصيص لفظ الأليم هنا لمناسبة المرض القلبي وتبديد وهم الراحة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن وصف عذاب المنافقين بـ (عَذَابٌ أَلِيمٌ) جاء متناسباً مع مرض قلوبهم ومحطماً لطلبهم الراحة بالخداع، وهو أشد العذاب إيلاماً في الدرك الأسفل من النار.

المسألة الخامسة: حقيقة استمرار الفعل الماضي الناقص مع المضارع في قوله (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن اقتران الفعل الناقص (كَانُوا) بالمضارع (يَكْذِبُونَ) يفيد الديمومة والاستمرار في ممارسة الكذب طوال حياتهم الدنيا، بحيث لم يكن كذبهم زلة عابرة بل منهج حياة متجدد استوجب العذاب الأليم.

الفهم الخاطئ: ظن أن العذاب الأليم يقع على مجرد هفوة عارضة يتوب منها صاحبها، أو إغفال دلالة التكرار والاستمرار الكامنة في هذا التركيب النحوي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المنافقون: 1)[وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ].

قوله تعالى: (التوبة: 56)[وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المجادلة: 14)[وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 24)[انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: دخول (كان) الناقصة على الفعل المضارع في اللسان العربي يفيد استمرار الحدث وتجدده في الزمن الماضي على سبيل العادة والمداومة.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) يثبت أن الكذب كان دأبهم المستمر

وعادتهم الدائمة كلما التقوا بالمؤمنين أو واجهوا الحق.

الدلالة المفهومية: يلزم من تعليق العذاب الأليم باستمرارهم على الكذب أن من أقلع عن الكذب وتاب إلى الله تاب الله عليه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب فضح منهجية المنافقين القائمة على التلفيق المستمر والأيمان الكاذبة لتغطية مواقفهم.

الخلاصة: التركيب النحوي يثبت أن المنافقين اتخذوا الكذب صناعة مستمرة، فاستحقوا بذلك العذاب الأليم بعدل الله.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الثامنة بدأت بقولهم الكاذب (مَن يَقُولُ آمَنَّا)، والآية التاسعة كشفت خداعهم، والآية العاشرة ختمت بإثبات استمرارهم على الكذب طوال حياتهم.

الدلالة البلاغية: الإيقاع الزمني في (كَانُوا يَكْذِبُونَ) ينقل القارئ إلى مشهد الحساب الأخروي، حيث يُنظر إلى حياتهم الدنيا كشريط متصل من الكذب والخداع.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يربط الحاضر بالمستقبل الأخروي، ويبين أن أعمال الإنسان تسجل عليه كمنهج متكامل.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المجادلة (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) تفسر جرأتهم في الاستمرار على الكذب عن علم وقصد.

ثانياً: آية سورة التوبة (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ) ترفع توهم الاضطرار، وتبين أنهم يبادرون بالكذب والأيمان الفاجرة طواعية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (البقرة: 204)[وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ] يصور تمادي المنافق في الكذب والجرأة على الله.

ثانياً: قوله تعالى: (الواقعة: 46)[وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ] يؤكد أن الإصرار

والمداومة على الذنب هما علة الهلاك.
الخلاصة: تتطابق النصوص على أن صيغة (كَانُوا يَكْذِبُونَ) تصف احتراف الكذب والمداومة عليه حتى الممات.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن التركيب (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) يثبت مداومة المنافقين على الكذب واتخاذه منهجاً مستمراً في حياتهم، مما أوجب عليهم العذاب الأليم.

المسألة السادسة: حقيقة التفريق بين مرض الشك والنفاق المهلك وبين الخواطر العارضة التي يدفعها المؤمن (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن المرض القلبي المذموم في الآية العاشرة هو الشك المستقر المصحوب بالكذب والخداع وإبطان الكفر، أما الخواطر والوساوس العارضة التي تطرأ على ذهن المؤمن فيكرهها ويدفعها بالعلم واليقين فلا تندرج في مرض النفاق، بل إن كراهيتها ومجاهدتها دليل على صحة الإيمان.
الفهم الخاطئ: وقوع بعض المؤمنين في اليأس والقنوط حين تهاجمهم وساوس الشيطان، وظنهم أنهم من أصحاب القلوب المريضة الموعودين بالعذاب.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الأعراف: 201)[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ].
قوله تعالى: (البقرة: 286)[لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (فصلت: 36)[وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ].
ب. قوله تعالى: (الأحزاب: 60)[لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الاستقرار في المحل (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت يغاير الطائف العارض الذي يمر بالذهن ويدفعه صاحبه.

الدلالة المنطوقية: القرآن قرن مرض القلوب في الآية بالمخادعة والكذب المستمر (يُخَادِعُونَ... يَكْذِبُونَ)، مما يميز صاحبه بوضوح تام.

الدلالة المفهومية: يلزم من اقتران المرض بالخداع والكذب أن من كان صادقاً مع الله كارهاً للوساوس مجاهداً لها فقلبه سليم معافى من النفاق.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التفريق رحمة الله بالمؤمنين وحمايتهم من تلبيس الشيطان الذي يحاول إقناعهم بأن الوسوسة نفاق.

الخلاصة: مرض النفاق هو شك مستقر وخداع مقصود، أما الخواطر العارضة المكروهة فطائف شيطاني يزول بالتذكر والاستعاذة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية العاشرة صفة للمنافقين المذكورين في الآيتين الثامنة والتاسعة، فلا يصح انتزاعها من سياقها لتسليطها على المؤمنين الصادقين.

الدلالة البلاغية: الجملة الاسمية (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) تصف حالة مزمنة متمكنة، بخلاف الفعل العارض (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ) في وصف المتقين.

الخلاصة: السياق التعبيري يضع حداً فاصلاً بين القلب السليم الذي يطرد الوساوس وبين القلب المريض الذي يحتضن الشك والنفاق.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) تفسر حال المؤمنين عند ورود الخواطر وكيفية نجاتهم منها.

ثانياً: آية سورة الأحزاب تقرن أصحاب القلوب المريضة بالمنافقين والمرجفين في

المجتمع، مما يثبت أن المرض هنا هو النفاق العقدي والسلوكي.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المؤمنون: 97، 98)[وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ] يبين مشروعية الاستعاذة لدفع الخواطر العارضة.

ثانياً: قوله تعالى: (الحديد: 16)[أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ] يدعو المؤمنين لمداومة الذكر وتلين القلوب.

الخلاصة: تتطابق النصوص على التمييز الدقيق بين مرض النفاق المهلك وبين الوساوس العارضة التي يدفعها المؤمن بالإيمان والذكر.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن مرض القلوب المذكور في الآية العاشرة هو الشك المستقر المقترن بالكذب والخداع، أما الخواطر العارضة التي يكرهها المؤمن ويدفعها بالذكر فلا تضر إيمانه.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية العاشرة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية العاشرة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بقراءة (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء وإسكان الكاف وكسر الذال المخففة، وإدغام التنوين في الميم في (قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) وإسكان ميم الجمع في (قُلُوبِهِم) و(وَلَهُمْ) كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بقراءة (يُكَذِّبُونَ) بالتشديد وضم الياء.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في بنية الفعل إلى (يُكَذِّبُونَ) بالتشديد بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يغير المعنى من كذبهم في دعوى الإيمان إلى تكذيبهم بالآيات ويوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفعل الثلاثي المجرد (كَذَبَ / يَكْذِبُ) يعني الإخبار بغير الواقع، وهو يختلف في الصيغة والمعنى عن الرباعي المضعف (كَذَّبَ / يُكَذِّبُ) الذي يعني رد خبر الغير وتكذيبه.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) بفتح الياء وإسكان الكاف وتخفيف الذال وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تضم الياء وتشدد الذال أو تضم ميم الجمع.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط المتواتر صيانة المعنى السياقي الدقيق، لأن الآيات تتحدث عن كذب المنافقين في قولهم (آمَنَّا) لا عن تكذيب الكفار الصرحاء.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: قراءة (يَكْذِبُونَ) بالتخفيف تتطابق مع الآية الثامنة (مَن يَقُولُ آمَنَّا... وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) التي أثبتت كذبهم في ادعاء الإيمان، وهو ما يختل لو قرئت بالتشديد.

الدلالة البلاغية: الثبات اللفظي للنص يضفي عليه إحكاماً لغوياً وسياقياً يبرهن على

وحدة النظم القرآني.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحفظ كتاب الله من الاختلاف وتصون الترابط المعنوي الدقيق بين الآيات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المنافقون (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) تفسر وتؤكد صيغة الثلاثي المجرد (يَكْذِبُونَ) في سورة البقرة.

ثانياً: آية حفظ الذكر ونفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حركاته.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس بلفظ (يَكْذِبُونَ) بالتخفيف، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في التدرج التربوي لعلاج أمراض القلوب بالصدق واليقين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية العاشرة تكشف قانوناً تربوياً وإصلاحياً في تزكية النفس، وهو أن أمراض القلوب (الشك والرياء والنفاق) لا تعالج بالمجاملات أو التبريرات الكاذبة، بل تعالج بالمواجهة الصريحة للنفس، والصدق المطلق مع الله، والتداوي بتدبر القرآن، لأن التمادي في الكذب يضاعف المرض حتى يهلك القلب.

الفهم الخاطئ: الظن بأن أمراض القلوب تزول بمرور الزمن دون علاج، أو محاولة تغطية الشكوك الداخلية بمزيد من المظاهر الشكلية والكذب الاجتماعي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (يونس: 57)[يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ].

قوله تعالى: (الشمس: 9، 10)[قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 24)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 119)[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الشفاء في أصل الوضع هو إزالة الداء وإعادة العضو إلى صحته الطبيعية ووظيفته السليمة، والتزكية هي تنمية الخير وتطهير النفس من الشوائب.

الدلالة المنطوقية: ربط زيادة المرض بالكذب المستمر يثبت أن الكذب هو الغذاء الذي ينمي مرض القلب ويقضي عليه.

الدلالة المفهومية: يلزم من كون الكذب يضاعف المرض القلبي أن الصدق والتوبة هما الترياق الوحيد الذي يوقف تدهور القلب ويعيد إليه عافيته.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا القانون دعوة كل إنسان لتفقد قلبه باستمرار وتنقيته من بذور الرياء والشك قبل أن تستفحل.

الخلاصة: علاج القلوب يبدأ بالصدق الصارم مع الله، واللجوء إلى القرآن شفاءً ودواءً من الشبهات والشهوات.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية العاشرة تمثل التحذير المبكر في مطلع السورة من إهمال أمراض الباطن، لتنبه القارئ إلى أن سلامة القلب هي رأس المال الحقيقي.

الدلالة البلاغية: تصوير تطور الانحراف من مرض كامن (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) إلى داء مستفحل (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) إلى هلاك مؤلم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يرسم مساراً تحذيرياً يهز الوجدان.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يمارس العلاج الوقائي للنفوس بكشف المآل الخطير للتهاون بأمراض القلوب.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة يونس (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) تفسر الدواء الإلهي الوحيد القادر على استئصال مرض القلوب.

ثانياً: آية سورة التوبة (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) ترفع توهم إمكانية النجاة مع التلون، وتحدد البيئة الصادقة كعامل أساسي في شفاء القلوب.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الحجرات: 7)[وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ] يبين صورة القلب الصحيح المعافى.

ثانياً: قوله تعالى: (الرعد: 28)[أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] يوضح ثمرة شفاء القلب وهي الطمأنينة والسكينة.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن الصدق وذكر الله وتدبر القرآن هي المنهج التربوي الكفيل بعلاج أمراض القلوب وحمايتها من الانتكاس.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية العاشرة تضع قانوناً تربوياً حاسماً، وهو أن الكذب والمداهنة يضاعفان مرض القلب حتى يبلغ الهلاك، بينما الصدق والاعتصام بالقرآن هما سبيل الشفاء والنجاة.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في تفسير (مَّرَضٌ) بالبخل أو الشح المالي فقط أو بقصره على الشهوة الجسدية (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تحصر معنى المرض في قوله تعالى (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) في البخل المالي فقط أو في الفجور الجسدي وحده، لمصادمة ذلك لسياق الآيات الواضح في الحديث عن النفاق العقدي والشك والكذب في دعوى الإيمان.

الفهم الخاطئ: اقتطاع لفظ (مَّرَضٌ) من سياقه العقدي وحمله على معانٍ جزئية ضيقة بناءً على روايات تخالف دلالة النظم القرآني.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 8، 9)[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا].

قوله تعالى: (التوبة: 125)[وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأحزاب: 32)[فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَّرَضٌ].

ب. قوله تعالى: (محمد: 29)[أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: اللفظ المشترك أو العام في اللسان العربي يتحدد معناه الدقيق بالسياق الذي ورد فيه وبما قبله وما بعده من قرائن.

الدلالة المنطوقية: الضمير في (قُلُوبِهِم) يعود قطعاً على المنافقين المذكورين في الآيتين السابقتين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويحترفون الكذب.

الدلالة المفهومية: يلزم من عود الضمير على المنافقين بطلان حصر المرض هنا في البخل المالي؛ لأن البخيل المسلم لا يوصف بأنه (وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) ولا يموت كافراً.

الدلالة التضمنية: يتضمن السياق القرآني أن مرض القلوب يختلف باختلاف المقام؛ ففي سورة الأحزاب (32) هو مرض الشهوة، أما في سورة البقرة (10) فهو مرض الشك والنفاق.

الخلاصة: الروايات التي تفسر المرض في آية البقرة بالبخل وحده باطلة لتناقضها مع السياق العقدي الذي يصف كفر المنافقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية العاشرة تعليل مباشر لقوله (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا)، وعلة الخداع في الدين هي مرض النفاق والشك لا مجرد شح المال.

الدلالة البلاغية: وحدة الموضوع في المقطع القرآني تمنع القفز من قضية النفاق العقدي إلى قضية البخل المالي دون قرينة.

الخلاصة: السياق القرآني محكم الترابط، ويرفض التأويلات الروائية التي تفكك وحدة النص وتصرفه عن مقصده الأساسي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) تسحق روايات قصر المرض على البخل، وتثبت أنه مرض الكفر والنفاق المفضي للموت على الكفر.

ثانياً: آية سورة محمد (أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) تفسر أن من مظاهر هذا المرض القلبي الحقد والضغينة على الإسلام وأهله.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنفال: 49)[إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ] يربط مرض القلوب بالاستهزاء بالدين والشك في نصر الله.

ثانياً: قوله تعالى: (الأحزاب: 12)[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا] يبين أن جوهر هذا المرض هو التكذيب بوعد الله.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على أن المرض في الآية العاشرة هو مرض النفاق والشك، وتبطل الروايات التي تقصره على معانٍ جانبية.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تقصر المرض في الآية العاشرة على البخل أو الشهوة الجسدية، والقطع بأن السياق القرآني يحدده بمرض الشك والنفاق والكفر الباطن.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات العذاب الأليم على مجرد حديث النفس دون قول أو عمل أو اعتقاد جازم (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تثير الرعب والوسواس في نفوس المؤمنين بزعم أن الإنسان يعذب عذاباً أليماً على مجرد الخواطر العابرة وحديث النفس الذي لم يستقر اعتقاداً ولم يتكلم به اللسان ولم تعمل به الجوارح، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في تعليق العذاب في الآية العاشرة بالكذب المستمر والاعتقاد النفاقي الجازم.

الفهم الخاطئ: تسليط آيات الوعيد الخاصة بالمنافقين الكاذبين على المؤمنين الموسوسين، بناءً على روايات أو تأويلات تخالف عدل الله ورحمته بعباده.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 286)[لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ].

قوله تعالى: (النحل: 106)[إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 225)[لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ].

ب. قوله تعالى: (الأحزاب: 5)[وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الكسب القلبي في اللسان والشرع هو العزم المستقر والإرادة الجازمة، بخلاف الهواجس والخطرات التي لا يملك الإنسان دفع ورودها.

الدلالة المنطوقية: الآية العاشرة عللت العذاب الأليم بقولها (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، والكذب فعل إرادي متعمد يصدر عن اعتقاد فاسد وسلوك ممارس.

الدلالة المفهومية: يلزم من تعليق العذاب بالكسب القلبي المستقر والكذب المتعمد انتفاء المؤاخذة على الخواطر العارضة التي لم يتكلم بها الإنسان ولم يعتقدها.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحكم رفع الحرج والمشقة عن الأمة، وحماية المؤمنين من التسلط الشيطاني والوسوسة القهرية.

الخلاصة: الروايات التي توعد بالعذاب على مجرد حديث النفس العابر باطلة؛ لأن الله لا يؤاخذ إلا بما تعمدته القلوب وكسبته الجوارح.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية تصف قوماً محترفين للخداع والكذب (يُخَادِعُونَ... يَكْذِبُونَ)، فلا صلة لها بالمؤمن الذي يصارع الخواطر ويكرهها.

الدلالة البلاغية: الجزم باستحقاق العذاب الأليم مقيد بباء السببية (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ليقطع أي توهم بعقوبة بلا جرم مكتسب.

الخلاصة: السياق القرآني يصون عدل الله ورحمته، ويحصر العذاب الأليم في الكسب الإرادي المتعمد للنفاق والكذب.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأحزاب (وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) تفسر شرط المؤاخذة القلبية وهو التعمد والاستقرار، وتنفي الجناح عن الخطأ والعارض.

ثانياً: آية سورة البقرة (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) ترفع توهم العقوبة على ما لا يدخل تحت قدرة الإنسان ووسعه.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الطور: 21)[كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ] يثبت أن الإنسان مرهون بكسبه الإرادي لا بالخواطر القهرية.

ثانياً: قوله تعالى: (النجم: 39)[وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ] يقرر عدالة الجزاء المبني على السعي والقصد.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال الروايات التي توجب العذاب على حديث النفس غير المستقر، وتؤكد أن العذاب الأليم في الآية العاشرة جزاء على الكذب والنفاق المكتسب.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تهدد المؤمنين بالعذاب على مجرد الخواطر وحديث النفس العابر، والقطع بأن العذاب الأليم في الآية العاشرة متعلق بالكسب القلبي المستقر والكذب المتعمد الذي يمارسه المنافقون.

(البقرة: 11)

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الفساد والإصلاح في ميزان الوحي وبطلان المعايير النسبية البشرية (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن معيار الفساد والإصلاح في الأرض محصور في موافقة شريعة الله ومنهجه القويم، وأن النفاق والكفر وموالاة أعداء الحق وزرع الفتنة في الصف المؤمن هي عين الفساد في الأرض، مهما زينها أصحابها بشعارات الإصلاح والتطوير.
الفهم الخاطئ: ادعاء المنافقين والعلمانيين أن الفساد والإصلاح مفاهيم نسبية تخضع للأهواء البشرية أو المصالح المادية الآنية، وتسمية محاربة الدين وتفكيك ثوابت الأمة إصلاحاً وتنويراً.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (الأعراف: 56)[وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا].
قوله تعالى: (القصص: 77)[وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (البقرة: 205)[وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ].
ب. قوله تعالى: (الأنفال: 73)[وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الفساد في أصل الوضع اللغوي هو خروج الشيء عن حد الاعتدال

والاستقامة إلى الاختلال والعطب، والإصلاح هو رد الشيء إلى حالته الفطرية النافعة المستقيمة.

الدلالة المنطوقية: النطق بالنهي الصريح (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) يثبت أن ما يمارسه المنافقون من نفاق وخداع وموالاة للكافرين هو فساد حقيقي واقع في الأرض.

الدلالة المفهومية: يلزم من تسمية فعل المنافقين فساداً في الأرض وتكذيب دعواهم بالإصلاح أن الحق في تعريف الفساد والإصلاح بيد الله وحده لا بيد البشر.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا النهي شمول الفساد للإفساد العقدي والأخلاقي والاجتماعي والبيئي والاقتصادي في الأرض كلها.

الخلاصة: الإفساد في الأرض كل مخالفة لأمر الله وتقويض لبناء الإيمان، والإصلاح الحقيقي لا يكون إلا بالالتزام بشريعة الخالق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية بعد بيان مرض قلوبهم وكذبهم في الآية السابقة يكشف أثر مرض الباطن على الواقع الخارجي، حيث يتحول مرض القلب إلى إفساد في الأرض.

الدلالة البلاغية: المقابلة الحادة بين النهي المباشر (لَا تُفْسِدُوا) وبين ادعائهم المغرور (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) تفضح قلبهم للحقائق وتلاعبهم بالمصطلحات.

الخلاصة: البناء التعبيري يعري استراتيجية المفسدين عبر العصور في سرقة الشعارات النبيلة لتغطية مشاريعهم التخريبية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) تفسر أن الله أصلح الأرض بالرسالات والشرائع، وأن مخالفة الوحي هي عين الإفساد بعد الإصلاح.

ثانياً: آية سورة الأنفال (تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) ترفع توهم قصر الفساد على الجرائم المادية، وتثبت أن موالاة الكافرين على المؤمنين فساد كبير.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (غافر: 26)[وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ] يكشف سنة الطغاة والمنافقين في اتهام المصلحين بالفساد وتبرير جرائمهم بالإصلاح.

ثانياً: قوله تعالى: (هود: 117)[وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] يبين أن الإصلاح الحقيقي هو صمام الأمان للمجتمعات من الهلاك.

الخلاصة: تتلاحم النصوص لتقرر أن ميزان الإصلاح والفساد هو الوحي المنزل، وأن قلب المسميات لا يغير من حقائق الأشياء عند الله.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الفساد في الأرض هو الخروج عن منهج الله وإشاعة الفتنة والنفاق، وأن ادعاء المنافقين للإصلاح ما هو إلا تزييف للوعي وقلب للحقائق لا يغير من طبيعة جرمهم.

المسألة الثانية: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والرفق في خطاب المفسدين (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات وجوب قيام أهل الحق بواجب النصح والنهي عن الفساد في الأرض تجاه المنحرفين والمنافقين، مع التزام الأسلوب الحكيم اللين المجرد عن السب والشتم، كما يظهر في صيغة الخطاب المهذبة (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ).

الفهم الخاطئ: ترك النهي عن الفساد بحجة عدم استجابة المنافقين، أو اللجوء إلى الفظاظة والشتم والعدوان البدني خارج إطار الشرع بحجة الغيرة على الدين.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 104)[وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

قوله تعالى: (طه: 44)[فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ].

ثالثاً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 78، 79)[لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ].

ب. قوله تعالى: (فصلت: 34)[ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: النهي في أصل الوضع اللغوي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء بالحق والنصح لحماية المنهي عنه والمجتمع من الضرر.

الدلالة المنطوقية: النطق بصيغة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) يثبت وقوع النصح والنهي من المؤمنين تجاه المنافقين بعبارة واضحة مباشرة خالية من التجريح الشخصي.

الدلالة المفهومية: يلزم من مدح القائلين بهذا النهي وذم رد المنافقين عليه مشروعية ووجوب التصدي للفساد بالبيان والنصح في كل عصر.

الدلالة التضمنية: يتضمن بناء الفعل للمجهول (قِيلَ لَهُمْ) أن هذه الوظيفة ليست حكراً على شخص واحد، بل هي واجب جماعي على كل فرد قادر من المؤمنين.

الخلاصة: النهي عن الفساد فريضة شرعية دائمة تؤدى بالبيان الواضح والقول الحكيم لإقامة الحجة وحماية المجتمع.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت صيغة النهي (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) مباشرة دون مقدمات جدلية، لتكشف أن فساد المنافقين كان ظاهراً للعيان مستوجباً للإنكار.

الدلالة البلاغية: الأدب الرفيع في عبارة الناصحين (لَا تُفْسِدُوا) يظهر سمو أخلاق المؤمنين حتى عند مناصحة ألد الخصوم، مما يجعل رد المنافقين المتعالي (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أشد قبحاً واستكباراً.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يقدم نموذجاً عملياً في أدب الاحتساب والنصح، ويجرد المفسدين من أي ذريعة للتهرب من الحق.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة آل عمران (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) تفسر وجوب وجود طائفة قائمة بالنهي عن الفساد وربط الفلاح بذلك.

ثانياً: آية سورة المائدة (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ) ترفع توهم جواز السكوت عن المفسدين بحجة السلامة الفردية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النحل: 125)[ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] يحدد الضابط الشرعي لخطاب المخالفين.

ثانياً: قوله تعالى: (الأعراف: 165)[فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] يثبت نجاة الآمرين بالمعروف والناهين عن الفساد عند نزول العذاب.

الخلاصة: تتطابق النصوص الفقهية على وجوب إنكار الفساد باللسان والحكمة، وعدم التواطؤ بالصمت على مشاريع المفسدين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع هو وجوب التصدي للمفسدين بالنهي والنصح الواضح الحكيم دون فظاظة أو سلبية، لإقامة الحجة وحفظ كيان الأمة من الانهيار.

المسألة الثالثة: دلالة أداة الحصر (إِنَّمَا) والجملة الاسمية في قوله تعالى (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توظيف المنافقين لأداة القصر والحصر (إِنَّمَا) مع الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام (نَحْنُ مُصْلِحُونَ) يكشف عن ذروة الغرور والوقاحة الفكرية؛ حيث لم يكتفوا بنفي الفساد عن أنفسهم بل حصروا صفة الإصلاح في

ذواتهم وحدهم وكأنهم أئمة الإصلاح في الأرض.

الفهم الخاطئ: ظن أن رد المنافقين مجرد دفاع اعتيادي عن النفس أو اعتذار عن خطأ غير مقصود، دون إدراك ما يحمله التركيب من ادعاء الكمال المطلق واحتكار الإصلاح.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 12)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ].

قوله تعالى: (النجم: 32)[فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الكهف: 104)[الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا].

ب. قوله تعالى: (النساء: 49)[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: أداة (إِنَّمَا) في لسان العرب مركبة من (إنّ) المؤكدة و(ما) الكافة، وتفيد قصر الصفة على الموصوف أو الموصوف على الصفة وإثبات الحكم ونفيه عما سواه.

الدلالة المنطوقية: النطق بحكاية قولهم (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) يثبت أنهم يزكون أنفسهم بأبلغ صيغ الحصر والثبوت (الجملة الاسمية).

الدلالة المفهومية: يلزم من قصرهم الإصلاح على أنفسهم بـ (إِنَّمَا) أنهم يتهمون المؤمنين الناصحين لهم بالجهل أو التسبب في الفساد، ويرون أنفسهم وحدهم أهل العقل والإصلاح.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الرد المتعجرف إصرارهم التام على مسلكهم النفاقي وعدم قابليتهم للمراجعة أو الاعتراف بالخطأ.

الخلاصة: أداة الحصر والجملة الاسمية تفضح صلف المنافقين وتزكيتهم المفرطة لأنفسهم وتحويلهم الجريمة إلى فضيلة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في الآية الثامنة حكى الله عنهم الجملة الفعلية (يَقُولُ آمَنَّا) الدالة على التجدد المتكلف، أما هنا في دعوى الإصلاح فحكى عنهم الجملة الاسمية المؤكدة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ليبين أنهم يرون الإصلاح صفة ذاتية راسخة فيهم.

الدلالة البلاغية: الجرس الحاسم لأداة (إِنَّمَا) يعكس نبرة الاستعلاء والتبجح التي يتحدث بها المفسدون في كل عصر حين يُنصحون.

الخلاصة: الأداء البلاغي يصور بدقة نفسية المفسد المتغطرس الذي يقلب الطاولة على الناصحين ويدعي لنفسه العصمة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة التالية مباشرة (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) تفسر وتقابل حصرهم الكاذب بحصر إلهي صادق يثبت الفساد فيهم وحدهم.

ثانياً: آية النهي عن تزكية النفس (فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) ترفع توهم جواز التمدح الذاتي بالصلاح، وتقرر أن الصلاح شهادة من الله لا دعوى من العبد.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الزخرف: 52)[أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ] يبين تشابه منطق المفسدين في الاستعلاء واحتقار المصلحين.

ثانياً: قوله تعالى: (الأعراف: 12)[قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ] يرد جذور هذا الغرور والتزكية الذاتية الكاذبة إلى منطق إبليس الأول.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن استخدام الحصر والجملة الاسمية في (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) يكشف قمة الكبر وتزييف الوعي.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن أداة الحصر (إِنَّمَا) والجملة الاسمية في قول المنافقين (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) تفضحان غرورهم وتزكيتهم لأنفسهم، حيث يزعمون احتكار الإصلاح ويرمون الناصحين بالجهل والفساد.

المسألة الرابعة: دلالة أداة الشرط (إِذَا) وبناء الفعل للمجهول في (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) على اطراد الموقف وتكرره (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توظيف أداة الشرط (إِذَا) الدالة على التحقق والتكرار في المستقبل، مع بناء الفعل (قِيلَ) للمجهول، يدل على أن نصح المؤمنين للمنافقين وإصرار المنافقين على الرد المتعالي لم يكن حادثة عابرة لمرة واحدة، بل هو سلوك متكرر مستمر كلما صدر منهم إفساد وقام ناصح بالإنكار عليهم.

الفهم الخاطئ: ظن أن الآية تحكي حواراً واحداً وقع في مجلس معين وانتهى، أو إغفال دلالة التكرار والاستمرار الكامنة في أداة الشرط.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 13)[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ].

قوله تعالى: (البقرة: 14)[وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ].

ثالثاً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 61)[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا].

ب. قوله تعالى: (الفرقان: 60)[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الأداة (إِذَا) في اللسان العربي ظرف للزمان المستقبل متضمن معنى الشرط، ويغلب استعمالها فيما يتحقق وقوعه ويتكرر بتكرر سببه.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ... قَالُوا) يربط جوابهم الفاسد بوقوع النصح كلما حدث في الزمن.

الدلالة المفهومية: يلزم من بناء الفعل (قِيلَ) للمجهول أن النصح كان يصدر من عموم المؤمنين في كل موقع، وأن رد المنافقين كان ثابتاً لا يتغير باختلاف الناصح.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التركيب الشرطي ديمومة الصراع بين خطاب الإصلاح الرباني وبين خطاب التبرير النفاقي عبر العصور.

الخلاصة: صيغة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) تثبت تكرار النصيحة وتكرار العناد، وتجعل الآية قانوناً مطرداً في كل زمان.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: تتابع الجمل الشرطية المبدوءة بـ (وَإِذَا) في وصف المنافقين (الآيات 11، 13، 14، 20) يرسم مشهداً حركياً متكرراً يكشف تقلبهم الدائم.

الدلالة البلاغية: حذف الفاعل في (قِيلَ) يركز الأضواء على مضمون القول (لَا تُفْسِدُوا) وعلى وقاحة الجواب (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)، لأن العبرة بالحقيقة لا بشخص القائل.

الخلاصة: الهندسة البلاغية تجرد الحدث من القيود الفردية لتجعله مشهداً حياً يتكرر أمام أعين المؤمنين في كل جيل.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ) تفسر استمرارية هذا السلوك النفاقي في الصد عن الوحي كلما دُعوا إليه.

ثانياً: آية سورة الفرقان (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ) ترفع توهم الخصوصية، وتؤكد أن أسلوب (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) قالب قرآني لكشف ردود الفعل المعاندة المتكررة.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المنافقون: 5)[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ] يثبت ثبات منهجهم في الرفض والاستكبار عند كل نصيحة.

ثانياً: قوله تعالى: (الجاثية: 32)[وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ] يوضح اطراد الصيغة في فضح المكذبين.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على أن (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) يفيد التكرار والاستمرار، ويفضح ثبات المنافقين على باطلهم رغم تتابع النصح.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن أداة الشرط (إِذَا) وبناء الفعل للمجهول (قِيلَ) يثبتان تكرار النصح من عموم المؤمنين وتكرار العناد من المنافقين، مما يجعل الآية سنة اجتماعية دائمة في كل عصر.

المسألة الخامسة: حقيقة الصور الواقعية لإفساد المنافقين في الأرض وتبريرها بشعارات التوفيق والمصلحة (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن إفساد المنافقين في الأرض يتجسد في تفريق صف المؤمنين، وإفشاء أسرارهم للأعداء، وتثبيط الهمم عن الجهاد والإنفاق، وموالاة الكافرين بدعوى التوفيق بين الأطراف ونزع فتيل الصراع وحفظ المصالح المشتركة.

الفهم الخاطئ: حصر الفساد في الأرض في التخريب المادي أو السرقة والقتل، مع الغفلة عن أخطر أنواع الفساد وهو إفساد العقائد والولاءات وتقويض وحدة الأمة من الداخل.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (التوبة: 47)[لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ].

قوله تعالى: (النساء: 139)[الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المنافقون: 7)[هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا].

ب. قوله تعالى: (النساء: 72)[وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الإفساد في الأرض لفظ عام يشمل كل ما يضر بنظام الحياة الصالحة، وأعلاه إفساد الدين والأخلاق والأمن الجماعي للأمة.

الدلالة المنطوقية: النطق بالنهي (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) مطلقاً دون تقييد بنوع واحد من الفساد يفيد استغراق جميع صور الإفساد التي يمارسها المنافقون.

الدلالة المفهومية: يلزم من تبريرهم لإفسادهم بقولهم (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أنهم يغلفون خيانتهم وموالاتهم للأعداء بشعارات السلم الاجتماعي والوسطية والتعايش المزعوم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الوصف كشف خطورة الطابور الخامس الذي يهدم الحصون من الداخل تحت لافتة الإصلاح والتهدئة.

الخلاصة: إفساد المنافقين يشمل تقويض الولاء والبراء، ونشر الشائعات، وتثبيط الأمة، وكلها جرائم مغلفة بشعارات الإصلاح الكاذبة.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الآية بعد آية الكذب والخداع، مما يربط الإفساد في الأرض بالخيانة الباطنة والتآمر الخفي مع أعداء الدين.

الدلالة البلاغية: الإطلاق في (فِي الْأَرْضِ) يوسع دائرة الخطر، ليبين أن أثر النفاق لا يقف عند حدود الفرد بل يمتد ليدمر استقرار الأرض وأمن المجتمعات.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يوقظ وعي الأمة لإدراك الأبعاد التخريبية الخطيرة للنفاق الفكري والسياسي والاجتماعي.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة التوبة (وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) تفسر الصور العملية لإفساد المنافقين في الأرض بالسعي بالفتنة والوقيعة بين المؤمنين.

ثانياً: آية سورة المنافقون (لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) ترفع توهم سلمية المنافقين، وتبين حربهم الاقتصادية والإعلامية على المؤمنين.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحزاب: 60)[الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ] يربط النفاق بالإرجاف وبث الهزيمة النفسية في المجتمع.

ثانياً: قوله تعالى: (المائدة: 64)[وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] يوضح أن السعي بالفساد دأب مستمر لأعداء الوحي.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على تشخيص صور إفساد المنافقين في الأرض، وتفضح تبريرهم للخيانة والفتنة باسم الإصلاح.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن إفساد المنافقين في الأرض يتمثل في موالاة الأعداء وإفشاء الأسرار وإشاعة الفتنة والتخذيل داخل الصف المسلم، وهو إفساد خطير لا يبرره تجميله بشعارات الإصلاح والتوفيق.

المسألة السادسة: حقيقة التفريق بين الإصلاح الحقيقي المنضبط بالشرع وبين الإصلاح الموهوم المخالف للوحي (في الأحكام الفقهية والاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الإصلاح المشروع الممدوح في القرآن هو ما وافق كتاب الله وحقق مقاصد التوحيد والعدل وتزكية النفوس وإعمار الأرض بطاعة الله، أما كل

دعوى إصلاحية تصادم نصوص الوحي أو تهدم الثوابت العقدية والأخلاقية فهي إفساد محض وإن سُميت إصلاحاً.

الفهم الخاطئ: الانخداع بالشعارات البراقة لكل من يدعي الإصلاح والنهضة والتجديد دون عرض أفكاره وممارساته على ميزان القرآن المحكم.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الأنعام: 153)[وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ].

قوله تعالى: (المائدة: 49)[وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (هود: 88)[إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 170)[وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التمييز هو الفصل بين المشتبهات بالعلامات الفارقة، والميزان هو الأداة القطعية التي توزن بها صحة الأقوال والأفعال.

الدلالة المنطوقية: القرآن أثبت صفة المصلحين للمستمسكين بالكتاب في سورة الأعراف، وسلبها عن المنافقين المدعين لها في سورة البقرة.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا التفريق أن المعيار الوحيد لصدق دعوى الإصلاح هو الاستمساك بالكتاب وإقامة الصلاة وتحقيق العدل.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا القانون الشرعي وجوب محاكمة جميع الأفكار والمناهج الإصلاحية المعاصرة إلى محكم القرآن قبل قبولها.

الخلاصة: الإصلاح الحقيقي مقيد بالاستمساك بالكتاب، وكل إصلاح مزعوم يهدم أصول الدين أو يوالي أعداءه فهو إفساد مقنّع.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الحادية عشرة تضع المؤمن أمام حرب المصطلحات مبكراً، لتعلمه ألا يغتر بالأسماء الرنانة بل ينظر إلى الحقائق والنتائج.

الدلالة البلاغية: وضع مقولة المنافقين (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) في سياق الذم والتقريع ينزع القداسة الزائفة عن كلمة الإصلاح متى استعملت في غير موضعها الشرعي.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحصن عقل المؤمن من التضليل الإعلامي والفكري، ويعطيه البصيرة لكشف زيف الشعارات.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ... إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) تفسر الهوية الحقيقية للمصلحين في ميزان الله.

ثانياً: آية سورة هود على لسان شعيب (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) ترفع توهم التعارض، وتبين أن إصلاح الأنبياء يقوم على التوحيد والعدل الاقتصادي والاجتماعي.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النساء: 114)[لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] يحدد مجالات الإصلاح المشروعة.

ثانياً: قوله تعالى: (البقرة: 220)[وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ] يقطع بعلم الله المحيط بحقيقة النوايا والأعمال مهما تلاعب البشر بالألفاظ.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن المصلح الحقيقي هو المتمسك بكتاب الله العامل به، وأن ما خالف الوحي فهو إفساد محض.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن الإصلاح الحق هو ما انضبط بالاستمساك بالكتاب وتحقيق التوحيد والعدل، أما كل دعوى إصلاحية تخالف الوحي وتفكك ثوابت الأمة فهي عين الفساد في الأرض.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية الحادية عشرة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الحادية عشرة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بقراءة (قِيلَ) بكسر القاف كسرة خالصة دون إشمامها الضم، وإسكان ميم الجمع في (لَهُمْ) وإثبات المد المنفصل في (تُفْسِدُوا فِي) و(قَالُوا إِنَّمَا) كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بإشمام قاف (قِيلَ) أو ضم ميم الجمع.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في نطق قاف (قِيلَ) بالإشمام المتكلف أو تضم ميم الجمع وتصلها بواو لفظية بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وصوته المجمع عليه بين الأمة جيلاً بعد جيل دون تباين.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو كسر القاف كسرة خالصة في (قِيلَ) وإسكان ميم الجمع في (لَهُمْ) وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تشم القاف ضماً أو تضم ميم الجمع أو تغير في حركات الكلمات الثابتة في المصحف.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط المتواتر صيانة اللسان القرآني من اللهجات المحلية الشاذة والتكلف الصوتي الدخيل.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الوضوح الصوتي التام في كسر قاف (قِيلَ) وإسكان ميم (لَهُمْ) يضفي على النظم سلاسة وفصاحة عربية مبينة خالية من الثقل.

الدلالة البلاغية: الثبات اللفظي والصوتي للنص يبرهن على وحدة التنزيل وسلامته من الاضطراب.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحفظ كتاب الله من الاختلاف وتصون مرجعية الأمة الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (الشعراء: 195)[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ] يقطع بوضوح الأداء اللساني وبراءته من التقعر والغرابة.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس بكسر قاف (قِيلَ) كسرة خالصة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في كشف آليات التبرير النفسي والدفاعات الكاذبة للمنحرفين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية الحادية عشرة تكشف قانوناً نفسياً عميقاً في سلوك المنحرفين، وهو لجوء النفس المريضة إلى آلية (التبرير وقلب المسميات) عند مواجهتها بأخطائها؛ حيث يعجز المفسد عن الدفاع الموضوعي عن أفعاله فيهرب إلى الادعاء النبيل بأنه مصلح، هروباً من الاعتراف بالذنب والتوبة.

الفهم الخاطئ: تصديق تبريرات المنحرفين أو مجاملتهم في مسمياتهم الزائفة، أو الظن بأن كل من يرفع شعار الإصلاح حسن النية معذور باجتهاده.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (القيامة: 14، 15)[بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ].

قوله تعالى: (الأعراف: 28)[وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 206)[وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 43)[فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التبرير الكاذب هو اصطناع أسباب ومقاصد حسنة لتغطية أفعال فاسدة، وهو حيلة دفاعية للنفس المستكبرة عن الاعتراف بالحق.

الدلالة المنطوقية: حكاية جوابهم المباشر (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) دون تردد أو مراجعة للنفس تكشف جاهزيتهم الدائمة للتبرير.

الدلالة المفهومية: يلزم من كشف القرآن لهذه الحيلة النفسية أن المؤمن الصادق يبادر إلى محاسبة نفسه عند النصح، بينما يبادر المنافق إلى التبرير والدفاع.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التشخيص أن أخطر مراحل الانحراف هي مرحلة تزيين الباطل في عين صاحبه حتى يراه حقاً وإصلاحاً.

الخلاصة: التبرير وقلب المسميات حيلة نفسية يهرب بها المفسدون من التوبة، والقرآن يفضحها ليعيد الإنسان إلى الصدق مع نفسه.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء جوابهم متصلاً بالشرط دون فاصل (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ... قَالُوا) يصور سرعة البديهة في الكذب والتبرير لدى أصحاب القلوب المريضة.

الدلالة البلاغية: حكاية مقولتهم بنصها (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) تضع القارئ وجهاً لوجه أمام منطقهم المغلوط ليحكم عليه بفطرته السليمة.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يمارس العلاج النفسي بكشف الحيل الدفاعية للنفوس المريضة قبل أن تنطلي على السامعين.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة القيامة (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ) تفسر أن المعاذير والتبريرات الكلامية لا تغير من حقيقة الذنب أمام الله والضمير.

ثانياً: آية سورة البقرة (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) ترفع توهم حسن القصد، وتكشف أن الكبر والعزة بالإثم هما محركا التبرير.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النمل: 24)[وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ] يبين دور الشيطان في تزيين الفساد بصورة الإصلاح.

ثانياً: قوله تعالى: (فاطر: 8)[أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا] يوضح خطورة الوصول إلى حالة رؤية السوء حسناً.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن القرآن يعري آليات التبرير النفسي، ويحذر من خطر تزيين الباطل وتسميته إصلاحاً.

رابعاً: المراد الحقيقي:

التحقيق المنهجي أن الآية الحادية عشرة تكشف عن مرض التبرير النفسي لدى المنحرفين، حيث يلجؤون إلى قلب المسميات والادعاء الكاذب بالإصلاح هروباً من الاعتراف بفسادهم والتوبة منه.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في قصر الفساد في الآية على التعامل مع اليهود في المدينة وحدهم دون عموم صور الإفساد (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات المنسوبة في أسباب النزول التي تزعم أن قوله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) نزل في نفر معينين من منافقي المدينة حين كانوا يلقون يهود بني قريظة والنضير ويقولون نحن نصلح بينكم وبين محمد، لمصادمة ذلك لإطلاق القرآن وعموم لفظ (فِي الْأَرْضِ) وشمول الآية لكل

صور الإفساد في كل زمان ومكان.

الفهم الخاطئ: حبس دلالة الآية في واقعة تاريخية ضيقة تتعلق بطائفة من اليهود والمنافقين في المدينة، مما يعطل تطبيق الآية على أشكال الإفساد النفاقي في سائر العصور.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 82)[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

قوله تعالى: (البقرة: 185)[هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأعراف: 56)[وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا].

ب. قوله تعالى: (المائدة: 33)[إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: لفظ (الْأَرْضِ) معرف بأل الجنسية التي تستغرق كل بقاع الأرض، والفعل (تُفْسِدُوا) في سياق النهي يفيد العموم والشمول لكل أنواع الفساد.

الدلالة المنطوقية: النطق بالصيغة العامة (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) يثبت أن المنهي عنه هو جنس الإفساد في الأرض كلها لا مجرد وساطة مع قبيلة معينة.

الدلالة المفهومية: يلزم من عموم اللفظ وإطلاق المكان (الْأَرْضِ) بطلان الروايات التي تقصر الآية على حادثة تاريخية جزئية وتغفل شمولها لكل فساد عقدي أو سياسي أو اجتماعي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا العموم بقاء الآية حجة قائمة في وجه كل مفسد يتستر بشعارات الإصلاح في أي عصر أو بلد.

الخلاصة: الروايات التي تحصر الآية في واقعة خاصة مع يهود المدينة باطلة لتضييقها ما وسعه القرآن وإطلاقها لعموم الأرض والزمان.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية جزء من اللوحة الكلية للمنافقين في مطلع سورة البقرة، وهي لوحة تجريدية عامة لم يرد فيها ذكر ليهود ولا لقبيلة معينة، مما يؤكد عالمية الوصف.

الدلالة البلاغية: اختيار لفظ (الْأَرْضِ) بدلاً من (المدينة) يعطي للنهي بعداً كونياً وحضارياً شاملاً.

الخلاصة: السياق القرآني يرتفع بالخطاب من الحوادث الجزئية إلى القوانين الحضارية العامة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأعراف (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) تفسر أن المراد بالأرض هو مجال استخلاف الإنسان كله، وأن الإفساد عام في كل مكان.

ثانياً: آية سورة البقرة (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) ترفع توهم التخصيص التاريخي، وتثبت اطراد مفهوم الفساد في الأرض في تشريعات القرآن.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الروم: 41)[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ] يربط الفساد في الأرض بعموم كسب الناس المنحرف.

ثانياً: قوله تعالى: (هود: 85)[وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] يوضح أن النهي عن الإفساد في الأرض شريعة كل الأنبياء في كل الأمم.

الخلاصة: تتطابق شواهد التنزيل على بطلان الروايات التي تقصر الآية الحادية عشرة على حادثة تاريخية ضيقة، وتؤكد عمومها لكل إفساد في الأرض.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم القاطع هو بطلان الروايات التي تحصر الآية الحادية عشرة في واقعة تاريخية معينة

في المدينة، والقطع بأن النهي عن الإفساد في الأرض قانون عام شامل لكل زمان ومكان ولكل صور الفساد المقنّع بالإصلاح.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في جواز مصانعة المفسدين ومداهنتهم أو السكوت عن إفسادهم بحجة درء الفتنة وتأليف القلوب (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تشرعن السكوت عن المفسدين والمنافقين ومجاملتهم في باطلهم أو ترك الإنكار عليهم بدعوى حفظ وحدة الصف وتجنب الفتنة، لمصادمة ذلك الصريحة لمنهج القرآن في مواجهة المنافقين بالنهي الصريح (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) وكشف زيف ادعائهم.

الفهم الخاطئ: الخلط بين الرفق في أسلوب الدعوة وبين التنازل عن إنكار المنكر ومجاملة المفسدين على حساب الحق، بناءً على روايات تبرر السلبية والمداهنة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (القلم: 8، 9)[فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 140)[وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (التوبة: 73)[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ].

ب. قوله تعالى: (المائدة: 54)[يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: المداهنة في اللسان هي المصانعة واللين على حساب الحق والمجاملة في الدين طلباً للسلامة، وهي نقيض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الدلالة المنطوقية: القرآن أثبت أن المؤمنين واجهوا المنافقين بالنهي الصريح المباشر (لَا

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) دون مواربة أو مجاملة في تسمية فعلهم فساداً.

الدلالة المفهومية: يلزم من تسمية فعل المنافقين فساداً في وجوههم بطلان الروايات التي تأمر بمداهنتهم أو السكوت عن تخريبهم بدعوى المصلحة.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الموقف القرآني الحازم أن السكوت عن المفسدين يمكنهم من هدم المجتمع، بينما مواجهتهم بالحق تفضحهم وتوقف شرهم.

الخلاصة: الروايات التي تبرر المداهنة والسكوت عن المفسدين باطلة؛ لأن القرآن يوجب جهاد المنافقين بالبيان والحجة والغلظة في الحق.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الحادية عشرة تظهر مبادرة المؤمنين بالإنكار على المنافقين كلما ظهر منهم إفساد، مما يثبت يقظة المجتمع المسلم وعدم استسلامه للمداهنة.

الدلالة البلاغية: المواجهة المباشرة بين قولي الفريقين (لَا تُفْسِدُوا / إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) تبرز وضوح الفرز بين الحق والباطل دون مناطق رمادية.

الخلاصة: السياق القرآني يرفض التمييع والمداهنة، ويؤسس لثقافة الصدع بالحق ومواجهة الفساد مهما كانت شعاراته.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة القلم (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) تسحق دلالة الروايات التي تدعو لمجاملة المبطلين على حساب الثوابت، وتكشف أن المداهنة هي أمنية أعداء الدين.

ثانياً: آية سورة التوبة (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ترفع توهم جواز التراخي مع المنافقين، وتوجب جهادهم بالحجة والبيان والردع.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحزاب: 1)[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ] يقطع بوجوب عصيان المنافقين وعدم الانصياع لضغوطهم.

ثانياً: قوله تعالى: (النساء: 63)[أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا] يحدد المنهج الحاسم في وعظهم وزجرهم.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على تحريم المداهنة والسكوت عن المفسدين، وتؤكد وجوب الإنكار الصريح عليهم وكشف زيف إصلاحهم المدعى.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تشرعن مداهنة المفسدين والسكوت عن إفسادهم بحجة درء الفتنة، والقطع بأن منهج القرآن هو التصدي الواضح والحازم لهم بالنهي والبيان وكشف زيف شعاراتهم.

(البقرة: 12)

[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ]

المسألة الأولى: حقيقة الحكم الإلهي القاطع بفساد المنافقين وردّ تزكيتهم لأنفسهم (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن الشهادة الإلهية القطعية في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) هي الحكم الفصل الذي يبطل ادعاءات المبطلين وتزكيتهم لأنفسهم، ويقرر أن العبرة في توصيف الأفعال بالصلاح أو الفساد بحكم الله في كتابه لا بدعاوى البشر وتبريراتهم.

الفهم الخاطئ: الاعتداد بتقويم البشر لأنفسهم أو الانخداع بشهادات المفسدين لصلاح مشاريعهم وأفكارهم بعيداً عن حاكمية الوحي.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 220)[وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ].

قوله تعالى: (النساء: 49)[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المنافقون: 1)[وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَكَاذِبُونَ].

ب. قوله تعالى: (يوسف: 53)[وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: أداة التنبيه والاستفتاح (أَلَا) في أصل اللسان العربي توضع في صدر الجملة لتحقيق الخبر وتنبيه السامع إلى خطورته، وحرف التوكيد (إِنَّ) يثبت مضمون الجملة وينفي الشك عنها.

الدلالة المنطوقية: النطق بحشد المؤكدات المتتالية (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يقطع بحصر صفة الإفساد في هؤلاء المنافقين ونفي وصف الإصلاح عنهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من تكذيب الله لدعواهم بالإصلاح سقوط كل اعتبار لتزكية الإنسان لنفسه متى خالف منهج الله.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الرد الإلهي المباشر حماية المؤمنين من التردد الفكري أمام حجج المنافقين وشعاراتهم البراقة.

الخلاصة: حكم الله فوق كل حكم، وشهادته على المنافقين بالفساد تنسف دعاواهم الكاذبة وتثبت مرجعية الوحي في تقويم الأفعال.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: مجيء هذه الآية رداً فورياً على مقولة المنافقين في الآية الحادية عشرة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) يضع كلام الله في مواجهة مباشرة مع كلام المخلوقين.

الدلالة البلاغية: حشد ثلاث أدوات للتوكيد والحصر (أَلَا، إِنَّ، ضمير الفصل هُمْ) مع تعريف الخبر بأل (الْمُفْسِدُونَ) يقابل توكيدهم الكاذب بأداة واحدة (إِنَّمَا)، ليمحق الباطل بقوة البيان الإلهي.

الخلاصة: الأداء البلاغي يسحق غرور المنافقين ويثبت في وعي المؤمن أن الله يتولى بنفسه كشف زيف المبطلين.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) تفسر اختصاص الله بالعلم المحيط بحقيقة النوايا والنتائج التي تميز المفسد عن المصلح.

ثانياً: آية سورة النساء (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) ترفع توهم قبول التزكية الذاتية، وتؤكد أن الصلاح شهادة ربانية لا دعوى لسانية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنبياء: 18)[بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] يوضح سنة القرآن في دمغ الباطل وكشفه فور ظهوره.

ثانياً: قوله تعالى: (الإسراء: 81)[وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] يقرر زوال التلبيس أمام نور الوحي.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن شهادة الله هي الفيصل المطلق، وأن وصف الفساد ثابت للمنافقين رغم إنكارهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يمثل الحكم الإلهي القاطع الذي يكذب دعوى المنافقين بالإصلاح، ويثبت أن الوحي هو الميزان الأوحد للحكم على الأعمال.

المسألة الثانية: دلالة اجتماع المؤكدات الثلاثة وضمير الفصل في (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) على قصر الفساد الحقيقي (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن توالي أدوات التوكيد (أَلَا) الاستفتاحية و(إِنَّ) المؤكدة وضمير الفصل (هُمْ) وتعريف الخبر بـ (أل) في (الْمُفْسِدُونَ) يفيد القصر الإضافي والحقيقي معاً؛ أي أن المنافقين هم أهل الفساد الأصيل الحقيقي دون المؤمنين الذين اتهموهم بالإفساد، وأن فسادهم بالغ الذروة في الخطورة والتأثير.

الفهم الخاطئ: ظن أن تعدد أدوات التوكيد مجرد تزيين لفظي لا يضيف معنىً دلالياً جديداً، أو إغفال مقابلة هذا التركيب لقصر المنافقين الكاذب في الآية السابقة.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (البقرة: 13)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ].

قوله تعالى: (المجادلة: 19)[أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنفال: 4)[أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا].

ب. قوله تعالى: (التوبة: 67)[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التوكيد في علم المعاني يزداد بتعدد أدواته بحسب شدة إنكار المخاطب وتردده، والقصر بضمير الفصل مع تعريف الطرفين يثبت الصفة للمذكور وينفيها عن مقابله.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يثبت كمال اتصافهم بالإفساد ويبرئ المؤمنين من تهمة إفساد المجتمع.

الدلالة المفهومية: يلزم من حصر صفة المفسدين فيهم أن كل من عارض منهج الوحي واتهم أهل الإيمان بالتخلف والفساد فهو المفسد الحقيقي.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الحصر البليغ أن فساد النفاق أشد خطراً على الأمة من الفساد الظاهر لخفائه وتلونه.

الخلاصة: تضافر المؤكدات وأدوات القصر يقطع كل جدل، ويقلب السحر على الساحر فيرد تهمة الفساد إلى نحور المنافقين.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: لما ادعى المنافقون الإصلاح بصيغة القصر (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) ورموا المؤمنين ضمنياً بالإفساد، جاء الرد الإلهي بقصر مضاد أقوى وأشد وقعاً في السمع

والقلب.

الدلالة البلاغية: الجرس الصوتي المتصاعد من همزة التنبيه (أَلَا) إلى غنة النون المشددة (إِنَّهُمْ) إلى ضمير الفصل (هُمْ) يحدث صدمة بيانيه تزلزل الباطل.

الخلاصة: الهندسة البلاغية للآية تمثل قمة الإعجاز البياني في إبطال الحجج الفاسدة وتثبيت الحقائق العقدية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة البقرة التالية (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) تفسر اطراد هذا القالب التوكيدي في الرد على كل دعوى باطلة للمنافقين.

ثانياً: آية سورة التوبة (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ترفع توهم محدودية انحرافهم، وتثبت اجتماع الفساد والفسق والسفه فيهم.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (المنافقون: 4)[هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ] يوظف ذات أسلوب التعريف والقصر لتحديد العدو الحقيقي للأمة.

ثانياً: قوله تعالى: (الزمر: 15)[قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ] يبين أن القصر القرآني يكشف الحقائق الجوهرية للأشياء.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن القصر والتوكيد في (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يحسمان قضية الهوية الحقيقية للمفسدين.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن اجتماع المؤكدات الثلاثة وضمير الفصل في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يفيد قصر الفساد الحقيقي في المنافقين، وتبرئة المؤمنين الناصحين من تهمة الإفساد.

المسألة الثالثة: حقيقة الاستدراك في (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) والجمع بين علم المنافقين بجرمهم وبين جهلهم بعاقبته (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن نفي الشعور عن المنافقين في قوله تعالى (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) لا يعني جهلهم بأفعالهم الخبيثة ومؤامراتهم، بل يعني جهلهم الفادح بعواقب إفسادهم المدمرة على أنفسهم في الدنيا والآخرة، وتخدر وعيهم البصيري بسبب الغرور حتى ظنوا أن إفسادهم إصلاح.

الفهم الخاطئ: توهم أن نفي الشعور عنهم ينفي عنهم المسؤولية الجنائية والأخلاقية ويجعلهم معذورين بالجهل، أو ادعاء التناقض بين كونهم مخادعين متعمدين وبين كونهم لا يشعرون.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (المجادلة: 14)[وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ].

قوله تعالى: (البقرة: 14)[وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأعراف: 182)[وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ].

ب. قوله تعالى: (فاطر: 8)[أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: حرف الاستدراك (لَٰكِنْ) في اللسان العربي يأتي لرفع توهم يتولد من الكلام السابق؛ فربما توهم السامع أنهم يعترفون بفسادهم في باطنهم، فجاء الاستدراك ليبين أنهم لشدة انتكاس فطرتهم لا يشعرون بكونهم مفسدين.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) يثبت غياب الإدراك البصيري الدقيق لخطورة إفسادهم ووباله عليهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من الجمع بين علمهم بمكرهم وبين نفي الشعور عنهم أنهم

يعلمون ظاهر أفعالهم، ويجهلون حقيقتها عند الله ومآلها في الآخرة.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الاستدراك بيان خطورة الانحراف الفكري؛ فالمفسد الذي يظن نفسه مصلحاً أشد خطراً وأبعد عن التوبة من الفاسق المعترف بذنبه.

الخلاصة: المنافقون يعلمون أنهم يكذبون ويخادعون، لكنهم لفساد قلوبهم لا يشعرون أن عملهم هذا هو عين الفساد والهلاك.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: تكرر ختام الآيات بنفي الشعور في الآية التاسعة (وَمَا يَشْعُرُونَ) والآية الثانية عشرة (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) ليرسم صورة متكاملة للعمى النفسي الذي يعيشه المنافق.

الدلالة البلاغية: الاستدراك بـ (وَلَٰكِنْ) يثير الشفقة والتحذير في نفس القارئ العاقل من أن يصل إلى مرحلة تزيين السوء حتى يفقد الشعور بقبحه.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يفرق ببراعة بين الذكاء التآمري الدنيوي وبين البصيرة الإيمانية الحية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة المجادلة (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) تفسر أنهم يملكون العلم المادي بكذبهم، فتقيد نفي الشعور في سورة البقرة بجهلهم بالعاقبة وحقيقة الفساد.

ثانياً: آية سورة فاطر (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) ترفع توهم التناقض، وتوضح أن تزيين الشيطان والهوى يقلب الحقائق في نفس المفسد.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الزخرف: 37)[وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ] يطابق تماماً حالة فقدان الشعور بالضلال والفساد.

ثانياً: قوله تعالى: (النمل: 50)[وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] يبين أن غفلتهم عن تدبير الله هي جوهر عدم شعورهم.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن عدم شعور المنافقين لا يعذرهم، بل يثبت عمق انتكاسهم الفطري وغفلتهم عن مصيرهم.

رابعاً: المراد الحقيقي:
القول الفصل أن الاستدراك في قوله تعالى (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) يبين أن المنافقين لفساد فطرتهم وتزيين أهوائهم لا يدركون خطورة إفسادهم وعواقبه المهلكة، وهو جهل ناتج عن كبرهم لا يعفيهم من الحساب.

المسألة الرابعة: الفرق الدقيق بين نفي الشعور في الآية (لَّا يَشْعُرُونَ) ونفي العلم في الآية التالية (لَّا يَعْلَمُونَ) (في الدلالة)

المراد الحقيقي: إثبات أن القرآن خص مقام الفساد بنفي الشعور (لَّا يَشْعُرُونَ) وخص مقام السفه في الآية التالية بنفي العلم (لَّا يَعْلَمُونَ) لدقة بيانية فائقة؛ لأن الفساد في الأرض له آثار حسية وواقعية تدرك بالمشاعر والحس المباشر ومع ذلك فقدوا الشعور بها، بينما السفه نقص في العقل والحكمة يدرك بالعلم والنظر العقلي فناسبه نفي العلم.
الفهم الخاطئ: ظن أن تغيير الفواصل بين (لَّا يَشْعُرُونَ) و(لَّا يَعْلَمُونَ) مجرد مراعاة للسجع الصوتي دون فروق دلالية دقيقة بين الشعور والعلم.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:
قوله تعالى: (البقرة: 13)[أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ].
قوله تعالى: (هود: 1)[كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:
أ. قوله تعالى: (الأنعام: 26)[وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 131)[أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الشعور في أصل الوضع اللغوي هو الإدراك الحسي والوجداني الدقيق المرتبط بالمشاعر والفطرة، بينما العلم هو الإدراك العقلي اليقيني للحقائق المجردة والأحكام.

الدلالة المنطوقية: النطق بـ (لَّا يَشْعُرُونَ) عقب إثبات الإفساد في الأرض يقرر انعدام إحساسهم بأثر تخريبهم في الواقع.

الدلالة المفهومية: يلزم من نفي الشعور عنهم في مقام الإفساد أنهم وصلوا إلى درجة من التبلد الحسي والروحي بحيث لا يشعرون بضرر أفعالهم على أنفسهم ومجتمعهم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التغاير الدقيق بين الفواصل أن كل كلمة في القرآن تؤدي وظيفة معرفية مستقلة لا تسد مسدها كلمة أخرى.

الخلاصة: نفي الشعور يناسب الأمور الحسية والواقعية كالإفساد في الأرض، ونفي العلم يناسب الأمور العقلية والمعنوية كالسفه والجهل.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في الآية الحادية عشرة ادعى المنافقون أنهم مصلحون في الواقع، فجاءت الآية الثانية عشرة لتنفي عنهم حتى أدنى درجات الإدراك وهو الشعور الحسي بفسادهم.

الدلالة البلاغية: التدرج من نفي الشعور (لَّا يَشْعُرُونَ) إلى نفي العلم (لَّا يَعْلَمُونَ) في الآية التالية يكشف شمولية الجهل لديهم حساً وعقلاً.

الخلاصة: الأداء البلاغي يبرز إحكام النظم القرآني وتفوقه المطلق على كل كلام بشري في اختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الأنعام (وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) تفسر ارتباط نفي الشعور بالأضرار الواقعية والمهالك التي يوقع فيها الإنسان نفسه.

ثانياً: آية سورة الأعراف (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ترفع توهم الترادف الجامد، وتثبت ارتباط نفي العلم بالحقائق الغيبية والقدرية.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (النحل: 21)[أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] يربط الشعور بالإحساس بالزمن والوجود.

ثانياً: قوله تعالى: (الزمر: 9)[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] يوضح أن العلم صفة العقل والتدبر.

الخلاصة: تتطابق شواهد اللسان القرآني على الدقة المتناهية في التفريق بين الشعور والعلم، مما يثبت ربانية التنزيل.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل أن القرآن خص مقام الإفساد في الأرض بنفي الشعور (لَّا يَشْعُرُونَ) لأن الفساد أثر واقعي محسوس فقدوا الإحساس به، وخص مقام السفه في الآية التالية بنفي العلم لأنه حكم عقلي جهلوه.

المسألة الخامسة: حقيقة فقدان البصيرة العقلية وأثر الهوى في قلب الموازين داخل النفس البشرية (في الاعتقادات)

المراد الحقيقي: إثبات أن اتباع الهوى والمصالح الدنيوية يفسد جهاز الحكم والتقويم في عقل الإنسان، فيرى الباطل حقاً والفساد إصلاحاً، وأن سلامة الإدراك العقلي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطهارة القلب من النفاق والانقياد لوحي الله.

الفهم الخاطئ: الاعتقاد باستقلال العقل البشري وقدرته المطلقة على التمييز الصحيح بين الصلاح والفساد مع تلوثه بالأهواء والمصالح الذاتية.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (القصص: 50)[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ].

قوله تعالى: (الجاثية: 23)[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّبَعَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (محمد: 14)[أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 146)[سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الهوى في أصل الوضع اللغوي هو ميل النفس إلى الشهوة والباطل، وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في المهالك ويعمي بصيرته.

الدلالة المنطوقية: إثبات كونهم مفسدين مع نفي شعورهم بذلك يقطع بحدوث انعكاس كامل في إدراكهم وتصورهم للأشياء.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الانعكاس الإدراكي أن العقل إذا خضع للهوى والمصلحة الدنيوية تحول إلى أداة لتبرير الفساد وتزيينه.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا القانون المعرفي ضرورة إخضاع العقل لهداية الوحي لحمايته من الانحراف والتضليل الذاتي.

الخلاصة: الهوى يعمي البصيرة ويقلب الموازين في نفس الإنسان، ولا نجاة للعقل من التيه إلا بالاعتصام بالكتاب.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الثانية عشرة تكشف النتيجة النهائية لمرض القلب المذكور في

الآية العاشرة، وهو موت الشعور الصحيح وانقلاب المعايير.

الدلالة البلاغية: الجمع بين إثبات أشد صفات الذم (الْمُفْسِدُونَ) وبين نفي الوعي بها (لَّا يَشْعُرُونَ) يرسم أخطر حالات المرض النفسي وهو جهل المريض بمرضه.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يحذر الإنسان من خطر الخضوع للهوى، ويبين أن أشد أنواع العمى هو عمى القلب عن رؤية عيوب النفس.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة محمد (كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) تفسر الآلية النفسية التي تجعل المفسد يفقد الشعور بفساده، وهي اتباع الهوى.

ثانياً: آية سورة القصص (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) ترفع توهم عصمة العقل المجرد، وتثبت أن الهوى بغير هدى الله هو قمة الضلال.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (البقرة: 216)[وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] يثبت قصور المقاييس البشرية النفعية أمام علم الله.

ثانياً: قوله تعالى: (الأنفال: 29)[إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا] يبين أن التقوى هي التي تمنح العقل نور التمييز الصحيح.

الخلاصة: تتطابق النصوص على أن اتباع الهوى يفسد البصيرة ويفقد الإنسان الشعور بالحق، بينما التقوى تمنح الفرقان.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الاعتقاد الحق أن اتباع الهوى يطمس بصيرة العقل ويقلب الحقائق في نفس صاحبه، فيرى الفساد إصلاحاً ولا يشعر بهلاكه، مما يوجب تحكيم الوحي في كل تصورات الحياة.

المسألة السادسة: وجوب الاحتكام إلى محكم القرآن في النزاعات الفكرية والاجتماعية حول مفهوم الفساد والإصلاح (في الأحكام الفقهية)

المراد الحقيقي: إثبات أن الفصل في الخلافات الفكرية والسياسية والاجتماعية حول ما يعد صلاحاً أو فساداً في المجتمع المسلم يجب أن يرد حصراً إلى كتاب الله، ويحرم الاحتكام إلى الأهواء أو القوانين الوضعية المصادمة للشرع.

الفهم الخاطئ: ترك تحديد مفاهيم الصلاح والفساد للتصويت البشري المجرد أو الأعراف المنحرفة أو الضغوط الخارجية، مع تنحية نصوص الوحي عن الفصل في قضايا المجتمع.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (النساء: 59)[فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ].

قوله تعالى: (الشورى: 10)[وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (المائدة: 50)[أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ].

ب. قوله تعالى: (الأعراف: 3)[اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التحاكم في الشرع واللسان هو طلب الفصل في النزاع من الحكم العدل الذي يملك العلم والسلطان.

الدلالة المنطوقية: تدخل الوحي الإلهي في الآية الثانية عشرة لحسم الجدال بين المؤمنين والمنافقين بقوله (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) يقرر أن الله هو الحكم الفصل في تقويم الأعمال.

الدلالة المفهومية: يلزم من حسم الله للنزاع ببيانه القطعي وجوب رد كل خلاف حول الصلاح والفساد في كل عصر إلى نصوص القرآن.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا المبدأ الأصولي إبطال التحاكم إلى المرجعيات البشرية المخالفة للشريعة في تقويم السلوك والقوانين.

الخلاصة: القرآن هو المرجع الأعلى للفصل بين المصلحين والمفسدين، ولا يصح ترك هذا المعيار لأهواء البشر.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في الآية الحادية عشرة ادعى المنافقون الإصلاح في مواجهة نهي المؤمنين، فجاءت الآية الثانية عشرة كحكم قضائي إلهي نهائي يفض النزاع ويدين المنافقين.

الدلالة البلاغية: الجزم المطلق في الآية ينهي الجدال العقيم مع المنافقين ويمنح المؤمنين اليقين بصحة موقفهم.

الخلاصة: الأسلوب التعبيري يؤسس لسيادة النص القرآني وحاكميته المطلقة في حسم النزاعات الفكرية والاجتماعية.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة النساء (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) تفسر الواجب الشرعي عند اختلاف المعايير بين الناس.

ثانياً: آية سورة الشورى (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) ترفع توهم جواز تحكيم القوانين الجاهلية في تحديد الصلاح والفساد.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأنعام: 114)[أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا] يثبت تفرد الكتاب بالحكم العدل.

ثانياً: قوله تعالى: (المائدة: 44)[وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] يبين خطورة تنحية حكم الله عن الفصل في شؤون الحياة.

الخلاصة: تتطابق النصوص الفقهية على وجوب الاحتكام إلى القرآن في تحديد الصلاح والفساد، وبطلان المرجعيات الوضعية المخالفة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

الحكم الفقهي القاطع هو وجوب الاحتكام إلى كتاب الله وحده للفصل في النزاعات حول مفاهيم الصلاح والفساد، وتحريم التحاكم إلى الأهواء والمرجعيات البشرية المخالفة للوحي.

المسألة السابعة: قطعية النص القرآني في الآية الثانية عشرة ونفي القراءات المخالفة للمصحف المتواتر (في الاعتقادات والدلالة)

المراد الحقيقي: الجزم بأن قراءة الآية الثانية عشرة محصورة في النص المتواتر في المصحف الموجود بين أيدي الناس بفتح همزة (أَلَا) وتخفيف لامها، وكسر همزة (إِنَّهُمْ) وتشديد نونها، وضم ميم الجمع في (هُمُ الْمُفْسِدُونَ) لالتقاء الساكنين، وإثبات ألف (وَلَٰكِن) الخنجرية وإسكان نونها دون تشديد كما هو متواتر جيلاً عن جيل، وبطلان كل قراءة شاذة أو منسوبة للقراءات السبع والعشر تخالف الرسم المتواتر بتشديد نون (وَلَٰكِنَّ) أو تغيير الحركات.

الفهم الخاطئ: تجويز القراءات التي تغير في بنية الكلمات أو تشدد نون (وَلَٰكِن) أو تغير في حركات الإعراب بدعوى تعدد الروايات القرائية، مما يوقع الاختلاف في ألفاظ كتاب الله.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الحجر: 9)[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ].

قوله تعالى: (النساء: 82)[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (القيامة: 17، 18)[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 115)[وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التواتر القطعي العياني هو النقل المستفيض للفظ القرآني برسمه وصوته وحركاته المجمع عليها بين الأمة جيلاً بعد جيل.

الدلالة المنطوقية: النطق المتواتر في المصحف الموجود بين الناس هو (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) بإسكان نون (وَلَٰكِن) وإدغامها في اللام من (لَّا) إدغاماً كاملاً بغير غنة وفق الضبط المتواتر.

الدلالة المفهومية: يلزم من حفظ الذكر ونفي الاختلاف عنه بطلان كل رواية قرائية تغير في حروف الكلمات أو حركاتها أو تزيد فيها.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الضبط المتواتر وحدة اللسان القرآني بين جميع المسلمين في أقطار الأرض، وصيانة النص من التلاعب الصوتي والنحوي.

الخلاصة: القراءة الصحيحة الوحيدة هي قراءة المصحف المعروف المنقول الكافة عن الكافة، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا قيمة لها ولا شرعية.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: السلاسة الصوتية في إدغام نون (وَلَٰكِن) في لام (لَّا) تمنح نهاية الآية انسيابية وإيقاعاً هادئاً يختم الحكم الحاسم ببيان غفلتهم.

الدلالة البلاغية: الثبات اللفظي والصوتي للنص يبرهن على إحكام التنزيل وبراءته من التعددية والاضطراب.

الخلاصة: الوحدة القرائية تحفظ كتاب الله من الاختلاف وتصون مرجعية الأمة الواحدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية حفظ الذكر تقيد التلقي القرآني بما استقر في المصحف المتواتر جيلاً عن جيل.

ثانياً: آية نفي الاختلاف ترفع توهم شرعية تعدد القراءات المنسوبة للسبع أو العشر وتبطلها.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (القيامة: 18)[فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] يوجب الاتباع الحرفي للقراءة الواحدة المنزلة.

ثانياً: قوله تعالى: (يونس: 15)[قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي] يمنع أي تغيير أو إبدال في ألفاظ القرآن أو حروفه.

الخلاصة: تتضافر النصوص القرآنية على أن للقرآن قراءة واحدة لا غير، هي ما في المصحف المتواتر، وما خالفها مردود.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القانون القطعي الثابت أن للقرآن قراءة واحدة هي ما في المصحف الموجود بين الناس، وكل قراءة تخالف ذلك باطلة لا حجية فيها لأنها تصادم حفظ الله لكتابه ونفي الاختلاف عنه.

المسألة الثامنة: منهجية القرآن في تثبيت يقين المؤمنين وحمايتهم من الحرب النفسية والتشكيك الإعلامي للمبطلين (في أقوال أهل التفسير)

المراد الحقيقي: بيان أن الآية الثانية عشرة تمثل درعاً نفسياً وفكرياً يبنيه القرآن في وعي المؤمنين؛ فعندما يرفع المفسدون شعارات الإصلاح ويتهمون أهل الإيمان بالجمود والفساد، يتدخل الوحي ليثبت قلب المؤمن ويؤكد له صحة موقفه وفساد خصومه، فلا يضعف ولا يتردد أمام حملات التضليل.

الفهم الخاطئ: تأثر المؤمنين بدعايات المفسدين وشعاراتهم البراقة، أو شعورهم بالانهزام النفسي والحرج من التمسك بأحكام القرآن عند اتهامهم بالتشدد أو الإفساد.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (آل عمران: 139)[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ].

قوله تعالى: (الجاثية: 18)[ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (النساء: 104)[وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ].

ب. قوله تعالى: (هود: 112)[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: التثبيت في اللسان هو تقوية القلب وإزالة الاضطراب والشك عنه بالحجة والبرهان اليقيني.

الدلالة المنطوقية: النطق بالنداء التنبيهي (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) موجه للمؤمنين ليحسم ترددهم ويكشف لهم حقيقة خصومهم.

الدلالة المفهومية: يلزم من شهادة الله للمؤمنين بصحة نهجهم وفساد مناوئيهم وجوب الثبات على الحق وعدم التأثر بضجيج المفسدين.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التثبيت الإلهي أن معركة المصطلحات والشعارات جزء أصيل من الصراع بين الحق والباطل، وأن الغلبة فيه لأهل الوحي.

الخلاصة: القرآن يحمي المؤمنين من الهزيمة النفسية أمام دعايات المفسدين، ويثبت أقدامهم باليقين القاطع.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: في الآية السابقة تكلم المنافقون بثقة زائفة (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) قد

توقع الشك في نفس ضعيف الإيمان، فبادر القرآن فوراً بتفنيدها وتثبيت المؤمنين.
الدلالة البلاغية: القوة القاهرة في نبرة الآية (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) تملأ قلب المؤمن عزة وثقة بدينه ومنهجه.
الخلاصة: الأسلوب التعبيري يمارس التحصين الفكري والنفسي للأمة في مواجهة التضليل الإعلامي والفكري.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:
أولاً: آية سورة الجاثية (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) تفسر واجب المؤمن في الثبات على الشريعة وعدم الالتفات لأهواء المفسدين.
ثانياً: آية سورة آل عمران (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) ترفع توهم الضعف، وتؤكد علو المؤمنين بمنهجهم الرباني.
تفسير القرآن بالقرآن:
أولاً: قوله تعالى: (يونس: 65)[وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا] يثبت النبي والمؤمنين أمام أقوال المبطلين.
ثانياً: قوله تعالى: (الأنعام: 116)[وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ] يحذر من الاغترار بكثرة المفسدين وضجيجهم.
الخلاصة: تتطابق النصوص على أن الآية الثانية عشرة تبني مناعة نفسية وفكرية تحفظ المؤمنين من التشكيك.

رابعاً: المراد الحقيقي:
التحقيق المنهجي أن الآية الثانية عشرة تؤدي وظيفة التثبيت النفسي والفكري للمؤمنين، فتحميهم من الانخداع بشعارات المفسدين وتمنحهم اليقين التام بصحة منهجهم.

المسألة التاسعة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات العذر بالجهل المطلق للمفسدين والمشركين استناداً إلى قوله (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والمأثورات التي تحتج بنفي الشعور في قوله تعالى (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) لتعميم العذر بالجهل على كل من يفسد في الأرض أو يحارب الدين أو يرتكب الشرك والكفر بدعوى أنه يظن نفسه مصلحاً ولا يشعر بفساده، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في قيام الحجة بالكتاب والرسول وعذاب الله لهؤلاء المفسدين.

الفهم الخاطئ: إسقاط المسؤولية والأحكام الشرعية عن المفسدين والمحاربين للدين بحجة حسن النية أو عدم الشعور بالذنب، بناءً على تأويلات وروايات تخالف صريح القرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (الكهف: 103، 104، 105)[قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ].

قوله تعالى: (الأعراف: 30)[فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (البقرة: 10)[فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ].

ب. قوله تعالى: (النساء: 165)[رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الجهل المعذور شرعاً هو عدم بلوغ الحجة والبيان، أما الجهل الناتج

عن الإعراض والكبر واتباع الهوى بعد بلوغ النذير فهو جهل مذموم موجب للعقوبة لا عذر فيه.

الدلالة المنطوقية: المنافقون في الآية قد بلغهم النهي والبيان صراحة في الآية السابقة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)، فرفضوه عناداً واستكباراً.

الدلالة المفهومية: يلزم من سبق النصح وإقامة الحجة عليهم أن عدم شعورهم ليس عذراً مبرئاً، بل هو وصف لشدة غفلتهم واستحقاقهم للعذاب الأليم.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا التحقيق صيانة الشريعة من العبث؛ إذ لو كان كل مفسد يظن نفسه مصلحاً معذوراً لبطلت الحدود والأحكام وعُطل الجهاد.

الخلاصة: الروايات التي تعذر المفسدين والمحاربين للدين بحجة عدم شعورهم وظنهم الإصلاح باطلة؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بالبيان.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: جاءت هذه الآية بعد الحكم عليهم بالعذاب الأليم في الآية العاشرة، فلو كان عدم شعورهم عذراً لما استحقوا العذاب الأليم ولا ذمهم الله.

الدلالة البلاغية: ذكر عدم شعورهم في معرض الذم والتقريع لا في معرض العذر والرحمة يقطع دابر كل تأويل إرجائي.

الخلاصة: السياق القرآني يحمّل المفسدين كامل المسؤولية عن أفعالهم رغم تبلد إحساسهم، ويفضح زيف روايات التبرير والإعذار الفاسدة.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة الكهف (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا... فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) تسحق دلالة الروايات التي تعذر من يحسب فساده إصلاحاً بعد بلوغ الوحي.

ثانياً: آية سورة الأعراف (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) ترفع توهم النجاة لمن اتخذ الشياطين أولياء وظن نفسه مهتدياً.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الجاثية: 23)[وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ] يثبت أن ضلالهم وقع بعد قيام الحجة والعلم.

ثانياً: قوله تعالى: (النمل: 14)[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا] يكشف أن جحودهم نابع من الظلم والعلو لا من العذر المقبول.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال روايات العذر بالجهل للمفسدين والمكذبين بعد قيام الحجة، وتؤكد استحقاقهم للعقوبة.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات التي تتخذ من قوله تعالى (وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ) عذراً للمفسدين والمحاربين للدين، والقطع بأن الحجة قد قامت عليهم بالبيان، وأن عدم شعورهم هو وصف لانتكاس فطرتهم لا مسقط للعقاب.

المسألة العاشرة: إبطال الروايات المزعومة في إثبات كرامات وخوارق للمنافقين أو العصاة استناداً إلى عدم شعورهم بالفساد (في الروايات المخالفة للقرآن)

المراد الحقيقي: ردّ وإبطال الروايات والحكايات المأثورة التي تزعم ظهور كرامات إلهية وتأييد رباني لأشخاص يفسدون في الأرض ويخالفون شريعة القرآن بدعوى صلاح قلوبهم أو عدم شعورهم بالمخالفة، لمصادمة ذلك لمحكم القرآن في أن كرامة الله وتأييده مقصوران على أهل التقوى والاستقامة على الكتاب، وأن ما يظهر على أيدي المفسدين هو استدراج وفتنة.

الفهم الخاطئ: الانخداع بالخوارق والأحوال الغريبة التي تظهر على أيدي المنحرفين والمبتدعة واعتبارها دليلاً على صلاحهم، مع تجاهل مخالفتهم الصريحة للقرآن.

أولاً: الآيات المحكمات الحاكمة:

قوله تعالى: (يونس: 62، 63)[أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ].

قوله تعالى: (الأعراف: 170)[وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ].

ثانياً: الآيات المتشابهة المتداخلة:

أ. قوله تعالى: (الأنعام: 44)[فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً].

ب. قوله تعالى: (الأنعام: 112)[يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا].

ثالثاً: المحصلة الدلالية الواقعية:

- الاستدلال الخطابي:

الدلالة الوضعية: الولاية والكرامة في لسان الشرع هما القرب من الله بطاعته واتباع كتابه، أما الخوارق التي تجري على أيدي الفاسقين والمفسدين فهي استدراج وفتنة شيطانية.

الدلالة المنطوقية: القرآن حصر وصف الفساد في كل من خالف منهج الله في قوله (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ)، وحصر الولاية في المؤمنين المتقين.

الدلالة المفهومية: يلزم من هذا الحصر القاطع بطلان كل رواية أو حكاية تنسب الصلاح والكرامة لمن يفسد في الأرض ويخالف أحكام القرآن مهما ادعى لنفسه من أحوال باطنية.

الدلالة التضمنية: يتضمن هذا الميزان القرآني حماية الأمة من الدجالين والمشعوذين الذين يلبسون ثوب الصلاح وهم يهدمون الدين.

الخلاصة: الروايات التي تثبت الصلاح والكرامة للمخالفين للكتاب باطلة؛ لأن المعيار الأوحد للولاية والإصلاح هو الاستقامة على القرآن.

- الاستدلال التعبيري:

الدلالة السياقية: الآية الثانية عشرة تكذب كل دعوى إصلاح باطنية لا يشهد لها الواقع بالالتزام بأمر الله، فكيف يصح قبول خوارق المفسدين؟

الدلالة البلاغية: الجزم الإلهي بفسادهم رغم ظنهم الصلاح يسقط كل اعتبار للأحوال

النفسية أو الخوارق المخالفة للوحي.

الخلاصة: السياق القرآني يربط الصلاح والولاية بالاستقامة الظاهرة والباطنة على الكتاب، ويفضح زيف حكايات الدجل والانحراف.

- الاستدلال التفسيري:

الدلالة التشابهية:

أولاً: آية سورة يونس (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) تسحق دلالة الروايات التي تثبت الولاية والكرامة لغير المتقين الملتزمين بالشرع.

ثانياً: آية سورة الأنعام (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) ترفع توهم أن التمكين أو الخوارق الدنيوية للمفسدين دليل على رضا الله، وتبين أنها استدراج.

تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: قوله تعالى: (الأحقاف: 9)[إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ] يقرر أن الاتباع للوحي هو الميزان الأعلى الذي لا يعلو عليه حال ولا خارق.

ثانياً: قوله تعالى: (البقرة: 102)[وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ] يبين أن السحر والخوارق الشيطانية فتنة وضلال.

الخلاصة: تتطابق آيات التنزيل على إبطال حكايات الكرامات المزعومة للمفسدين والمخالفين للشرع، وتؤكد أن المصلح الحقيقي هو المستمسك بالكتاب.

رابعاً: المراد الحقيقي:

القول الفصل هو إبطال الروايات والحكايات التي تثبت الصلاح والكرامات للمخالفين للقرآن بدعوى صفاء الباطن أو عدم الشعور، والقطع بأن المعيار الأوحد للإصلاح والولاية هو الاستقامة التامة على كتاب الله.

